مجلة
روايات أحلام

فراشة المحبة

هل يحبونني ؟

مجلة روايات أحلام

فراشة الحبة

هل تجرؤين؟

– إذن أنت الآنسة ديكنسون . . . المصدر الوحيد لمشاكلي في الوقت الحاضر؟

تم تفهم لورا السكرتيرة البسيطة كيف تشتغل بال روب ماكفرسون رئيس مجلس الإدارة العظيم إلى هذه الدرجة ، ولكنها أدركت أن مستقبلها محكوم بالدمار من هذا الرجل ، ومع هذا قبلت التحدي :

– حياتي الخاصة ملكي سيد ماكفرسون . . . ولن أقبل أن يفرض علي أحدٌ شيئاً !

. . . وهكذا بدأت الحرب ، واستعمل فيها الطرفان كافة أنواع الأسلحة ، وأثبت روب ماكفرسون أن لا شيء يقف في طريقه عندما يريد أمراً . . .

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	اليمن
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	السودان
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	العراق
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	

www.liilas.com
Aml

١ ـ العدو الخفي

ما إن دخلت لوارا عبر باب المبنى الحديث الذي يحوي مكاتب «شركة دارموند» حتى رفعت ذقنها عالياً وبشكل أكثر قليلاً من المعتاد، وقطعت المدخل المفروش بالسجاد السميك، لتتوجه فوراً إلى مكتب الاستعلامات.

قالت للشابة الأنيقة المظهر، الموظفة هناك:

ـ أنا لوارا ويلكنسون.. لدي موعد مع السيدة شارب.

ردت الفتاة بلطف:

ـ في الثانية عشرة والنصف.. أليس كذلك؟ أنتِ مبكرة بضع دقائق.. لكن إذا أحببت أن تستقلي المصعد إلى أعلى طابق في المبنى، فستجدين مكتب السيدة شارب، ثالث باب إلى اليسار.

شكرتها لوارا وتحركت باتجاه المصعد.. بدأت معدتها تتقلص حين انطلق المصعد، لكنها كانت تعرف أن السبب لم يكن منه، فهي بالكاد تحس أنه يتحرك.. خرجت من المصعد في الطابق الأعلى، وحين لم تشاهد أحداً حولها أخذت بضعة أنفاس تهدىء بها روعها قبل أن تتجه إلى الباب الذي وصفته لها موظفة الاستقبال.. دقها الثابت على الباب أُجيب عليه على الفور:

ـ ادخل.

دخلت لوارا، ولم تخدعها أبداً الابتسامة التي شاهدتها على وجه المرأة التي رفعت رأسها عن عملها على الطابعة وقالت:

ـ آنسة ويلكنسون؟ عظيم، لن يتأخر عليك.. لو سمحت بالجلوس بضع دقائق.

أدركت لوارا أنها لم تستدع إلى هنا لمقابلة السيدة شارب، لكن لمقابلته هو.. كائناً من كان، وأن ابتسامة المرأة لها كانت حقيقية. جلست حيث

أشارت لها السيدة شارب، لا بد أنها سكرتيرته.. هل «هو» مدير دائرة الموظفين إذاً؟

ـ أتمانعين لو أكملت الطباعة؟ لا يبدو أنني ناجحة في شيء هذا اليوم.

نظرت لوارا إلى المرأة، فقدّرت بأنها في منتصف الثلاثينات من عمرها.. وأجابت:

ـ لا.. بالطبع لا أمانع.

ثم أدارت نظرها في الغرفة.

ولأنها اعتادت على مظهر مكتبها القاتم في شركة «غولدر وبروك» لا يمكنها إلا أن تصف مكتب السيدة شارب بالمخملي المترف: ظلال رقيقة من اللون الأخضر الفاتح تغطي الجدران، السجاد على الأرض أخضر قاتم، وبإمكانها المراهنة على أن السيدة شارب لم تمزق يوماً جواربها النايلون وراء هذه الطاولة الأكثر حداثة.

لطالما أفسدت جواربها بسبب طاولتها العتيقة.. حتى أنها فقدت القدرة على العد لكثرة المرات التي تمزقت فيها الجوارب من قوائم طاولتها وطاولة رئيسها في مكتبه الملاصق لمكتبها. وتذكرت أنها اضطرت أكثر من مرة إلى شراء أوراق زجاج لتنعيم الخشب، وبعد إزالة الخشونة من الطاولات، وضعت لصوقاً لإخفاء الشظايا الحادة غير المرتبة.

ذلك الصباح، من يوم الاثنين، كانت قد دخلت المكتب، لكنها لم تتجه فوراً كما تفعل عادة إلى طاولتها، بل وقفت بالباب، تنظر حولها إلى الجدران الصفراء.. ماذا سيقول السيد مكدونالد، رئيسها الجديد حين يراها؟ حاولت أن ترى مكتبها عبر عينيه. من المؤكد أنه ليس مما اعتاد عليه.. والمكتب المخصص له المجاور لمكتبها نسخة مماثلة عن مكتبها هذا، لون الدهان نفسه، قذر داكن، مع أنها لم تلاحظ هذا حتى اليوم. وماذا سيقول عن الطاولات العتيقة المزرية؟

«شركة دارموند.. أوستراليا» والتي من المفترض أن تكون الآن المكتب الرئيسي، تقع في الناحية الأخرى من سيدني، وسيجد السيد مكدونالد أن مكتبه الجديد يختلف كثيراً عن مكتبه القديم.. فقد ألقت نظرة على مبنى شركة

دارموند بعد أن أصبح من الواضح أن عملية شرائها لشركة غولدر وبروك أمر جدّي، ووجدت أن المبنى حديث وواجهته من الزجاج الملوّن.. ولاحظت بناءه القوي، الذي يبدو أنه سيبقى راسخاً لسنوات طوال، على عكس المبنى الذي يحوي مكاتب شركة غولدر وبروك، والمعرّض للسقوط بين لحظة وأخرى.

ابتعدت عن الباب نحو داخل الغرفة.. تفكر بالسرعة التي سارت فيها الأمور بعد قبول عرض شركة دارموند.. من الأفضل لها أن تبدأ عملها الآن، لأن السيد مكدونالد سيصل قريباً.. فهذا هو يومه الأول هنا.. لكن، أمامها الكثير من العمل تشغل نفسها به.

أبعدت حقيبة يدها.. رئيسها، السيد غولدر، تقاعد يوم الجمعة الفائت.. واليوم سيبدأ العهد الجديد. في البداية ظنت أن شركة دارموند كانت ترغم السيد غولدر على الرحيل، إلى أن قال لها بنفسه، إنه يتطلع بشوق إلى اليوم الذي يوقف فيه عمله، ليقضي وقتاً أطول مع زوجته المريضة، ثم، وبعد أن استوعبت حديثه عن التقاعد، أحست بالقلق على مركزها في الشركة.. فمع كل مظاهر الإفلاس، تدفع لها الشركة أفضل راتب من بين الكثير من الشركات المعروفة.. وراتبها هذا لم يكن ضرورياً لها فقط، بل كذلك لجولي والأولاد.. ولا يمكنها تحمل شهر واحد من البطالة بحثاً عن وظيفة تعطيها مرتباً مماثلاً.

لكن خوفها هذا تلاشى قليلاً حين قال لها السيد غولدر إن الشركة الرئيسية (دارموند) سترسل من يحل مكانه، وإنه قابل هيوز ماكدونالد، وإنه سيعجبها.

نظرت لوارا إلى ساعتها، إنها العاشرة تماماً.. لكن السيد مكدونالد لم يصل بعد.. وربما مواعيد الدوام مختلفة في مكاتب دارموند، ودفنت رأسها في عملها. في العاشرة والنصف، مدت يدها دون وعي لترد على الهاتف حين رن جرسه.. وقالت كعادتها:

ـ سكرتيرة السيد غولدر تتكلم.

لكنها سرعان ما انتبهت، وأدركت أنها لم تعد سكرتيرة السيد غولدر..

هل تروين؟

لكن صوتاً أنثوياً سألها قبل أن تتمكن من تصحيح ما قالته: «الآنسة ويلكنسون؟»

- نعم.

- صباح الخير، هنا مكاتب شركة دارموند أوستراليا.

تغضن وجه لوارا تعجباً. . لكنها قررت أن السيد مكدونالد لا بد قد زار مكتبه القديم قبل المجيء إلى هنا. وتوقعت أن تطلب السيدة منها الانتظار لتصلها به. تفكير جيد منه أن يتصل ليقول إنه سيتأخر. . لكن الصوت الثابت القادر، كما يبدو، تابع:

- أيمكنك المجيء إلى هنا في الثانية عشرة والنصف؟

لم تستطع لوارا إخفاء دهشتها:

- أتريدين مني المجيء إلى مكاتبكم؟

- في الثانية عشرة والنصف، إذا كان الموعد مناسباً.

- حسناً. . أجل. .

وتساءلت ماذا سيكون الرد لو قالت إنها لن تستطيع. وكادت تطرح السؤال البديهي حول سبب طلبها للحضور إلى دارموند. لكن الصوت أكمل تعليماته:

- اسألي عن السيدة شارب. . وداعاً آنسة ويلكنسون.

أعادت لوارا السماعة إلى مكانها، وقد تاه فكرها تماماً عن أي عمل يمكن أن تقوم به. ما الداعي لأن يطلب منها أن تعبر المدينة، من أقصاها إلى أقصاها، لكي تقدم نفسها في المكتب الرئيسي؟ ومن هي السيدة شارب؟ وأين هو السيد مكدونالد؟

فجأة جثم الخوف على صدرها بعد أن كان قد هجع عندما قال لها السيد غولدر إنها ستبقى في عملها، ألن يأتي السيد مكدونالد ليتسلم مهامه؟ وهل ستعتبر زائدة عن حاجة الشركة، على الرغم من كل ما قيل عن عدم المساس بمراكز الموظفين؟ أوه. . لا. . لن يفعلوا هذا. . لقد قال السيد غولدر إنهم لن يستغنوا عن أحد. . . وأخذت بعض المواساة من هذه الفكرة، لكنها لم تجد الراحة. فالسيد غولدر لم يعد له شأن بالشركة، ودارموند يمكنها الرجوع عن

كلمتها دون أن تستطيع عمل أي شيء.

حاولت لوارا مجدداً أن تنسى هواجسها بواسطة العمل إلى أن يحين وقت موعدها. . لكن دون جدوى. كما حاولت أن تبقى هادئة، تقنع نفسها بغباء هواجسها. فتحت خزانة الملفات وأخرجت ملف شركة دارموند تفتش فيه عن كل ورقة مراسلة قد تحمل اسم السيدة شارب. . لكنها لم تجدها. . فليس هناك من بين المدراء والمنفذين من اسمه شارب، مع أنها لم تكن تتوقع أن تجده. . فما من أحد في مركز متنفذ قد يضيع وقته مع سكرتيرة بسيطة في شركة من الدرجة الثانية. وذكرت نفسها: إنها سكرتيرة من الدرجة الأولى، بعد أن وافتها الكبرياء لتساعدها، وقد ظنت أن السيدة شارب هذه هي مديرة شؤون الموظفين في دارموند. . وأنها قد تسمع شيئاً في الثانية عشرة والنصف، تفضل أن لا تسمعه.

استفاقت من تفكيرها لدى سماع صوت آلة الطباعة التي تستخدمها السيدة شارب، والتي بدت لها من أحدث الآلات. ومع أن السيدة كانت تنقل ما تطبعه عن دفتر اختزال، إلا أن لوارا لاحظت أن أمامها آخر ما ابتكره العلم من آلات. عكس طابعتها القديمة الطراز، والتي تجد أحياناً صعوبة في إكمال الطبع عليها. . وعادت ذاكرتها إلى مكتبها وإلى ذلك الصباح من يوم الاثنين.

كانت قد تفحصت ساعتها مرة أخرى والتقطت حقيبتها متجهة إلى غرفة الملابس. . هناك غسلت يديها، ومشطت شعرها العسلي الأملس حتى مؤخرة عنقها حيث يسترسل من هناك ليتجعد على كتفيها. ثم استقامت بعد اضطرارها للانحناء لتتمكن من النظر إلى المرآة التي كانت لا تناسب طولها الذي يزيد عن مئة وسبعين سنتمتراً، ثم تراجعت تنظر إلى نفسها في البذلة الرمادية والقميص الزهري. . فمها الجميل غير مبتسم. . وما من أحد في دارموند سيعرف شيئاً مما تخفي. . . ستبلغ السادسة والعشرين في الشهر المقبل، وهي في سيدني منذ أكثر من ست سنوات. . ومنذ ذاك التاريخ، كانت تخفي طبيعتها الدافئة عن الجميع، ما عدا عائلتها، وربما السيد غولدر وجوناس. الصورة التي حدقت بها الآن كانت مليئة بالوقار الذي طالما هدفت إليه. وفيها البرود الذي قتل المشاعر المشبوبة لأكثر من فرد من أفراد الجنس

الآخر. فهي لم تكن تهتم بعلاقات عابرة.. وستمر سنوات قبل أن تفكر بالزواج.

برزت نظرة تصميم على وجهها وهي تخرج من غرفة الملابس.. إذا كان مقدراً لها أن تودع وظيفتها، فستسمع هذه السيدة شارب، إذا كانت من تظنها، رأيها الصريح بالأساليب التي استخدمتها دارموند لخداع السيد غولدر.

فجأة تلاشى كل اهتمام لوارا بأفكارها بعد رنين جرس الهاتف الداخلي على طاولة السيدة شارب. وعلمت أنها على وشك أن تُستدعى إلى الباب الآخر الوحيد في الغرفة عدا الذي دخلت منه.. ضغطت السيدة شارب الزر، وبدأت معدة لوارا تعود إلى تقلصها السابق، ثم توقف التقلص، بسبب ارتفاع غضب مفاجيء ممزوج بالكرامة، وقال صوت لطيف من الهاتف الداخلي بكل ثقة بالنفس:

ـ أرسلي الآنسة ويلكنسون، أرجوك، سيدة شارب.

لم تعجبها ثقته بنفسه حتى قبل أن تراه.. ما أزعجها أنه كان واثقاً أن السكرتيرة الصغيرة من شركة غولدر وبروك، ستترك كل شيء من يدها لتهرع مستجيبة لاستدعائه، حتى أنه لم يسأل: هل وصلت الآنسة ويلكنسون؟ لقد كان واثقاً أنها هنا.. وقفت، رافعة الرأس حتى زاوية متعجرفة. واستدارت السيدة شارب إليها:

ـ السيد ماكفرسون سيقابلك الآن.

ـ السيد ماكفرسون؟ روب ماكفرسون؟

ابتسمت السيدة شارب:

ـ هذا صحيح.. ولا حاجة لإبقائه منتظراً.

أغمضت لوارا عينيها قليلاً، وقد تشوشت أفكارها وهي تستدير إلى الباب.. روب ماكفرسون يريد رؤيتها؟ حتى دون أن تقرأ أوراق دارموند هذا الصباح لتقول لها إنه رئيس مجلس الإدارة، فإنها تتذكر بوضوح توقيعه. كتابته واضحة جريئة، ولا عيب فيها، رسائله واضحة مباشرة.. وهو يريد أن يراها!

توقفت، أصابعها تمسك مقبض باب مكتبه.. ليس أمامها الآن أي وقت لكي تعيد ترتيب أفكارها المشوشة.. فبعد لحظات، ستواجه رئيس مجلس إدارة شركة دارموند أوستراليا، دارموند عبر البحار. والله وحده يعرف كم هي الشركات التابعة لها. رفعت رأسها مجدداً، وأدارت المقبض لتدخل.

على الفور لاحظت أن الرجل الذي كان ينظر إليها هو رجل لا يضيع ذرة وقت. يبدو أنها تأخرت لحظات عن إجابة طلبه (أرسلي الآنسة ويلكنسون) لأنه في هذه اللحظات أصبح مشغولاً بمكالمة هاتفية. استدارت لتقفل الباب، ثم واجهت الغرفة مجدداً لترى أن عينيه لا زالتا مثبتتين عليها، على جسدها ثم على وجهها. وبينما كان صوته السلطوي يصدر الأوامر، بقيت نظرته كما هي تكمل تفحصه لها. بعض من تكبرها عاودها وهي ترد له نظرته.. خمّنت أنه طويل القامة إذا وقف، ورأت أن له شعراً أسود كالليل، وعينين مماثلتين سواداً، كانت له طلعة خشنة قاسية صارمة، فمه صارم يعطي الانطباع بالقسوة، إلى أن يتفرس المرء جيداً بشفته السفلى.

دون سبب ظاهر برزت كلمة «العاشق» إلى رأسها، فأشاحت بصرها عنه لأول مرة. كان هناك دليل على الحساسية في تلك الشفة السفلى تقول لها إنه لم يبلغ سنه الظاهر هذا.. وكم هو.. سبعة وثلاثون.. ثمانية وثلاثون؟ دون أن تكون له حصته من مغامرات الهوى... وأبعدت تفكيرها بسرعة عن مثل هذه الأفكار.. ما بالها تفكر بمثل هذه الأمور؟ إنها متأكدة من عدم اهتمامها من بعيد أو قريب بحياته العاطفية.. لكن، وبطريقة غريبة.. كان وجود هذا الرجل يثير فيها أحاسيس لم تذكر يوماً أنها فكرت بوجودها.

وقع نظرها على جهاز تسجيل رسائل مماثل للذي رأته على مكتب السيدة شارب.. ثم نسيت أمره تماماً بعد أن عاودها التفكير بسبب استدعائها إلى هنا. لا يمكن أن يكون السبب هو إبلاغها عدم الحاجة إليها، وعاودها بعض من ثقتها الضائعة بنفسها.. فلا مجال لأن تتصور أن رئيس مجلس الإدارة الأفخم للشركة الضخمة هذه قد يكون هو من سيقول لها إن خدماتها لم تعد مطلوبة.. ربما كان يريد معرفة شيء نسي أن يسأل عنه السيد غولدر.. مع أنها لا تظن أن هذا الرجل يمكن أن ينسى شيئاً.. ربما يظنها قادرة على إعطائه

لرد دون أن يزعج السيد غولدر في تقاعده. . فهي تعاطت مع الكثير من الأمور السرية. . مع ذلك، لماذا يجب أن تأتي إلى هنا لتراه وهو قادر على رفع سماعة الهاتف ومكالمتها. . وتوقفت أفكارها فجأة بعد أن أنهى مكالمته.

أسند ظهره إلى كرسيه، مسترخياً غير مبالٍ، لكن وميض المكر كان في عينيه وهذا لا يمكن سوى لأبله أن لا يلاحظه. مد يده الأكثر من قادرة، يشير إلى مقعد قريب من طاولته، ولمحت أزرار قميص من البلاتين تجمع أسفل كمّه شيئاً من تحت سترته السوداء.

ـ اجلسي، آنسة ويلكنسون.

كانت لوارا تحس بعينيه تتبعان كل حركاتها وهي تتقدم لتجلس. بدا لها أنه لا يهتم كثيراً بالمجاملات العادية، فابتلعت تحيتها التي حضرتها له. وقالت وهي تحس بقليل من قلة الراحة حين لم يضف شيئاً على أوامره لها بالجلوس:

ـ أردت رؤيتي. . على ما أعتقد.

خرجت كلماتها منها باردة، وأحست بسعادة لهذا. حتى أنها اعتقدت أن برودة كلماتها كانت تتناسب مع مظهرها المتحذلق، لكنها شاهدت لمعان شيء في عينيه، ولو لوقت متناهٍ في الصغر، حين سمع لهجتها، لكن ذلك الوميض اختفى فوراً.

ـ إذاً. . أنت لوارا ويلكنسون. . أوه. . أجل آنسة ويلكنسون. . أردت رؤيتك.

ومع أن كلماته كانت رقيقة منخفضة الصوت، إلا أنها أحست أن هناك لمسة شريرة من العداء فيها. حاولت أن تتذكر لعلها فعلت شيئاً خاطئاً وهي تعمل لدى السيد غولدر قد لا يروق للمالكين الجدد. . عدا بعض الهفوات العادية البسيطة، كانت الأمور في شركة غولدر وبروك تسير بسهولة ونعومة.

قالت له، آخذة زمام المبادرة في إدارة المعركة على أرضه، لأنه كما بدا، غير مستعجل على تنويرها عن سبب وجودها هنا:

ـ تقول هذا وكأنك تؤمن أنني مخطئة في شيء ما.

رد عليها كلامها، دون أن يكون كلامه مستساغاً:

ـ أنا بعيد عن أن أحكم على أي خطأ لك، لكن حين يتكرر ذكر اسمك

أمامي بهذا الإلحاح، خلال الأسابيع السابقة، حين واجهت مشكلة لوارا ويلكنسون مجدداً هذا الصباح. . تبادر لي أن الوقت قد حان لأن أراك.

تمكنت لوارا، وفي الوقت المناسب، من منع عينيها عن الاتساع عجباً لتكشف عن دهشتها. وصدمها أن يكون رئيس مجلس الإدارة يعرف اسمها، عدا عن أنه يظنها مشكلة أمامه. وماذا يعني بالضبط بكلمة «أخطاء» لها؟ واستقامت في مقعدها، تظهر في عينيها نظرة عداء مماثلة له:

ـ لا أستطيع التفكير بسبب يجعلني موضع نقاش كثير سيد ماكفرسون.

تجاهل روب ماكفرسون ملاحظتها، وطافت عيناه عليها مجدداً، مع أنها واثقة أنه لم يفوّت أي تفصيل لها من النظرة الأولى، ثم قال، متعمداً كما ظنت:

ـ لا أستطيع القول إنني أجد أي خطأ في ذوق بريستونز.

ـ بريستونز؟

لم تحب تقييمه المهين لها، ولم تحب الحديث الذي بدأ يأخذ منحنىً شخصياً. . إنها هنا للعمل. . ولا تظنه يطريها بقوله إنه لا يستطيع أن يجد خطأ في ذوق بريستونز. . ثم من هو بريستونز هذا؟ الشخص الوحيد الذي تعرفه بهذا الاسم هو جوناس. . بتردد سألت:

ـ جوناس. . ؟

فجأة، زال أي ادعاء باللطف عن الرجل، وأكد لها:

ـ جوناس بريستونز. .

لم يعد هناك أي تساهل في تصرفاته بعد أن عاد إلى مشكلة لوارا ويلكنسون مجدداً. . مما أعطاها انطباعاً أنه ولو كان يعرف جوناس، فان اسمه ذُكر عرضياً. . وأكمل يقول:

ـ منذ نوقش موضوع شراء شركة غولدر وبروك لأول مرة، حدثت ضجة جانبية كبيرة حول موضوع لوارا ويلكنسون.

ـ ضجة. . ؟

حاولت أن تفكر، لكن الضباب ملأ رأسها، وهي التي لم تسمع يوماً بشيء مما جرى مع دارموند ولم تقابل يوماً أحداً من مسؤوليها، فكيف لها،

وهي سكرتيرة للسيد غولدر، أن تثير ضجة لها علاقة بالمفاوضات.. ولم تستطع أن تزيد شيئاً على كلمتها السؤال «ضجة؟».

وقال:

- كان من المهم، إذا أردنا أن نسير الاتفاقية دون معوقات، أن نصل إلى اتفاق يلحظ أن لا يحصل أي تغيير للموظفين.. السيد غولدر، والسيد بروك معاً، أصرا على هذا... وأنا شخصياً كنت موافقاً.. من وجهة نظري، سنحتاج إلى المزيد من الموظفين، لا أن نطردهم.

كانت لوارا سريعة التفكير إلا أنها لم تستطع مجاراته في أفكاره، إذ وجدت صعوبة في معرفة سبب قول كل هذا لها.

لكنها سألت:

- لكن ما شأن كل هذا بي؟

نظر إليها روب ماكفرسون مقطباً، وكأنها تعرف السبب، وكأنها تلعب لعبة خاصة بها. وقال ببرود:

- سأقول لك ما شأنك بكل هذا.. بسبب.. صداقتك.. مع بريستونز، كادت المفاوضات تصل إلى الكارثة.

شهقت لوارا:

- صداقتي مع جوناس؟

كيف يمكن لصداقتها معه أن تحطم الاتفاق؟ وأرادت أن تضحك.. الأمر سخيف!

لكن الرغبة في الضحك تلاشت بسرعة وهي تنظر إلى روب ماكفرسون، لم يكن في عينيه السوداوين أي وميض من الضحك، وهو يقول لها:

- كان نيكولاس ماكداف قاسياً في إصراره على صرف موظف واحد على الأقل من الخدمة.

علق الاسم فوراً في رأسها تذكرت أنها قرأت في أوراق الشركة هذا الصباح أن نيكولاس ماكداف هو أحد مدراء الشركة، وهذا يعني أنه أحد أفراد مجلس الإدارة.. فهل كان صوته ضرورياً لعملية الشراء؟ لكنها لم تقابله من قبل، ولا كان جوناس يعرفه.. فهو لم يذكره أمامها يوماً.. ومع ذلك فهناك

شخص واحد أراد نيكولاس هذا الخلاص منه قبل أن يصوّت لمصلحة الاتفاق.. فهل كان هذا الشخص.. هي؟ لا بد هذا.. لكنها لم تستطع أن تفكر بما يمكن أن يكون لنيكولاس ضدها.

تعاظم القلق داخلها، لإدراكها أن أمنها الخاص مهدد، ومعه ازداد اقتناعها بأنها الشخص الذي أصر نيكولاس ماكداف على الخلاص منه. إحساسها بالخطر كان أساسه ما يمكن أن يعنيه هذا لجولي والأولاد فيما إذا خسرت وظيفتها، فقد أنساها هذا التفكير نيكولاس ماكداف وكذلك شأن جوناس وما هي علاقته بكل الأمر. وكل ما أحست أنها بحاجة إليه، هو فقط الرد على سؤال طغى على كل ما عداه:

- هل استدعيتني إلى هنا لتقول لي إنني مصروفة من العمل؟

- واضح أن عملك يعني الكثير لك.. لقد مضت سنوات كثيرة منذ صرفت موظفاً بنفسي.

الطريقة التي قالها فيها جعلتها تدرك دون أدنى ريب بأنه ما زال قادراً على تحمل أن يفعل مثل هذا العمل القذر مرة أخرى إذا وجده ضرورياً... وسألت:

- هذا.. السيد ماكداف.. يريد طردي.. أليس كذلك؟

لم يرد على سؤالها.. وأحست بوضوح أنه يعتقد بأنها تعرف أكثر مما تظهر.. وأنها تمثل دور البلاهة لغرض في نفسها.. وتابع يقول:

- بعيداً عن واقع أنني رأيت الوقت قد حان لرؤية الشوكة التي في خاصرة نيكولاس.. إلا أن هناك سبباً آخر لرغبتي في رؤيتك.

أخذ تفكير لوارا يبحث في كل الاتجاهات.. لقد بدأت تهدأ أكثر الآن، مع أن ثقتها بنفسها لم تكن على المستوى الذي ترغبه.. لكن حلقها كان أقل جفافاً وهي تحاول تبريد صوتها كي لا تفضح شيئاً مما يدور في نفسها. واخترعت كلاماً من حيث لا تدري:

- سيد مكدونالد؟

- أجل.. فهيوز مكدونالد، لسوء الحظ، أصيب بحادث سيارة في نهاية الأسبوع. ومما قاله لي الأطباء، ستمر ثلاثة أشهر قبل أن يتمكن من القيام

بعمله.

عدة أمور اتضحت في ذهنها، أحدها أن مجيء مكدونالد لاستلام العمل مكان السيد غولدر، ليس بخرافة. أمر آخر سجّله تفكيرها، هو أن السيد روب ماكفرسون وجد الوقت الكافي ليتحدث شخصياً مع أطباء السيد مكدونالد.. وبرز واقع كبير وشديد الأهمية، هو أن السيد ماكفرسون سيلتزم بوعده للسيد غولدر حول عدم صرف أحد من الخدمة على الرغم من معارضة نيكولاس ماكداف هذا.

قالت بصوت أجش:

ـ أتقول...؟

صمتت.. عليها أن توضح الأمور قبل أن يبلغ الشك منها مبلغه، ابتلعت ريقها بشدة وحاولت مرة أخرى:

ـ أتقول إن السيد هيوز مكدونالد، حين يعود إلى متابعة عمله، سأبقى سكرتيرة له؟

رد ببرود:

ـ إذا كانت هذه رغبتك. لقد قال لي السيد غولدر إنك أكثر كفاءة من أي سكرتيرة أخرى استخدمها في حياته،. وليس لدي سبب يدفعني إلى عدم تصديقه. وأنا واثق أنك وهيوز ستتفقان معاً..

ـ لكن.. ألا زال السيد ماكداف هذا.. يريد طردي؟

رفع روب ماكفرسون حاجبه قليلاً وقال:

ـ السيد ماكداف.. هذا؟

واضح أنه لا يصدق أنها لا تعرف لماذا يكرهها هذا الرجل.. ثم تابع:

ـ المسألة تتعدى ما إذا كان يريد أم لا.. فأنا لا أرغب في أن يبدأ كل الموظفين عندكم بالتساؤل عن استقرار وأمن وظيفتهم، لو أنني انحنيت أمام الضغط للتخلص من أحدهم، خصوصاً وأن هذا الشخص مشهود له بكفاءته.

مما قاله روب ماكفرسون، اتضح لها أنه قاوم محاولات ماكداف لطردها، لكن الضغط ما زال موجوداً، وعرفت أن هذا الضغط سيبقى يزعجها بعد

عودتها إلى مكتبها، إذا لم تعرف ماذا يحمل هذا الإنسان ضدها. وسألت:

ـ لماذا يريد صرفي من العمل؟

تلقت نظرة حادة متفرسة من روب ماكفرسون زادت من ألمها.. وعلمت أنه لن يقول لها إلا متى شاء.. لكنها لم تنتظر طويلاً.. وقال لها بغموض:

ـ لأنه أب محب بشكل خاص.

هذا الخبر لم ينر أفكارها.. أكثر الآباء محبون لأبنائهم، ولا ترى أن هذا سبب لهذا الأب بالذات لأن ينقم عليها. وأضاف روب ماكفرسون:

ـ نيكولاس ماكداف، يعبد الأرض التي تسير فوقها ابنته.. تعرفين بالطبع أن جوناس بريستونز رجل متزوج؟

زاد هذا الحديث من ارتباك لوارا. وتساءلت ما إذا كان السيد ماكفرسون قد تعمد ذكر جوناس كي يربكها مجدداً.. فقد لاحظت أنها لو لم تكن تعرف أن جوناس متزوج، فهو لن يعتذر لأنه أول من قال لها. وقالت باختصار:

ـ إيلين.. زوجة جوناس تركته منذ سنة.

سألها بحدة:

ـ أتعرفين إيلين؟

ـ التقينا من قبل.

لم تعجبها لهجته الحادة.. ولم يعجبها كذلك كل هذا الحديث.. انزعاجها كان عظيماً من ملاحظتها بأنه قادر على توجيه الحديث في أي اتجاه يختاره بغض النظر عما إذا كان هذا يهمها أم لا. ولم تعد تهتم كذلك باعتراض نيكولاس ماكداف على عملها في دارموند بهذه القسوة، فقد قال لها روب ماكفرسون إن عملها مؤمن، وتستطيع أن تتفهم عدم رغبته في أن يشعر بقية العمال بأن وظائفهم مهددة.. فهو في فترة من الصعب فيها إيجاد عمال مهرة، لا يريد أن يخاطر بخلق اضطرابات في مواقع العمل، أو أن يتخلى عنه رجال يعتمد عليهم. أخذت نفساً عميقاً في محاولة للسيطرة على الغضب الذي تصاعد داخلها، وقالت:

ـ إذا كان الأمر سيّان عندك سيد ماكفرسون، أفضّل أن تبقى حياتي الخاصة شخصية لي. فهي لا تؤثر أبداً في الطريقة التي أنفذ بها واجباتي.. ولا

أرى أي سبب لأن تدخل صداقتي لجوناس بريستونز في نقاش عمل.

للحظات، ساد صمت مطبق في المكتب العصري.. وشاهدت عينيه تضيقان. بدت عليه نظرة قاسية، وأدركت أن أحداً من موظفيه لم يجرؤ يوماً على أن يتحدث إليه كما فعلت... ثم، وعيناه مستمرتان في النظر إليها، لاحظت أن النظرة القاسية استرخت، بينما بقيت نظرة المكر في عينيه، وقال بصوت هادىء:

ـ أنت يائسة للاحتفاظ بوظيفتك. أليس كذلك؟

كأنه يقول لها ببرود إنه لاحظ تماماً أنه قد هزّ كيانها المتحذلق حين ظنت أن وظيفتها ستنتزع منها. ثم، ومع بقاء برودة، تركها دون أي شك حول قساوته:

ـ أظن أنه من الأفضل أن نوضح أمراً واحداً، وفي الحال، آنسة ويلكنسون.. طالما أنت فوق ذلك المقعد، وطالما أستمر في دفع مرتبك، ستتناقش بأي أمر أراه مناسباً للنقاش.

لم تكن لوارا قد تلقت كلاماً في حياتها بهذه الطريقة السلطوية.. ولم تستطع قول أي شيء، حتى ولو كان عقلها قادراً على الوصول إلى فكرة... روب ماكفرسون لم يرفع صوته، ولكن كان في لهجته الفولاذ الذي لا يلين.. ولقد أحست به.

وأكمل بنفس اللهجة القاسية الباردة:

ـ إذا قررت، ولمصلحة الشركة، أن هناك أموراً محددة في حياتك الخاصة تحتاج إلى البحث فيها، فسأخوض فيها، بغض النظر عن أية مشاعر حميمة قد يثيرها ذلك البحث.. ولا يكن لديك شك في هذا.

مع كل محاولاته لأن يبدو مسترخياً، فلا جدال حول لهجته.. ومع كل الصعوبات التي أحست بها في الجلوس بهدوء واستيعاب كلامه، وفي تلك اللحظة، لم تعد تثق بأنه قد يسحب وعده ببقائها سكرتيرة لهيوز مكدونالد. ابتلعت لوارا ريقها بقوة تكبح غيظها. وقالت:

ـ حسن جداً سيد ماكفرسون.. لقد أوضحت لي أن لا خيار أمامي سوى الجلوس هنا والاستماع لما تريد أن تقوله.

لو ظنت أنها قادرة على التلاعب بالكلمات معه، والخروج منتصرة، لوجدت نفسها مخطئة، فقد استرخى في مقعده إلى الوراء، وجاء صوته حريرياً، يحك ذقنه بيده.

ـ لمجرد إعلامك إذا كنت لا تعرفين هذا الواقع، فإن نيكولاس ماكداف هو والد إيلين بريستونز.

صاحت لوارا بدهشة:

ـ والد إيلين!

بدأ شيء من تماسكها يتلاشى بعد أن ألقى روب ماكفرسون هذه المعلومات في وجهها.. ففي المناسبات النادرة التي ذكر جوناس فيها حماه، كان يقول فقط «والد إيلين» ولم يشر إليه مرة باسمه.

ثم، وقبل أن تتمكن من بدء الربط بين كل الأحداث لتصل إلى سبب رغبة السيد ماكداف بالخلاص منها.. طرح روب ماكفرسون المسألة بوضوح أمامها كي لا يكون هناك مجال للخطأ حول السبب الأساسي لطلبها إلى المكتب الرئيسي هنا فقال:

ـ لقد سبق وقلت لك عن مقدار حب نيكولاس ماكداف لابنته.. وبسبب هذا الحب بالضبط، رغب في أن يتأكد من أنها لن تعرف لحظة ألم.. أستطيع القول، أنه مؤمن بأنك ومن خلال بريستونز، تسببت لها بذلك. ولهذا عانى الأمرين ليزيلك من عداد الموظفين. فمنذ أن بدأت إجراءات الاستيلاء على شركة غولدر وبروك، وأصبح على معرفة بأنك من عداد الموظفين، كاد يزهق أنفاسي في محاولته لأن أوافق على صرفك من العمل.

ـ لكن..

حاولت لوارا مقاطعته، لكنها عرفت أنها تضيع جهدها.. فقد وصل روب ماكفرسون إلى لب الموضوع، وإذا كان متساهلاً معها من قبل، فقد توقف عن هذا منذ خمس دقائق حين تحدته بأنها لا تريد أن تناقش معه حياتها الخاصة.

نظر مباشرة إلى عينيها الزرقاوان القاتمتان، وقال لها دون إظهار أية مشاعر:

www.liilas.com
Aml

ـ أنا أعترض بشدة على تلقي الالتماسات في كل فرصة متاحة، للخلاص منك. لكنني أجد نفسي، ولأسباب أخرى، في وضع اضطر معه لأن أتحمل الضغط.

تساءلت لوارا في نفسها عن هذه الأسباب الأخرى. لم تكن تظن أن رجلاً في مركزه مضطر لتحمّل أي شيء لا يروق له، مع أنها فهمت أنه إنما يقصد التجانس والتفاهم ضمن مجلس الإدارة.. ومما لا شك فيه، أن هناك الكثير من الفروقات في الآراء على هذا المستوى، إنه كرئيس مجلس الإدارة، مضطر لأن يستبقي الأمور سائرة بسهولة قدر المستطاع.. لكن ما كان يقوله الآن...؟

قاطعها صوت روب ماكفرسون مجدداً:

ـ كما ذكرت سابقاً.. طرح اسمك مجدداً هذا الصباح.. وكان هذا في معرض ذكر حادثة هيوز مكدونالد، وأنك الآن دون رئيس مباشر.. عندها فكرت أنه حان الوقت لأن ألقي نظرة على تلك الأنثى التي أصبحت مصدر قلق كبير لي، كما هي لنيكولاس ماكداف.

مال إلى الأمام وقد استرخى فكه المتصلب، وتابع:

ـ أنا أخشى كثيراً آنسة ويلكنسون، أننا لو أردنا معاً أن نحصل على ما ترغب به قلوبنا، أنت أن تحتفظي بوظيفتك التي تعني لك الكثير، وأنا أن أحصل على بعض السلام مع نيكولاس ماكداف، عليك أن تتخذي قراراً بخصوص بريستونز.

شهقت لوارا:

ـ بريستونز؟

ـ أعتقد، آنسة ويلكنسون أن عليك التفكير جدياً بأن تتراجعي عن صلتك العاطفية ببريستونز...

وبينما هي جالسة دون أن تعي تماماً ما يعنيه، أعطاها النور الكافي لما تحاول أن تفهمه، وقال بسهولة:

ـ أنا متأكد أن نيكولاس ماكداف سينظر إلى وجودك معنا نظرة أفضل لو توقفت عن أن تكوني عشيقة بريستونز!

* * *

٢ ـ سباق مع الخوف

ـ عشيقة!

كانت صدمتها كبيرة لسماع وصفها بأنها عشيقة جوناس بريستونز، حتى أنها وقفت دون أن تعي أنها فعلت هذا وأكملت غاضبة:

ـ كيف تجرؤ على قول هذا؟

لكنها وجدت روب ماكفرسون يتجاهل غضبها، ويسألها ببرود:

ـ لماذا الإنكار؟ فمن المعروف لدى الجميع أنك تظهرين في كل مكان معه.

دفع كرسيه إلى الوراء ووقف ببرود، كما توقعت كان طويلاً يعلوها وهو ينظر إليها بسخرية.. ردت بحرارة:

ـ أن أُشاهد برفقة جوناس، لا يجعلني عشيقة له!

بدا أن روب ماكفرسون ليس مهتماً بأي دفاع تطرحه.. فذكّرها، وهو يكتف ذراعيه قائلاً:

ـ لقد قلت بنفسك إن إيلين تركته منذ سنة.. وبريستونز ليس من النوع الذي يخجل من النساء.. لقد بقي متزوجاً لمدة سنة قبل أن تتركه إيلين، ولذا فهو معتاد على صحبة النساء.. هل تتوقعين مني حقاً أن أصدق أن علاقتك معه هي مجرد صداقة بريئة وأنت المرأة الوحيدة التي اقترن اسمها باسمه؟

اشتعلت لوارا غضباً:

ـ أجل.. أتوقع منك أن تصدق.

استطاعت أن تلاحظ، أنه ليس بالشخص الذي يختبىء وراء ما يؤمن بأنه كذب.. فأضافت:

ـ أنا وجوناس مجرد صديقين، ولا شيء أكثر.

ـ أتحاولين القول بأن بريستونز أمضى السنة الماضية كلها بعزوبية كاملة؟ دعك من هذا آنسة ويلكنسون.. من ملفك أعرف أنك في السادسة والعشرين

ولا بد أنك كنت تلعبين لعبة «الكبار» منذ سنوات. لا أستطيع التصديق أنكما كنتما تتواعدان منذ اثنتي عشر شهراً، ولا زلتما في مرحلة الإمساك بالأيدي فقط.

كانت على وشك أن تصحح معلوماته بأنها تخرج مع جوناس منذ تسعة أشهر فقط، لكنها وجدت الفرصة ضائعة حين أكمل ساخراً:

- أتحاولين القول لي إنه لم يحاول مطلقاً تقبيل هذا الفم الشهي؟

أحست بأن إشارته إلى فمها ووصفه بالشهي جعلتها تفقد توازنها.

- أجل.. لا.. أنا..

تأخرت كثيراً في الرد، وتلقت نظرة ساخرة أخرى، تقول إنه يفهم من ترددها، أن بريستونز قد فعل، وقالت:

- الأمر ليس كما تظن.

رد ساخراً:

- طبعاً!

- لا تحكم على جوناس بمقاييسك الخاصة!

في الصمت المتوتر الذي تبع ردها الحاد، عرفت أنها تجاوزت حدّها بعد أن تلاشى جو السخرية عنه. فسألها بهدوء شرير:

- أتسمحين بأن تشرحي كلامك؟

غادرها غضبها، فقد بدا لها أنه مستعد لأن يرميها خارج المكتب لوقاحتها! ثم عاد الغضب للانتشار مجدداً.. من يظن نفسه برميه الإهانات في وجهها ولا يتلقى الرد؟ وقالت ترفض التراجع:

- لا أعتقد أن من الممكن أن تكون قد مرت عليك فترة سنة من العزوبية في حياتك.

وجدت أن هجومها هذا قد أثار تسليته، فتلاشت النظرة القاسية عن وجهه، وشاهدت أطراف فمه تتحرك قبل أن يكبح ابتسامته. ثم رفع معصمه لينظر إلى ساعته، وأدركت أنه ربما أعطاها من وقته أكثر مما سمح به لأي موظف عنده.

- أراؤك حول عزوبيتي، أو عدمها، تبدو مثيرة للاهتمام آنسة

ويلكنسون.. لكن، لسوء الحظ ليس لدي الوقت الكافي للسماح بالتوسع في هذا. ارجعي إلى مكتبك الآن.. وسأتصل بك ثانية.

استعدت للرحيل، كلمة «ارجعي إلى مكتبك» صدرت عنه وكأنه يوجهها إلى شخص من طبقة أدنى من طبقته، إلا أنها اعتقدت أن هذه هي طريقته في الحديث.. لكنها وتوقفت عند كلمة «سأتصل بك ثانية» ماذا يعني بها؟ أيعني أن نقاشهما حول علاقتها بجوناس لم ينتهِ بعد؟ وأنه لكي يحصل على الهدوء والسلام، مستعد لأن يحاول ثانية أن يجعلها تتخلى عن جوناس؟ قالت له باندفاع:

- لن أتوقف عن رؤية جوناس.

- لم أتوقع أن تفعلي.. مع أنني أعتقد أن الفكرة تستحق التفكير.. وأرى الآن أنني كنت محقاً باستنتاجي الأول... لقد تطورت العلاقة كثيراً بينكما.

سار معها إلى الباب بهدوء وفتحه لها.. فكبحت رداً حاداً على تعليقه.. قالت بحزم، وهي تخرج عبر الباب إلى المكتب الخارجي:

- وداعاً سيد ماكفرسون.

- وداعاً آنسة ويلكنسون.

واقفل الباب وراءها.

لاحظت لوارا أن السيدة شارب لم تكن على مكتبها، لكنها لم تضطر إلى النظر إلى ساعتها لتعرف أن مقابلتها مع روب ماكفرسون قد جاوزت موعد الغداء. كانت مضطربة مشوشة الفكر، لذا لم تفكر بالغداء، وأخذ تفكيرها يجول في كل جزء من حديثهما وهي في طريقها إلى مكاتب غولدر وبروك.

من الصعب أن تقرر أي جزء مما حدث كانت له الأولوية في التفكير.. واضح أن نيكولاس ماكداف قد أخرج كل سكاكينه وشحذها استعداداً لها.. وواضح كذلك أن إيلين كانت تنظر بسخط كبير إلى صداقتها مع جوناس، لكن لماذا؟ العلاج في يدها.. فهي من تركت جوناس، وليس العكس، وهي من شعرت أكثر من غيرها أن جوناس يريد عودتها.. فكرت لوارا قليلاً بما قاله جوناس عن تحطم زواجه، وكيف أن الأيام الأولى منه كانت عاصفة.. تذكرت أنه قال لها «لم أكن أقلق حول مشاجراتنا المتكررة كثيراً.. فكلانا

معتاد على تنفيذ ما يريد على طريقته . . وكنت أظن أن الحب الذي نكنه لبعضنا يكفي لأن يجعلنا نتخطى الصعاب . . فمن المعروف أن كل زواج تحصل فيه بعض المصاعب في البداية» . وتذكرت لوارا ذلك الحزن على وجهه لأن زواجه بالكاد عاش سنته الأولى، وهو يخبرها عن الشجار المشتعل الذي تسبب في ترك إيلين له . . «كنا قد تجاوزنا لتونا شجاراً عاصفاً حين خطرت لوالدها فكرة انضمامي إلى مؤسسته . . وقال لها العجوز إن كل شيء معدّ جيداً لأن أحتل مركزي في مجلس الإدارة» ولم يكن بحاجة لأن يقول إن هذه الفكرة راقت لإيلين فهي تعرف أن تلك الفتاة ذات الخلفية العائلية الثرية، حاصلة على درجة «ممتاز جداً» في العجرفة . . وأنها كونت فكرة سريعة عنهما حين التقيا بها مع مرافق لها في أحد المسارح، وزاد في إثبات ذلك الرأي، ما سمعته من إيلين وهي تهمس لجوناس، مع ظنها أن أحداً لن يسمعها: «ألا تزال تكدح ليل نهار لترفع من قيمة مصنعك الحقير جوناس؟» ساعتها، أدارت لوارا رأسها كي لا تحرجه، لكن ليس قبل أن ترى النظرة المتصلبة على وجهه .

كان إصرار جوناس على رفضه التخلي عن أعماله في الصناعة، والتمتع بما يفعل، حتى ولو كان بالكاد يقلع فوق الأرض، السبب الرئيسي لقرار إيلين بتوضيب حقائبها والعودة إلى منزل أبيها . . . مع أن لوارا تعتقد، أن المشاكل السابقة، والتي ذكرها لها جوناس، هي أسباب إضافية لقرارها بتركه، وللإنصاف، جوناس لم يقلل أبداً من قدر إيلين، لكنه كان يرى أنه لن يساوي شيئاً لو تخلى عن وجهة نظره .

تركت لوارا التفكير بروب ماكفرسون إلى النهاية، آملة إن يكون دمها قد برد حتى الوقت الذي تبدأ فيه بالتفكير بكلامه . . لكن، بتذكرها لنظرته الساخرة السوداء التي تقول إنه لا يصدق بأنها وجوناس ليسا على علاقة، مهما حاولت الاحتجاج، فقد علمت أنها ستبقى تشعر بالسخط طويلاً لأنه تجرأ واتهمها بوقاحة .

إنها تعرف أن هناك فتيات كثيرات في هذه الأيام وهذا العصر لا يصلن إلى سن السادسة والعشرين دون أن تكون لهن الخبرة التي ألصقها بها . . ولكن أن يتهمها هي بها، وبوقاحة؟

ذهبت ذلك المساء إلى منزلها وهي تعلم أن معاودة التفكر بمقابلتها مع روب ماكفرسون مرة أخرى أمر لا طائل وراءه . فتفكيرها تعب من التفكير طوال بعد الظهر، إلى أن اضطرت إلى تحويل ذهنها نحو كيفية تدبير أمر العمل دون رئيس مباشر . ولحسن الحظ، فإن السيد غولدر كان يهتم بالماكينات أكثر من اهتمامه بالعمل المكتبي، لذلك لم تتوقع الكثير من المشاكل، لأنه كان يقضي في مواقع العمل وقتاً أكثر من المكتب، ولهذا اعتادت على التعامل بكل شيء بنفسها .

بعد أن دخلت شقتها . . أحست أنها فقدت شهيتها للطعام . . لامت روب ماكفرسون وتفكيره القذر على هذا، وقررت القيام ببعض الأعمال المنزلية أولاً، ثم تحاول أن تأكل بعد ذلك .

ركزت أفكارها على جوناس وهي تجوب في شقتها الصغيرة ترتبها . . أيجب أن تقول له ما جرى اليوم أم لا؟ وبعد طول تفكير قررت أن «لا» . إنه الآن غائب عنها، ومنذ ستة أسابيع، في رحلة عمل إلى أوروبا، وسيعود اليوم، مع أمل أن يكون دفتر طلباته ممتلئاً . . أوه . . كم تتمنى أن يكون قد حصل على ما يسعى إليه . . ولو حصل هذا، فكيف ستتمكن من إتعاسه ومحو فرحه بإخباره عما حصل؟ وإذا فشل في رحلته الأوروبية، فكيف يمكن لها أن تزيد من إحباطه بإعلامه أن حماه يحاول سلبها وظيفتها، بسبب ذلك التفسير الذي وضعه روب ماكفرسون لصداقتهما؟ ثم تذكرت أن جوناس لم يعرف بعد بأمر بيع الشركة . . وأنها لو لم تكن تنظر إلى المسألة على أنها سرية، لكانت أخبرته بها آخر مرة التقيا فيها . حينها كان يمكنه أن يقول لها عن علاقة حماه بشركة دارموند .

كما أنه لا يمكن أن يكون قد قابل إيلين مؤخراً . وإلا لقالت له ان «دارموند» قد اشترت «غولدر وبروك» ولكان ذكر الأمر للوارا . . كانت تعرف أن إيلين تخرج مع جوناس في بعض المناسبات، وأن هذا قد يعني أنها لا تزال تحبه، لكن مقابلاتهما لم تكن أبداً تنتهي حبياً . . ولذلك لا يكون بعدها حلو المعشر أبداً . . لكن بديهتها كانت تقول لها إنه لا بد سيتصل بإيلين فور عودته إلى سيدني . . إذ سيكون متشوقاً لأن يخبر أحداً عن نجاحه . . ومن

أفضل من المرأة التي يحبها؟

حين رن جرس الهاتف، قبل الثامنة تماماً، كانت لوارا في منتصف التفكير بما ستختاره لعشائها. فخرجت من مطبخها الصغير إلى غرفة الجلوس والطعام معاً، والتقطت الهاتف. وصاحت بفرح لسماع صوت المتكلم:

ـ جوناس! لم أتوقع سماع صوتك الليلة.

ـ لقد وصلت لتوي.

ـ أعرف.. لكنني ظننت..

أدركت أن ليس من اللياقة أن تقول له إنها ظنته سيتناول العشاء مع إيلين خصوصاً إذا كان سبب عدم احتفاله مع زوجته، فشله في مفاوضاته الأوروبية وسألت مترددة، مستعدة لإبداء العطف، ودعوته لمشاركتها العشاء، إذا وجدته محبطاً:

ـ كيف أحوال العمل؟

لكن المشاركة في العشاء لم تكن مطلوبة. مع أنها لم تكن واثقة من أمر العطف حين قال لها:

ـ الأعمال كانت رائعة.. لقد حصلت على عدة عقود هناك.

أحست لوارا بالفرح الحقيقي:

ـ أوه.. جوناس هذا أمر رائع! لكنك لا تبدو سعيداً.

مرت لحظات صمت، ثم قال:

ـ أنا في الواقع.. شديد الإثارة، بعد أن أثمرت كل جهودي.. لكن.. خُذلت في الحصول على موعد للعشاء.. وأظنك قد تناولت طعامك الآن.

كانت صداقتهما عفوية قوية بحيث أنها لم تغضب لأنها كانت الثانية. وتعرف جيداً ما حصل. لا بد أنه اتصل بإيلين وطلب منها العشاء معه، ووافقت إيلين، لكن، وكما هو معروف عنها، اتصلت فيما بعد، وفي آخر لحظة لتقول أنها لن تقدر على الخروج معه.. خفق قلبها إشفاقاً عليه.. وقالت:

ـ في الواقع جوناس، أنت تتحدث إلى فتاة تكاد تموت جوعاً.. لقد فاتني الغداء اليوم ومن الممكن أن ألتهم جواداً كاملاً.

ـ أيمكن أن تكوني جاهزة في نصف ساعة؟ لدي طاولة محجوزة للثامنة والنصف.

تعرف لوارا أن جوناس لا بد قد حجز طاولة في أفخم المطاعم التي تفضلها إيلين، ويمكنها أن تراهن على هذا. ويبدو أن المناسبة تستدعي ارتداء «الفستان الأسود الصغير».. فأخرجت ثوب السهرة الأسود من خزانتها.. إنها تملكه منذ مدة طويلة وقد شاهده جوناس عليها عشرات المرات، ولكنها واثقة أنه يناسبها، ولطالما أحست أنها رائعة فيه فياقته المفتوحة المستديرة، تظهر بشرتها الكريمية اللون.

ذهب تفكيرها نحو أول لقاء لها مع جوناس وهي تستحم بسرعة.. يومها، ولأنها لا يمكن لها أن تسمح لنفسها بالتورط، كانت دائماً تتأكد من أنها إذا استجابت لمواعدة أي رجل أكثر من مرة واحدة، فيجب أن تكون هذه اللقاءات متباعدة كي لا يظن ذلك المرافق أنها ستخرج معه دائماً.. ثم أنها نادراً ما كانت تواعد الرجل نفسه أكثر من ثلاث مرات.. التقت بجوناس في حفلة، وأعجبها الرجل الطويل الأشقرالشعر ووافقت على الخروج معه.. لم يقل لها جوناس إنه متزوج حتى اللقاء الثالث، لكن الغضب الذي تملكها لهذا الخبر، هدّأته معرفتها الجيدة بالرجل نفسه، لقد أحبت أخلاقه الهادئة، وأحست بالراحة معه.. وأحبت أكثر جو التضوج حوله، فهو على عكس غيره ممن عرفتهم، لم يعتقد بأن مجرد خروجها معه يعني بأنه سيحصل على مكافأة ما في نهاية السهرة. ثم، قالت له في نهاية موعدهما الثالث، إنها لن تخرج معه بعد.. وكان مستعداً لتقبل الأمر، مع أنه شرح لها أنه لا يريد شيئاً منها سوى الصداقة.

إخبار جوناس لها عن وحدته، أعادت إليها ذكرى حية عن وحدة أبيها البائسة بعد أن تركته أمها. وكم بدا «مهجوراً» يوم طلاقهما.. وبقيت عزلته معه، لم تبددها سلسلة من مدبرات المنزل حاولن التوافق معه.

لكن كل هذا تبدل يوم جاءت تلك الأرملة الجميلة جولي، في ذلك اليوم الجميل لتكون مدبرة المنزل، ومعها ابنها مارك، ثلاث سنوات، وبوني المقترب من الستة. كان من الصعب التجهم بوجودها.. ومنذ تلك اللحظة عادت

هدا تحروش

الحياة إلى زخمها مجدداً. وتزوج أبوها من جولي بعد فترة قصيرة، وأصبحت أيامهما الحزينة من الماضي، وملأت جولي المنزل بالضحك، وعلّمت لوارا، المراهقة الوقورة المتزمتة كيف تضحك.. ولن تنسى لوارا لطف ورقة جولي أبداً. صحيح أنه لم يكن هناك المزيد من المال، لكن جولي أصرّت على أن تدخلها إلى أفضل معاهد السكرتيريا.. والدها ميت الآن، والمال أصبح شحيحاً، وأصبح مارك الآن في الرابعة عشرة بينما يكاد بوني يبلغ السابعة عشرة، وتجاهد لوارا في أن تفعل ما بإمكانها لتأمين حياة جولي والأولاد، ولإعطائهما الفرحة نفسها التي أصرت أمهما على إعطائها لها.

جوناس سيصل عما قليل.. ولامست شفتيها بأصبع الأحمر، تعيد التفكير باللقاء الصدفة الذي جمع بينهما، واقتراحه المتهور بأن تتناول العشاء معه.. وتذكرت الأفكار التي استعادتها عن وحدة أبيها وتساءلت ما إذا كانت تقسو على جوناس.. فقد شاهدت في عينيه الحزينتين النظرة نفسها التي كانت في عيني أبيها قبل أن تمحوها جولي.. كلاهما استفاد من هذه الصداقة.. فمن جهتها، وبما أن الزواج بعيد عن تفكيرها الآن إلى أن يتأمن مستقبل مارك وبوني، لديها صديق عزيز، وإذا استطاعت مساعدته على تخطي هذه المرحلة فستكون مسرورة جداً.

حين وصل، قالت له:

ـ تبدو بصحة جيدة.. ألم تتعب كثيراً؟

ـ أمضيت أيامي ألاحق الاتفاقات، ولم أكن في إجازة.

ـ وحصلت على ما تريد؟

هز رأسه:

ـ أجل.. وباستطاعتي الآن أن أنام لمدة أسبوع.

ـ لكن ليس قبل أن تطعم صديقتك القديمة؟

ابتسم لها:

ـ شكراً لموافقتك على الخروج معي.

لم يذكر اسم إيلين، لكنها كانت تفهم مشاعره وتعلم أن تراجع زوجته الغريبة الأطوار عن الخروج معه، كما هي عادتها، تركه متألماً وفي مزاج لا

يحتمل فيه صحبة أحد.

كما توقعت، كان قد حجز طاولة في أفخم مطاعم سيدني.. وفي الطريق إلى هناك بدأ حماسه لعمله يظهر وهو يستعيد ذكرى بعض مفاوضاته في أوروبا. كالعادة، اهتمت لوارا بما كان يقول لها، وقررت بأن تستبقي خبر بيع الشركة إلى وقت آخر، وهكذا أصغت بانتباه وهو يروي لها كيف سارت الأمور، بعد مواجهته معارضة شديدة.. ثم، أوقف سيارته أمام المطعم.

وقفت لوارا تتطلع حولها في مدخل المطعم بينما تقدم جوناس يسأل عن طاولتهما.. المكان هنا يعجبها، مع أنها لا تتناول الطعام مع جوناس عادة في مثل هذه الأمكنة الفخمة المكلفة. سمعت همس فتح الباب، لكنها لم تشعر بالاهتمام بمن وصل. فمشاعرها كانت مركزة على لوحة مائية رائعة معلقة على الجدار إلى يمينها.. حين سمعت اسمها، كان الصوت الذي لفظه مألوفاً بشكل ضبابي، فاستدارت ببطء، دون أن تكون متحضرة بأي شكل للصدمة التي ستتلقاها:

ـ أليست هذه لوارا؟ لم أتصور رؤيتك هنا!

ثم، ولصالح مرافقها قالت إيلين بريستونز، مع معرفتها التامة أن لوارا ترافق جوناس:

ـ هل أنت هنا وحدك؟

ردت لوارا باختصار أكثر مما كانت تنوي:

ـ أنا هنا مع جوناس.

لم تكن لوارا تنوي الوقوف إلى جانب أحد في هذا الخلاف الزوجي، لكنها كانت تعلم أن جوناس سيحس بالألم الرهيب لرؤية زوجته هنا، وهي منذ أقل من ساعة، اتصلت به لتقول إنها لا تستطيع العشاء معه.

نظرت إيلين إليها نظرة حادة، وتصنعت الألم وكأنها تقول إنها تكدرت لأن جوناس يرافق لوارا..

ثم تقدم الرجل المرافق لإيلين ليخفف من جو التوتر.. وقال روب ماكفرسون برباطة جأش كادت توقف أنفاسها:

ـ ما أروع أن أراك مجدداً لوارا.

حاولت أن ترد، لكن لم يكن لديها الوقت بعد عودة جوناس. . ولاحظت كيف أن عينيه تشتعلان وهما تتركزان على إيلين. . وشاهدت الألم على وجهه قبل أن يتغلب عليه، ولأنها تعرف مدى ألمه، كانت بسمتها له أكثر من ترحيب به.

قال بما اعتبرته لوارا قدرة سيطرة هائلة على أعصابه:

ـ مرحباً إيلين. . روب.

كالغريق المتشبث بشيء ينقذه، أحست يده تمسك بيدها، وكأنه يحتاج إلى قوتها لتساعده على جمع شتات نفسه.

مع ملاحظة روب ماكفرسون النظرة التي أطلقتها لوارا لجوناس، ارتدت نظرته إلى أيديهما المتشابكة. . لكن، بغض النظر عما يعتقد، رأت من الطريقة التي رفع بها حاجبه، ومن السخرية في عينيه، أنه يقول لها: مجرد أصدقاء؟. . لكنها لم تحاول سحب يدها. . وسأل روب:

ـ هل تناولتما العشاء؟

رد جوناس:

ـ وصلنا لتونا.

تدخلت إيلين، أمام عجب لوارا:

ـ أعرف. . لماذا لا نتناول الطعام معاً؟

بدت الدهشة على جوناس، كدهشة لوارا، لاقتراح إيلين. . لكن ما هو نوع مشاعر روب ماكفرسون. . لا أحد يدري، مع أنه نظر إلى إيلين الصغيرة الجسم وتساءلت لوارا عما إذا كان يود التأكد من أنها جادة.

قالت لوارا:

ـ لا أظن أن لديهم طاولة غير محجوزة لأربعة أشخاص.

كانت تعتقد أن جوناس يفضّل أي شيء عدا جلسة رباعية تضم إيلين وروب. . وتذكرت تلك الليلة في المسرح، حين التقت إيلين لأول مرة. . يومها غار جوناس كثيراً من الرجل الذي كان يرافق إيلين، حتى أنه لم يتبادل الحديث معه. . لكن، وكأنها لم تتحدث، تجاهلها روب ماكفرسون ليسأل جوناس عن رأيه. . . ووافق جوناس:

ـ لا بأس عندي.

دون انتظار رأي لوارا، تحرك روب ليقوم بالترتيبات.

عاد بعد وقت قصير ليقول إن طاولة لأربعة تحضّر لهم.. كان يبدو طويلاً، قوي البنية، ووسيماً حقاً ببذلة السهرة... جو السلطة فيه لم يتركها مع بذلة العمل الرسمية. وأشاحت وجهها عنه.. بطريقة ما لم تتوقع أن يجد صعوبة في تغيير الحجز.

رافقهم كبير السقاة إلى الطاولة، وجلست إيلين قبالة لوارا ليكون لكل رجل فتاتين من حوله... إيلين بدت جميلة، ونظرت لوارا إليها تحاول أن تفهم تماماً ما هي اللعبة التي تلعبها.. ولاحظت أنها تعتمد على الماكياج كي يبدو فمها مغرياً أكثر مما هو. أبعدت نظرها عنها لتشاهد فرقة موسيقية من أربعة عازفين، تعزف الموسيقى لمن يرغب في الرقص.

لم يكن الحوار معقداً بعد أن تم اختيار الطعام. تكلمت لوارا قليلاً مع جوناس حول ما طلبت من طعام، وتحدثت إيلين عن السفر، ثم خاطب روب جوناس:

ـ كنت في أوروبا مؤخراً.. كما قالت لي إيلين.

رد جوناس باختصار:

ـ كان لدي بعض الأعمال هناك.

سألته إيلين:

ـ عدت اليوم؟

توقعت لوارا أن يقول لها إنها تعرف هذا.. لكنه رد باختصار:

ـ هذا صحيح.

ـ وهل كانت أعمالك ناجحة؟

لم تكن لوارا تعرف ما كشفه جوناس لزوجته عبر الهاتف.. لكنها ظنت أنه كان يوفر الأخبار الطيبة إلى أن يختلي بزوجته. ولم تستطع سوى الإشفاق عليه.. خصوصاً حين رد:

ـ جداً.

ثم وجّه كلامه لروب، دون عدائية.

ـ كيف تسير أعمالك روب؟

ـ هكذا وهكذا . . فالسوق هذه الأيام تبقينا على حذر .

ـ على منافسيك الصحو باكراً في الصباح ليكسبوا نقطة ضدك .

سمعت لوارا رأي جوناس، واضطرت إلى الموافقة عليه، لكنها كانت أكثر اهتماماً بأن تنتهي وجبة الطعام هذه بسرعة، وكان جوناس يتحدث عن شركة انهارت مؤخراً تحت ضغط الركود الاقتصادي. مما ذكرها بأنها لم تخبره بعد عن استيلاء دارموند على غولدر وبروك. وإذا لم تذكر إيلين له شيئاً خلال مكالمتهما فليس لديه فكرة أنها الآن تتعشى مع رئيس المؤسسة الموظفة فيها، إنه عالم غريب . . فهذا الصباح كانت تهاجم موقفه من العزوبية، وهذا المساء، بعد أن صممت أن لا تقترب منه، تتناول العشاء برفقته. وكأنما التقطت إيلين أفكارها، انضمت إلى الحديث، وقالت لجوناس:

ـ بالحديث عن الشراء والبيع، تعرف بالطبع أن دارموند اشترت غولدر وبروك؟

دهشة جوناس كانت واضحة:

ـ لا! . . متى؟ لم تذكري لي شيئاً لوارا .

رد روب ماكفرسون قبل أن تتمكن لوارا من الرد:

ـ لوارا سكرتيرة موثوقة .

ملاحظته ساعدتها على تخطي لحظة الارتباك مع أنها شكت في أن تكون ملاحظته التالية أكثر صفاقة:

ـ نحن محظوظون لكونها معنا في عداد الموظفين .

نظرت لوارا إلى إيلين، لا ترغب في رؤية نظرة السخرية في عيني روب التي ترافق كلماته الصادقة . . كانت تشعر بالذنب تجاه جوناس، لكنها أجفلت لأن ترى الفتاة الأخرى تحدق بها بنظرة لا يمكن وصفها سوى بالحقد . . لماذا اهتزت ثقتها بنفسها، بنظرة هذه الفتاة إليها؟ . . لا بد أن إيلين تريد إخراجها من الشركة أكثر مما يريد والدها. واضح جداً من نظرتها أنها لا توافق روب ماكفرسون الرأي بأن دارموند محظوظة لعمل لوارا ويلكنسون معها. تلك النظرة أخبرتها أن إيلين بريستونز تدفع أباها بشدة لكي يتم صرفها من العمل .

الذعر، الذي أصبح مألوفاً لها الآن، يمسك بخناقها بعد أن أدركت أن الشخص الوحيد الذي يمكنه الصمود في حمايتها ضد نيكولاس ماكداف، هو رئيس مجلس الإدارة نفسه، روب ماكفرسون . . وبوجوده اليوم هنا مع إيلين، كان يظهر مدى صداقته مع خصمها الأساسي .

أحست أن عيني روب ماكفرسون مركزتان عليها. فأبعدت عينيها عن إيلين لتنظر إليه .

أيمكن لرجل في مثل مركزه، أن يزعج نفسه في المقاومة، بغض النظر عن النتائج التي قد تترتب على أعمال غولدر وبروك، أمام ملاحقة، ليس فقط صديقته الجميلة إيلين، بل والدها كذلك العضو في مجلس الإدارة؟

تردد السؤال في ذهنها وهي تلتقي بالعينين السوداوين كالليل، ولأول مرة . . لا سخرية فيهما .

* * *

www.liilas.com
Ami

٣ ـ أنتَ لا شيء!

كم من الوقت استمرت لوارا تحدق بروب ماكفرسون ويبادلها النظر، هذا أمر لم تعرفه أبداً. . . ربما مجرد لحظات. . لكنها أحست بأن جو الوقار قد هجرها. . وأنه أحس بهذا أيضاً. . تلك العينان السوداوان كانتا تخترقانها وكأنه يحاول أن يرى ما بداخل روحها. ثم استدار لينظر إلى إيلين. . وكأنما أحس بأن شيئاً ما جرى بينهما. ثم رفع جوناس رأسه، بعد أن كان اهتمامه منصباً على وضع السكر في قهوته، غافلاً تماماً عما يجري حوله، وسأل روب:

ـ أكنت تعرف بأمر لوارا قبل أن تراها هذا المساء؟

أخذ قلب لوارا يخفق بشدة. . ولن تنسى تلك النظرة التي ظهرت على وجه إيلين بسرعة، لكن كانت هناك في تلك اللحظة أزمة أشد إلحاحاً تثير اهتمامها. فلو كرر روب أي شيء من الاتهامات التي ألصقها بها اليوم، لن تكون واثقة، وبغض النظر عن مكان وجودهم، من أن جوناس لن يوجه قبضته إلى فك روب ماكفرسون.

سارعت ترد قبل أن يقول روب شيئاً:

ـ في الواقع، كنت في دارموند بعد ظهر اليوم. أراد السيد ماكفرسون رؤيتي بسبب أوراق سريّة، وبشكل اضطراري.

ثم أخذت تشرح عن زيارتها، مستعدة للكذب بدلاً من أن تقول لجوناس ما حدث.

انتظرت من روب أن يعارضها، تعلم أنه سيفعل، إذا لم يرق له أن يوافق على أكاذيبها. أدارت رأسها تنظر إليه، لتجد أن السخرية عادت إلى عينيه. . وبدا أنه يعتبر شرحها لسبب زيارتها للشركة كافياً تماماً، فتنهدت بصمت ارتياحاً. . لكنه قتل هذا الارتياح بحدة حين قال لها:

ـ قد اكون رئيسك لوارا. . لكن ألا يمكنك ولو لهذه الأمسية أن تناديني روب؟

كان هذا آخر ما يمكن أن تتوقع سماعه منه، وفاجأها هذا للحظات، قبل أن تدرك أنه ربما يكون طلباً عادياً لأنه وجوناس من العمر نفسه، وهذه مناسبة اجتماعية.

أجابت، بعد تفكير، لكن دون إعادة ذكر اسمه:

ـ أجل. . طبعاً.

قالت إيلين، وهي التي لا تسمح لنفسها بأن تكون خارج أي حديث:

ـ حسناً. . إنه جو حميم.

وبدا أنها لن تتكبد أي عناء لتنقلب إلى شريرة. رد عليها زوجها بشيء من التصلب:

ـ أليس كذلك؟

تساءلت لوارا ما إذا كانت لدى جوناس فكرة عما تحاول إيلين أن تفعله؟ ماذا تفعل إيلين هنا مع روب وهي تعرف تماماً أنها ستجد جوناس في هذا المطعم بالذات، من بين كل الأماكن. . . لاحظت أن النظرة الصارمة المتشددة قد غادرت وجهه، لتحل محلها كآبة كشفت لها الألم الذي يعتري داخله. حين نظر إليها، كان من الطبيعي أن تشجعه بابتسامة.

ـ أترقصين لوارا؟

عيناها تركتا جوناس فجأة، لتجد روب يقف على قدميه، واضح أن فكرة رفضها لم تخطر على باله. وكانت سلطة هذا الرجل، بالرغم من أنها مغلفة بقفاز مخملي، قوية بحيث وجدت نفسها تقف، وترافقه معه إلى باحة الرقص.

الفرقة الموسيقية الرباعية كانت تعزف لحناً ناعماً تطلّب من روب أن يلفّ ذراعه حولها، وأحست بتلك الذراع تلفها كطوق من فولاذ، لكنه لم يشدها نحوه. أملت أن تكمل رقصها معه بصمت، إلا أنها، وقبل إنهاء الحركة الأولى وجدت أنها مخطئة، فقد كان لدى روب أشياء حادة ومحددة يقولها لها، والعدائية التي شهدتها في وقت مبكر من ذلك اليوم، ظهرت مجدداً وبكامل قوتها حين قال لها:

- ألا يمكنك الانتظار لتصلي إلى البيت قبل أن تلتهميه؟

صوته، البعيد عن الدقة، حرك غضبها من جديد، فسألت باختصار:

- جوناس؟

- ومن غيره؟ قد يكون عشيقك.. لكنني كنت أظن أن الذوق السليم يدعوك إلى إخفاء رغباتك خصوصاً في وجود زوجته.

أوه.. كم تتمنى لو أنها قالت لجوناس كل شيء.. وكم ترغب في أن تتخلى عن كل شيء، أي شيء، لتوصل لكمة إلى هذا الفك.. وبنفسها!.. إذ لمجرد أن هذا الرجل المتعجرف شاهدها تبتسم لجوناس، وجد في هذه الابتسامة دليلاً على أنها تعض النواجذ اشتياقاً لأن تأخذه إلى منزلها.. ردت متصلبة:

- لقد قلت لك إننا مجرد صديقين.. نحن لسنا الآن، ولم نكن يوماً عشيقين.. ولو استطعت أن ترفع مستوى تفكيرك عن الأرض، لصدقتني.

- ولو أنك شاهدت من هذا العالم ما شاهدته، لعرفت أنني لا يمكن أن أبتلع هذه الأكذوبة.

عدائيته لها، لم تؤثر، ولا بأية طريقة على رشاقته في الرقص، فاستدار بها دورة رائعة، استطاعت أن تلحق بها دون انزعاج.. ومع ذلك انفجرت:

- أووه.. صدّق ما شئت.. اللعنة عليك!

دون انتظار رأيه فيما سمع تابعت بحدة:

- وبما أنك رجل واسع الأفق، لا أعتقد أن وجودك الآن مع إيلين هنا، يعني أنك قد ترضى بمجرد الإمساك بالأيدي حين تعيدها إلى منزلها هذه الليلة!

في سرها، علمت لوارا أن هذا كلاماً شريراً، لكنها لم تندم عليه. لماذا يظن نفسه قادراً على أن يقول لها ما يريده ولا يتلقى الرد المناسب؟ حين تراجع عنها قليلاً لينظر إلى وجهها، توقعت أن يوبخها على كلامها، لكنها رأت أن الغضب قد زال عن وجهه وظنت النظرة التي ظهرت فوقه الآن، نظرة حيرة.. وسألها ببطء:

- ألا تعرفين أن إيلين هي ابنة خالي، وأن نيكولاس ماكداف هو شقيق

أمي، وأن عائلتينا كانتا دائماً متماسكتين؟

النظرة التي كانت في عيني لوارا أخبرته أنها لم تكن تعلم.. وانتهى اللحن الذي كانت الفرقة تعزفه، لكن روب لم يبعد ذراعه عنها، بل وقف ينظر إليها، وتبادله النظر.. ثم عادت الموسيقى، وعاودا الرقص مجدداً، على لحن «سلو» ناعم آخر.

ما قاله لها بدأ يستقر في ذهنها، فقالت:

- لم يكن لديّ فكرة.

صمت روب وهو يقود خطواتها وفقاً لوقع الموسيقى.. وأحست بمعنوياتها تنخفض.. لم تكن تفكر أبداً أنها ستواجه معركة شرسة للحفاظ على وظيفتها، بعد أن عرفت الآن أن إيلين هي المحرك الأساسي وراء محاولة صرفها من العمل.. لكن.. ما هي فرصها الآن بعد أن عرفت كذلك أن إيلين ليست صديقة عادية لروب، بل هي أحد أفراد عائلته؟ ولطالما كانا متقاربين كما قال! تذكرت انه قال لها انه يعترض بشدة على أن يتعرض للضغط في كل مناسبة للتخلص منها. ثم قال إنه «لأسباب أخرى» يجد نفسه مضطراً للمقاومة. وأدركت، أن هذه «الأسباب الأخرى» هي روابطه العائلية.. ومع أن شخصاً في مثل مركزه قد يتمكن من قول لا، ويعني ما يقول، كان لبعض أفراد الأسرة امتيازاً خاصاً.. ساعتها تكون تلك اللا موجودة للتصرف على أساسها.

سألته وهي تتابع التفكير:

- إيلين تريد طردي أيضاً، أليس كذلك؟

- هذا ليس بالأمر الغريب.. أليس كذلك؟

ها قد عاد إلى تفكيره الأصلي بأنها عشيقة جوناس.. ووجدت أنها ستضيع أنفاسها في تكرار ما قالته سابقاً.. يمكنها الإنكار حتى تكاد تختنق.. ولن يصدقها.. لكنها قالت محتجة:

- إيلين هي التي تركت جوناس، وليس العكس.

رد بحدة:

- ما من امرأة في مستوى إيلين، تبقى مع زوجها بعد أن يبدأ بالعبث.

ـ لكن . .

كانت تحاول أن تقول له إنها واثقة من حب جوناس لزوجته، وإنها لا تظن أبداً أنه كان يعبث . . لكن صدمة باردة هزتها قبل أن تكمل كلامها، بعد أن استوعبت أن ما يقوله روب ماكفرسون هو أنها وجوناس، كانا على علاقة، حتى قبل أن تتركه إيلين . أحست بالغضب يشتعل من جديد . . بدأت الكلام :

ـ انتظر لحظة الآن . .

كانت ستقول له بكل صراحة إن إيلين تركته قبل ثلاثة أشهر من تعرفها إليه . . لكن روب قاطعها مهاجماً :

ـ لا . . انتظري أنت لحظة ! واضح لي أن إيلين نادمة على تركها لزوجها . . وواضح أكثر واقع أنها تريد العودة . . .

سألته لوارا تقاطعه :

ـ وما الذي يجعل من الواضح لك أنها تريد العودة إليه؟

لم تكن تصدق كلامه، فإيلين يمكنها العودة إلى جوناس ساعة تشاء، وتعرف هذا. لو أنها ليست عنيدة حول إصرارها في أن ترى زوجها يدخل مجلس إدارة شركة دارموند . . لتمكنت . . .

قاطع روب أفكارها :

ـ إنها لم تستطع الانتظار لتراه الليلة .

هذا أوضح للوارا أنه لا يعرف شيئاً عن أن إيلين رفضت دعوة جوناس للعشاء . . وأكمل روب كلامه :

ـ اضطررت للاتصال بوالد إيلين لمسألة طارئة . وحين أنهيت مكالمتي معه، دخلت إيلين على الخط تقول إنها تشعر بالإحباط وتطلب أن آخذها إلى العشاء . . ولم أفكر بشيء، فهي تطلب مني دائماً أن أخرجها معي . . لكن ما أن رأيتكِ، حتى علمت أن بريستونز ليس بعيداً عن المكان . وحين اقترحت اجتماعنا نحن الأربعة، عرفت لماذا اختارت هذا المطعم بالذات . . وكما قلت، لم تكن قادرة على الانتظار لتراه .

استمعت لوارا إلى ما قاله لها، وكادت تكشف له أنها لا تستطيع تصديق قصته، لأنها تعرف أن جوناس اتصل بزوجته قبل أن تتكلم هذه معه لتطلب منه

إخراجها إلى العشاء . . لكنها لاحظت شيئاً لم يلاحظه هو، ولا يمكن أن يكون قد رآه . . لأن إيلين لم تكن تجد من المناسب أن تخبره أن جوناس كان دائم الاتصال بها . . وعرفت بالضبط ما هي اللعبة التي تلعبها إيلين .

استنتجت لوارا، أن إيلين قد تكون راغبة في رؤية جوناس، لكنها كانت ترغب في إيقاع الألم بجوناس . . وتمكنت لوارا أن ترى ما لم يستطع روب أن يراه بسبب جهله بالترتيبات السابقة وإلغاء ابنة خاله لموعدها مع زوجها، فإيلين قد حصلت على فرصة نادرة في أن تصيب عصفورين بحجر واحد . . فقد كانت تعرف أن جوناس قد حجز طاولة في هذا المطعم، وعرفت حين اتصلت به مجدداً لإلغاء الموعد أنه سيتصل بلوارا ليأتي بها معه . . وبمجيئها إلى هنا مع روب، أمنت لنفسها أن لا ترى جوناس فحسب، بل أن تجعل رئيس مجلس إدارة دارموند يصدق أن الشخص الوحيد الذي لم يستطع جوناس انتظار رؤيته حين عاد من سفره هو لوارا ويلكنسون . وأنه لم يفكر البتة بزوجته . كما أنها لم تضع وقتاً في إبراز هذه النقطة حين سألته بطريقة عفوية مزيفة : «هل عدت اليوم؟» وكأنها لا تعرف!

صدمة رهيبة أن تعرف لوارا أن إيلين تريد صرفها من العمل بأية طريقة، حتى أنها تمادت إلى هذا الحد . . وتمكنت من رؤية مدى الابتزاز العاطفي الذي تمارسه إيلين، وتذكرت تظاهرها بالتألم حين شاهدتها في مدخل المطعم . . وعرفت أن لا مجال إطلاقاً لأن تجعل روب ماكفرسون يصدق بأنها وجوناس مجرد صديقين .

سألت، دون أن تنوي متابعة نظريتها التي استنتجتها :

ـ إذاً . . أنت تظن أن إيلين لا تزال تحب جوناس؟

ـ أنا واثق من هذا .

أدارها بين ذراعيه وهو يراقصها، بحيث استطاعت رؤية الطاولة حيث يجلس جوناس وإيلين . . أمام ذهولها، شاهدتهما يضحكان على شيء قاله واحد منهما . . ويبدوان كأن لا وجود لأحد غيرهما . ثم قادها روب بحيث لم تعد تراهما . وسمعت صوته فوق رأسها يسأل :

ـ ألا يمكنك تركه يا فتاة؟

سؤاله لم يكن ساخراً ولا بارداً . . وبينما حاولت معرفة ما تعنيه لهجته، أدركت، بصدمة كالصاعقة، أنها الشفقة .

ذهلت . . الشفقة! يا إلهي . . إنه مؤمن بأنني أحب جوناس حقاً . . ! وأن رؤيتي لهما متفقان كدرتني! وكيف له أن يعرف أن إحدى أعز الأمنيات على قلبها أن تعود إيلين إلى جوناس، ليعود جوناس سعيداً مرة أخرى .

كانت الفرقة تعزف آخر شطر من اللحن، وتوقفت الموسيقى . . لوارا لم تكن قد تكلمت منذ طلب منها روب أن تترك جوناس وشأنه . . لكنها وهي تترك نصف دائرة ذراعه، أحست أن الذراع الأخرى المحيطة بخصرها، ترفض أن تتركها . فرفعت نظرها إليه لترى أن أي شفقة كانت قد أحست بها في لهجته قد أصبحت من الماضي . . وقال بحثها :

ـ اتركيه لوارا . . بابتعادك عنه قد تكون هناك فرصة لحل خلافاتهما .

أرادت أن تنتزع نفسها من ذراعه، لكنها لم ترغب أن يشهد أحد صراعاً لا طائل وراءه لو حاول التمسك بها . . أهناك فعلاً فرصة لإصلاح الخلافات؟ فجأة أحست بنفاذ الصبر حيال الجميع، بمن فيهم جوناس . . فهي ليست أبداً العقدة أمام المنشار .

لم تستطع أن ترى نفسها في صورة (المرأة الأخرى) وأسقمتها الصورة التي رسمها لها روب ماكفرسون . فصاحت بحدة :

ـ حسناً جداً . . بإمكان إيلين أن تحصل على فرصتها مع جوناس . . وبما أنك فجأة انقلبت إلى مصلح اجتماعي وتحس بحاجتك إلى عمل الخير . . بإمكانك إعادتي إلى منزلي، وبما أنك أنت العبقري . . فكّر بشيء تقوله لجوناس .

تركها روب، ونظرة حادة تعلو وجهه :

ـ يا إلهي . . كم أنت واثقة منه! أم أنك . . ترين في سمكة أكبر للاصطياد؟

كيف تمكنت من إطفاء غضبها، لم تكن تدري . . لكنها توجهت إلى طاولتهم غير عابئة بما إذا كان قد لحق بها أم لا، وهي تقول :

ـ أنا واثقة أنك دائماً تحتفظ معك بحذاء الركض، حيثما تذهب .

لم تتوقع أن يلتقط روب القفاز الذي رمته في وجهه في فورة الغضب، ويقبل التحدي . . لكنها وقبل أن تتمكن من استعادة مقعدها، ذهلت حين جذبتها يده من ذراعها توقفها، وسمعته يقول لجوناس انه سيوصلها إلى البيت .

لم تعرف كيف تمكنت من إخفاء ذهولها وهي تسمعه يلتقط كذبتها التي بدأتها حول زيارتها له بعد الظهر ويدعي أن الأوراق التي جاءت لأجلها إلى الشركة، أخذتها معها إلى المنزل . . وكان يقول لجوناس بثقة وسهولة، إنه اكتشف وهو يراقصها أنه بحاجة إلى تلك الأوراق لاجتماع صباحي مبكر، وأنها لن تتمكن من إيصالها له في الوقت المحدد غداً .

كيف تمكنت لوارا من أن تخفي دهشتها أمام سهولة كذبه . . وعرفت أن تألقه قد اكتمل بقوله :

ـ أتمانع في إيصال إيلين إلى منزلها لأجلي؟

بعد جلوس لوارا إلى جانب روب في سيارته واتجاهه بها نحو شقتها، قالت له :

ـ حسناً جداً . . عرفت الآن أنك عبقري .

لم تكن تعني أن تطريه، ولم تبدُ ملاحظتها سوى ساخرة . . لكن هذا لم يزعجه . . . بل قال :

ـ التواضع يمنعني من موافقتك تماماً .

لم تشعر لوارا يوماً بمثل هذه الرغبة في ضرب رجل . ولما تبقى من الطريق، أبقت كلامها معه مختصراً بإرشاده إلى الطريق . . بعد أن أوقف السيارة سألها :

ـ هل لي أن أدخل معك؟

لم ترد عليه . . تعرف أنه سيجد في عدم ردها الرفض المطلق . . لكن، راعها أن تجد أنه فسّر سكوتها بالموافقة . . ووجدته يغادر السيارة ويصعد السلم إلى الباب الرئيسي معها . . . فتنفست بعمق في جهد للسيطرة على سخطها المتصاعد، ودست المفتاح في باب المدخل الرئيسي، واستدارت لتقول له عمت مساء بطريقة حازمة تصرفه عنها . . لكنه دفع الباب وساعدها على الدخول،

مضيئاً المصباح، ثم استدار ليقفل الباب ثانية.

قالت مجدداً، وبحزم:

ـ عمت مساء.. سيد ماكفرسون!

ـ سأوصلك إلى باب شقتك.

وأحست بحلقة المفاتيح تنتزع من يدها، وأشار إليها لتتقدمه.

سارت أمامه إلى الطابق الأول حيث شقتها الصغيرة، ووقفت تشحذ أسنانها وهو يفتح الباب، ويتراجع ليتركها تمر أمامه.. يداهما وصلتا إلى مفتاح النور معاً، وأحست بقشعريرة لمسته في الوقت نفسه الذي غمر فيه النور غرفة جلوسها. فسارعت لإبعاد يدها عن يده، لكنه لم يترك لها يدها.. بل أقفل الباب ونظر حوله إلى الغرفة الصغيرة النظيفة الأنيقة، وهو لا يزال ممسكاً بيدها. فقالت له:

ـ أيمكن أن أستعيد يدي؟

مشاعرها المتزايدة اضطراباً كانت تشتد تذبذباً حين تستقر عيناه على شفتيها... يا إلهي لا تدعه يبدأ شيئاً معها.. لكنها لم تكن واثقة من أن اضطرابها هذا كان بسبب خوفها على وظيفتها، أم أنه بسبب شيء ما في نظرته إليها... تلك النظرة كانت تقول لها إنه نادراً ما يواجه الرفض في مثل هذه المواقف.

قال لها، دون الإذعان لطلبها:

ـ إنها يد جميلة جداً.

رفعها يتفحصها أكثر، قبل أن يضعها على فمه يلامسها بشفتيه.. حاولت لوارا سحبها.. كانت تحس بلهيب غريب من المشاعر غير مرغوب فيها وغير مفهومة لها، بعد أن رفض ترك يدها، واستغل الموقف ليقربها إليه أكثر.

ـ أنا.. أنا.. أظن من الأفضل أن تذهب الآن سيد ماكفرسون.

كرهت سماع صوتها القاسي أكثر مما كانت تنوي. لكنه رد عليها بنعومة يصحح لها كلامها:

ـ روب.. ووجهك جميل يماثل يديك الجميلتين لوارا.

شدها أكثر، فاضطرت إلى التقدم خطوة، جعلتها تقترب أكثر.

ـ اسمـ.. اسمع.. سيد ماكفرسون..

ـ هس!

ما كانت تتوقعه، ما كان جزء من عقلها يود قوله، بدأ يحدث.. فقد أحنى روب رأسه باتجاه وجهها... ففتحت فمها محتجة، لكنها لم تستطع فعل أكثر من هذا، وأحست لوارا أن عناقه هذا غريب عن كل ما اختبرته في حياتها.

حاولت بكل طاقتها مقاومة مشاعرها.. تتساءل بعجب لماذا يجب أن تقوم بكل هذا الجهد لمقاومته. لكن ما أن أطبقت ذراعاه عليها، حتى واجهت أقسى عمل تقوم به وهو أن لا تستسلم. ارتفعت يداها تلتفان حوله وعلمت أنها لم تعد تفكر.

لكن الفتاة التي عرفتها في نفسها دائماً، تراجعت، خائفة مما قد يقود كل هذا إليه.. وأساء فهم حركتها، فقال هامساً في أذنها:

ـ انسي أمر بريستونز.

سماعها اسم جوناس، جعل مشاعرها تتفكك وتتضح بعد أن تذكرت ما قاله لها روب وهما يرقصان: «يا إلهي كم أنت واثقة منه! أم أنك ترين في سمكة أكبر للاصطياد؟» أهذا ما يعنيه من كل ما يفعل الآن؟ أيظن أن تحديها الطائش له بأن يوصلها إلى بيتها يعني له أنها لن تمانع في ترك جوناس من أجل «لقطة» أكبر؟ وإذا كان هذا ظنه، فلماذا يظهر لها كل دليل على أنه يجاريها في لعبتها، وبكل وعي منه؟

طافت هذه الأفكار في رأسها، لتصل إلى توقف كامل، حين أحست بأصابعه تعبث بسحّاب فستانها. لمسته خبيرة، بحيث لم تشعر بها على الفور، وجمدت، ثم قالت ببرود:

ـ يمكنك أن تعيد السحّاب مكانه.

على الفور توقف وتراجع ينظر إليها. تعبير وجهها المتجمد تركه من دون شك في أنها تعني ما تقول. هز كتفيه، وعادت النظرة الساخرة إلى عينيه:

ـ كما تشائين سيدتي...

مما دفعها، ويا للأسف، أن تعرف، أنه وفي وقت كان يجعل نبضات قلبها

تتسارع حتى كاد قلبها ينفجر، كان إغواؤه لها يتم بكل برودة أعصاب. وقال:

ـ أعتذر لوارا.

الطريقة التي اعتذر بها كانت مهينة، فواضح أن تأثيرها عليه، على الرغم من نوعية التأثير الذي كان له عليها، كان طفيفاً وأكمل:

ـ يبدو أن طريقتي في المغازلة ليست ما اعتدت عليه.

لم تشك أبداً أن كلامه هذا مجرد إظهار آخر لما يعتقده عنها، فاختلط غضبها مع ألمها، لتقول متهورة:

ـ هذا صحيح بما يكفي.. فأنا معتادة على.. كمال محدد..

أي شيء آخر كانت تنوي قوله ضاع من رأسها حين رأت أن السخرية ماتت عن وجهه.. لقد قصدت أن تؤلمه، وعرفت أن لذاعة تعليقها، واستخدامها لكلمة «الكمال» قد أصابت الهدف.

قال لها بكبح غضبه:

ـ ربما لم أكن لبقاً كعادتي في مثل هذا الموقف.. لكن مع إعطائك لي إشارة الانطلاق حين دعوتني إلى أن أوصلك إلى منزلك.. وعلى الرغم من محاولتك الظهور كصعبة المنال، ظننت نفسي قد وصلت، دون حاجة إلى اللباقة.. لكن، بكمال أم بدونه، ما كنت ستعترضين لولا أنني ذكرتك بأن بريستونز يبدو لك استثماراً أفضل مني على المدى الطويل.

لم تشعر يوماً بسعادة مماثلة لسعادتها الآن لأنها أوقفته عند حده كما فعلت... فهو لا يحاول أبداً أن يخفي عنها أنه سوف يسأم بسرعة من أي شيء قد تقدمه له.. وزادت سعادتها حين أضاف:

ـ لولا أنني ذكرتك بالتزامك معه، لسارت الأمور بشكل مختلف.. ولما كان رفيق ليلك الليلة رجل متزوج.

لو أنها كانت تنوي جرحه بقولها له إن الكمال ينقصه، فإن انتقاده البارد لها، ورأيه الصريح بأخلاقها كان أكثر إيلاماً، خصوصاً وأن هذه المرة هي الأولى التي تنسى فيها نفسها إلى الحد الذي تتجاوب فيه مع رجل.. ازدراؤه الشديد لها جعلها تحس بالغثيان.. ثم أدركت فجأة، وبوضوح، الرد على ما

كان يحيرها منذ دقائق.. الرد عليه بأنه لماذا سمح لنفسه، وحسب ظنه بها، بأن تستغله. وهو يظن أنها تجري خلف رجل يتفوق على جوناس في خبرته مع النساء.. هذا الرد أصبح فجأة شديد الوضوح. وشاهدته يتقدم نحو الباب، وعرفت أنه مستعد للرحيل بعد أن قال ما يريد قوله، فقالت له:

ـ كنت تحاول إخراج جوناس من حياتي، أليس كذلك؟ ظننت أنني لو استسلمت لك، فكل ما عليك أن تفعله هو أن تخبره في الغد بما جرى، وما أن يعرف ذلك حتى تنتهي علاقتنا فوراً.

استدار روب، وإذا كان غاضباً، فقد زال غضبه الآن.. وقال ساخراً:

ـ لكنك لست على علاقة معه.. صحيح؟ بكل تأكيد أنتما مجرد صديقين؟

الإحساس بالغثيان الذي أخذته لوارا معها إلى الفراش كان لا يزال معها حين استيقظت في الصباح التالي. تذكرت مرة أخرى ما حدث بينها وبين روب ليلة أمس. كانت تأمل أن تكون مشاعرها قد خمدت قليلاً بعد بضع ساعات من النوم، لكنها وجدت أن ذلك لم يحدث وهي تتساءل مرة أخرى ماذا دهاها معه.

لم يكن في الرجل أي شيء يعجبها.. لطالما كانت تفكر، أنها وحين يأتي الوقت، وتجد الرجل الذي تمنحه قلبها، سيكون ذلك الرجل لطيفاً، محباً، ورقيقاً. كانت تؤمن أن الإحساس بالرغبة في أن تبقى بين ذراعيه لاختبار المزيد، سيحصل حين تكون قد اعتادت على ذلك الرجل لبعض الوقت وعرفته أكثر. وأن تكون نظرتهما المشتركة لبعضهما، وببطء متدرج، قد وصلت إلى مرحلة يأخذ حبهما المشترك فيها مسيرته الطبيعية... روب ماكفرسون، لم تعرفه سوى منذ أقل من اثنتي عشرة ساعة.. رجل لم يكن لطيفاً، ولا محباً، ولا رقيقاً. أخذها بين ذراعيه، ليقلب كل نظرياتها عن الحب رأساً على عقب.

ماذا عن «ردة فعلها»؟ خرجت من السرير بسرعة، وأخذت تدور في شقتها تستعد للذهاب إلى المكتب، لتهرب من أفكارها. لكن لا مجال للهرب. كانت الأفكار تربط مرفقيها وهي تستحم، ترتدي ملابسها، وتمسك بخناقها. هل كانت هي نفسها حقاً تلك التي تصرفت ليلة أمس؟ ابتلعت قليلاً

من القهوة الساخنة، لتحصل على لحظات قليلة من الراحة من أفكارها المعذبة، لكن سرعان ما عادت تلك الأفكار إلى التزاحم. المشاعر التي أحستها ليلة أمس كانت خارج إطار أي تجربة اختبرتها من قبل... أوه.. صحيح أنها عرفت رجالاً من قبل، لكنها دائماً كان لها تحفظ محدد معهم.. ولم يكن من عاداتها العبث معهم.. ليس هذا من طبيعتها.. أو هكذا كانت تظن.

أحست بالعرق البارد يتصبب من جسدها وهي تتابع أفكارها.. ماذا لو رفض روب أن يتقبل رفضها؟ ماذا لو أنه كشف محاولاته، وتجاهل احتجاجاتها، وتابع ما كان يفعله؟ أكان من الممكن أن يتداعى كل ما آمنت به، ماذا لو استطاع أن يتغلب على مقاومتها؟ ماذا؟ لا بد أنه كان سيضحك بسخافة إعجاباً بنفسه هذا الصباح! ولكان قد عرف أنها كانت تقول الحقيقة حين قالت له إنها ليست عشيقة جوناس.. ولكان قد عرف أنها لم تكن يوماً عشيقة لأي رجل.

ركزت لوارا بقسوة على عملها، وهي تحس بالفرح لوجود ما يشغلها عن التفكير، إلى أن رن جرس الهاتف... وقال لها الصوت من الناحية الأخرى:

ـ آه.. لوارا.

إنه صوت الرجل الذي احتكر الكثير من أفكارها وبعد قت قصير من معرفتها به.. وتابع ذلك الصوت الكريه يقول ساخراً:

ـ هل حاولت الخلاص مني بالنوم؟

ابتلعت ريقها، وتمسكت بأفضل ما تدربت عليه كسكرتيرة، لتقول ببرود:

ـ صباح الخير سيد ماكفرسون.

ليلة أمس كانت تناديه روب.. وكادت تفقد سيطرتها على نفسها لكنها سارعت للتشبث بها:

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

رد ساخراً: «بكل تأكيد».

تبع ذلك صمت قصير، ربما كان ينتظر خلاله أن تفهم كلامه ذُو الحدين.. واشتد ضغط شفتيها إلى أن أصبحتا خطاً مستقيماً، لكنهما سرعان

ما انفرجتا حين تابع كلامه:

ـ تعالي إلى هنا في أسرع وقت ممكن.. أنت فتاة طيبة.

أوه.. يا الله، ألن تتغلب أبداً على قلقها حول مسألة صرفها من العمل؟ وسألت رئيس مجلس إدارة دارموند، وهي تدرك تماماً أنه لا يتوقع من أحد أن يتساءل حول أوامره: «لماذا»؟

ـ أستطيع أن أقول، لأنني أقول لك هذا. لكن ولأنك على الأرجح مضطربة، وتودين إنهاء أعمال ناقصة في مكتبك، ولأنك لن تعودي...

لن تعود؟ ما إن تفهمت هذه الكلمة، حتى تحطمت كل محاولاتها للتماسك. وأصبحت كل مشاعرها متوترة بعد أن عرفت أنها لن تعود إلى مكتبها هنا في شركة غولدر وبروك.. فقاطعته قبل أن يكمل:

ـ إذا كنت تظن أنني سأقطع المدينة لمجرد أن تقول لي إنني مصروفة من العمل.. بإمكانك التفكير ثانية سيد ماكفرسون!

لم تعد لحظتها تفكر، وكانت الكلمات تتدفق منها دون وعي.. وأكملت:

ـ وأستطيع أن أقول لك: إن ظني بشركتك ليس بالجيد مهما كانت كبيرة. خصوصاً وأنك قادر على أن تعود بسهولة عن وعد قطعته للسيد غولدر ثم تتخلص من موظفيه لحظة يدير ظهره!

كان الغضب قد تملكها تماماً.. أهذا هو الرجل الذي احتواها بين ذراعيه ليلة أمس؟ عاد الغثيان يتملكها مجدداً وهي تتذكر كيف استطاع، دون الرجال، أن يثير فيها مشاعراً لم تكن تعرف بوجودها... ثم وبعد أقل من اثنتي عشرة ساعة، يطردها من عملها... غيظها من أفكارها، مختلطاً مع الذعر، من أنها لن تستطيع الوفاء بالتزاماتها لعائلتها، أنساها واقع أن ما من أحد يجرؤ أبداً على التحدث هكذا مع روب ماكفرسون.. وأكملت تهدر بالغضب:

ـ ورأيي فيك هو أنك أقل من لا شيء روب ماكفرسون، فأنت الضعيف

الإرادة تستسلم أمام الضغط، الضغط الجائر، من أقاربك، الذين لا يملكون الجرأة وحسن الأدب لمواجهتي شخصياً . . .

كانت على وشك أن تضيف أنها لن تفكر بالعمل في شركته لدقيقة أخرى حتى ولو ضاعف مرتبها، لكنها صمتت قبل أن تكمل كلامها عندما جاءها صوت راعد من الطرف الآخر:

ـ اخرسي! كلمة أخرى منك ستجعلني أطردك حقاً!

همست، وصوتها يموت مع غضبها:

ـ أتعني . . .

ـ اخرسي واسمعي! قلت لك بالأمس إنك ستكوني سكرتيرة لهيوز مكدونالد حين يعود إلى عمله إذا كان هذا ما تريدين. وبغض النظر عن أي ضغط عائلي، لن أتراجع عن كلمتي! والآن، إنهي كل الأعمال العالقة أمامك . . واحضري إلى هنا.

ـ لكن . . لماذا . .

ردبيرود:

ـ لو تركتني أقول لك قبل أن تنفجري وتسيئي إلى شخصيتي، كنت سأقول لك . . ينقصنا بعض الموظفين هنا . . وستعملين حيث أستطيع مراقبتك لفترة.

ـ أعمل . . . ؟

صاح منفجراً:

ـ تحركي!

وأقفل الخط.

هل جن؟ أوه . . يا الله . . إنه غاضب جداً! أعادت السماعة إلى مكانها وهي شاحبة، محاولة تذكر كل ما قالته له . . هل قالت له حقاً إنها تحتقر دارموند؟ هل قالت له حقاً إنها تظنه أقل من لا شيء؟ لم تعد ترغب في أن تتذكر المزيد، لكنها لامته للتسبب في اضطراب مشاعرها كما فعل ليلة أمس . . كانت مستعدة للانفجار في وجهه في محاولة منها للانتقام من المشاعر التي أثارها

فيها . . لكن . . أوه . . لو أنها فقط انتظرت لتسمعه أولاً . . . هل وصفته حقاً بضعيف الإرادة؟

ذلك الرجل الذي كان أقوى من أن يلين أمام ضغط اثنين من أفراد عائلته، ومن قال لها إنهما مقربان له؟

* * *

www.liilasa.com
Aml

٤ ـ وذاب جبل الجليد

حين وصلت لوارا إلى مكتب روب ماكفرسون بعد وقت من هذا قال لها:

ـ أغلقي الباب وراءك لوارا.. أتسمحين؟ واجلسي.. وصلت في وقت مناسب.. ظننتك ستتأخرين حتى بعد الظهر.

ـ لقد قلت لي «تحركي!».

أوه.. ليتها لم تقل هذا.. فقد ذكّرته بمكالمتهما لكنه رد بنعومة:

ـ آه.. أجل.. وأنت، كما أظن، قلت الكثير.

كان صوته يكاد يكون متمدناً.. لكن «يكاد» فقط. لهجته هادئة، لكنها أحست بتصلب حديدي تحت لهجته التي تماثل صلابة فولاذ عينيه.. عرفت أنه لن يدعها تنجو بفعلتها بسهولة. وقالت بحذر:

ـ لقد وقعت بالفعل، قبل أن يدفعني أحد.. ألم أفعل؟

لم يكن هذا حتى بداية اعتذار، لكنه الحد الذي كانت مستعدّة لأن تصل إليه.. قال معلقاً:

ـ بإمكانك قول هذا. وبإمكانك الاعتذار بطريقة أفضل كذلك.

أحست بقساوة الحديد في صوته تقترب من السطح. لكن حين أحست أنه من الأفضل لها أن تعطيه الاعتذار غير المتحفظ، الذي يستحقه، ويضغط ليحصل عليه، تحرّك شيء ما في طبيعتها، يجاهر بالرفض. فسألها:

ـ أتحسين بالألم لقول آسفة؟ أم أنك مؤمنة حقاً أنني ضعيف الإرادة، ناكث للعهود؟

عرفت أنه يلاعبها لعبة القط والفأر.. فهو لم ينس كلمة واحدة مما قالته له.. وهو يكرهها لمحاولة إرباكها.. حسناً.. إنه لا يعرف لوارا ويلكنسون جيداً! وستكون ملعونة لو ارتبكت أمام ضغطه! ردت ببرود:

ـ لا يؤلمني البتة أن أقول إنني آسفة، أكثر مما يؤلمك أنت.. لا أظن هذا.

ـ أتقترحين أنني مدين لك باعتذار؟ لماذا؟ أظنك قلت بالأمس إنك لست غريبة عن تلقي الغزل من الرجال، فهل أعتذر عن محاولة جعلك تنسين بريستونز لفترة قصيرة؟ أم أعتذر عن جعلك تنسين نفسك؟

ـ أنسى نفسي؟

ـ أتقولين إنك لم تفعلي؟

ردت لوارا بكل الثبات الذي تمكنت من جمعه:

ـ هذه النقطة ليست قيد البحث.. فما حدث بالأمس يمكننا رده إلى التجربة.

ـ إذاً أنت لا تطلبين الاعتذار لنقص كفاءتي؟ إذا لم يكن هذا لوارا، فما الذي أعتذر عنه؟

صاحت:

ـ تعرف جيداً.. حين تكون مستعداً للاعتذار عن كل الاتهامات الكاذبة التي رميتني بها يوم أمس.. وعن الأشياء التي قلتها، عن كل ما تظنه بي، سأعطيك ساعتها...

ـ ألا زلت مصممة على أنك وبريستونز لستما سوى صديقين؟

لم ترد عليه.. لم ترَ موجباً.. لقد مرا بكل هذا من قبل.. ثم، وهي تجلس تفكر بسخف كل هذا، وكم هي يائسة للحفاظ على وظيفتها، وكيف أن روب ماكفرسون يقف بين نارين لطردها، ولربما يتلقى يومياً التظلم ضد لوارا ويلكنسون، مال إلى الخلف في كرسيه، وبدا لها، في كل ذرة منه، رجلاً أكثر من قادر على أن يقرر ما يريد دون مساعدة خال أو ابنة خال. وقال:

ـ سأعترف أن بعض الأشياء التي حدثت بالأمس أعطتني سبباً للتفكير بأنك لست متورطة مع بريستونز كما يظهر على السطح.

على الفور، ارتفعت معنوياتها.. لم تكن واثقة لماذا تقلقها إمكانية شكه في وجهة نظره السابقة حولها. ربما، سبب هذا القلق، هو اعتقادها أنه لو صدقها فسيقف إلى جانبها.. ويمكنه بذلك أن يقف في وجه أي ضغط. لكن، هناك مجرد تلميح منه بأنه قد يصدقها. لذلك، قبل أن تتنهد ارتياحاً، من

الأفضل لها أن تعرف ما الذي شهده ليلة أمس، ليدفع الشك إلى نفسه.

ـ قلت إن أشياء حدثت...

ـ لو كنت تحبين بريستونز بعمق كما أفترض، فمن المستحيل، حتى ولو كنت سكرتيرة موثوقة، أن تخفي عنه مفاوضات استيلاء مجموعتي على غولدر وبروك. اعذريني لصراحتي.. لكن هناك الكثير من أسرار كبيرة وخطيرة تتسرب في الفراش.

لم ينتظر ليرى ما إذا كانت تسامحه لصراحته بل أكمل:

ـ من ناحية أخرى، لم تكن لديك فكرة عن علاقة عائلة إيلين بمؤسستنا، أو واقع أنها ابنة خالي. وهذا يؤكد واقع أنك عشيقته، فالغبي وحده يخوض في تفاصيل عائلة زوجته مع المرأة الأخرى. القليل من العشيقات يرغبن في خوض مثل هذه التفاصيل، لكن بريستونز ليس بالغبي.

ـ يبدو لي مما قلته، إن رأياً يلغي الآخر، وإنك لا زلت تصدق ما تتهمني به.. ولا شيء أقوله، أو تلاحظه أنت يجعلك تغير رأيك.

ـ هذا ما يبدو.. لكن هناك شيء حول الطريقة التي جعلتني فيها آخذك إلى منزلك، يجعلني أعتقد أنك راغبة في أن يتصالح بريستونز مع إيلين.

ردت بحدة وهي تتذكر ما قاله لها:

ـ مع أنك ظننت ساعتها أنني ما قمت باقتراحي هذا إلا لأنني أعتقد أن إيلين لا تنافسني؟ وكنت تظنني كذلك أسعى إلى «القطة» أكبر؟ وكنت وقحاً في قولك هذا.. كما أذكر. قلت بصراحة إنك تظنني أسعى خلفك.

ـ صحيح.. لقد خطرت لي الفكرة، لكنك خذلتني بشدة لوارا. ولم تلعبي معي حسب القواعد.. توقفت حين بدت الأمور تبدو.. مثيرة للاهتمام.

لم ترغب لوارا العودة إلى هذا الموضوع.. مع أنها كانت لا ترغب كذلك في أن تسعل لتجلي حنجرتها قبل أن تقول:

ـ أجل.. حسناً.. لكن هذا كله لا يهم.. أليس كذلك؟ لدي وعد منك بأن وظيفتي مؤمنة، وكل ما عدا هذا خارج..

سألها بهدوء:

ـ أتؤمنين بوعدي؟

لأنها تؤمن بكلمته، ومع أنها قررت بثبات أن لا تعتذر أكثر مما فعلت، وجدت نفسها ترد:

ـ أجل.. أجل.. أؤمن بوعدك.. وآسفة لأنني قلت لك تلك الأشياء الشنيعة هذا الصباح.. وعذري الوحيد أن هذه الوظيفة تعني لي الكثير..

أدركت متأخرة أنها قالت أكثر مما كانت تنوي، وأملت أن لا يسألها روب لماذا تعني لها هذه الوظيفة الكثير.. فلا نية لديها لتقول له، خصوصاً وأن الأهمية الأكبر لديها كانت المرتب الذي تتقاضاه.

لكنه لم يسألها.. لكنها لو كانت تأمل في اعتذار، فهو لم يكن مستعداً له، فمع وجود الشك في ذهنه، لن ينقلب إلى التصديق الكامل بأن علاقتها مع جوناس هي مجرد صداقة.

سألها يغيّر الموضوع:

ـ هل تمتعت بعملك مع السيد غولدر؟

ـ كثيراً.

ـ في هذه الحالة، دعينا نأمل أن تتمتعي بالعمل الذي ستقومين به لي.

ـ أتعني العمل الذي سأقوم به في هذا المبنى؟

ـ لا.. لقد أدخلت السيدة شارب إلى المستشفى لالتهاب الزائدة لديها.. ووجدت نفسي مؤقتاً دون سكرتيرة.. وأنت، لوارا، اخترتك لملء الفراغ.

ـ لكن.. لكن..

كانت تعلم أنها تفتح فمها بغباء والمعلومة تغوص في فهمها.. هاك! أنت سكرتيرة لرئيس مجلس الإدارة! وسترى رجلاً تعرف أنها لا تميل إليه، كل يوم! وأكملت:

ـ لكن.. لا بد أن لديك سكرتيرات أخريات يمكنك استدعائهن؟

رد روب ماكفرسون، يجتذب كل ذرة من السعادة من ملامحها المشدوهة:

ـ هذا صحيح. لكن كما قلت لك على الهاتف لوارا، أريدك حيث أستطيع أن أراك.

أوه.. أين هي حنكتها الآن وهي بأمسّ الحاجة إليها؟

قبل أن تتمكن من البدء في فهم ما يعنيه، أو حتى أن تقول له إن العمل كسكرتيرة شخصية موثوقة للسيد غولدر لا يمكن مقارنته مع عالم روب ماكفرسون الرفيع المستوى الذي يدفعها إليه، كان قد وقف عن كرسيه، يشير إليها أن تتبعه إلى المكتب الذي كانت تحتله السيدة شارب.

تلك الليلة، ذهبت لوارا إلى منزلها بعد اختبار القليل مما يعنيه أن تكون سكرتيرة لرئيس مجلس إدارة مؤسسة بضخامة دارموند.. كانت تعتقد أنها أبلت بلاء حسناً، لكن عليها أن تعترف، وبعد قضاء بعد ظهر يوم واحد من الرد على المكالمات الهاتفية والتي كانت تتوارد إليها كل دقيقة، منذ دخل روب إلى اجتماع ما، هذا عدا المراسلات التي كان عليها نسخها عن آلة التسجيل، المتراكمة منذ غياب السكرتيرة السابقة، أن ذلك كان أمراً متعباً تماماً.

تلك الليلة أطالت فترة بقائها تتناول وجبتها.. تحتاج إلى وقت لتعيد شحن بطارياتها.. ثم، استعاد عقلها الصحيح، وجسدها القوي عافيتهما، فانطلقت تغسل الصحون، وتفكيرها يجوب في أحداث اليوم.

ركزت أفكارها على جوناس، فقد أخذ روب ماكفرسون الكثير من وقت تفكيرها، كان يجب أن تفكر بوضع جوناس منذ ليلة أمس.. اكتشاف تلك الأحاسيس التي أثارها فيها روب، حمل أي تفكير آخر إلى النسيان. لكن، الآن أمامها تفكير جدّي.

ماذا قال لها روب؟ قال: عدم وجودها على مقربة من جوناس قد يعطيه فرصة لتسوية خلافاته الزوجية. إنها فكرة رهيبة، إذا كانت صحيحة، أن تكون هي من تمنع عودتهما إلى بعضهما.. لكنها لا تستطيع تصديق هذا.. أيمكنها؟ كرهت روب ماكفرسون لأنه زرع ذلك الشك في رأسها.. فإذا كانت إيلين لا تزال تحب جوناس، كما يؤكد روب، لكانت أمامها طرق كثيرة لإظهار هذا الحب، في ثلاث مناسبات، خلال الأشهر الستة المنصرمة، حين كان جوناس يكاد يطير فرحاً لمجرد أن إيلين وافقت على الخروج معه... فالسعادة تلك انقلبت إلى يأس في آخر لحظة لأنها تراجعت عن وعدها.

تذكرت لوارا كم بدا جوناس وإيلين، سعيدين معاً ليلة أمس.. ربما تشغل بالها بدون طائل.. وتذكرت أنها توقعت مكالمة من جوناس اليوم، ولا

بد أن أحداً في مكتبها القديم كان سيقول له أين يجدها، كما توقعت في أن يرغب في مشاركتها الأخبار الجيدة، أو أن يقول لها إن إيلين قد عادت إليه.. أو ربما ليقول إن الأمور تبدو وردية أكثر.. وبما أنه معتاد على الاتصال بها عندما يحس بالإحباط، فمن الجيد سماع صوته وهو بعيد..

أغلب الأشياء التي قالها روب لها، عادت إلى تفكيرها.. إنه قطعاً تحت انطباع مفاده بأن ابنة خاله تركت جوناس بسببها.. الآن.. من يمكن أن يكون قد أعطاه هذا الانطباع؟ إيلين، أم والدها، قالا له إنها كانت تعاشر جوناس فيما إيلين تعيش معه، كي يستخدما هذا كدافع إضافي لصرفها من العمل؟ كلاهما يريدانها خارجاً، هذا أمر مؤكد.. ولن تنسى تلك النظرة على وجه إيلين ليلة أمس.

أسقمها أن تحس بأن صداقتها البريئة مع جوناس قد فسّرت في بعض الأوساط على أنها بعيدة عن البراءة. ولم تحب أبداً أن تبدو تلك الشريرة التي في الوسط.. وعرفت أنها تواجه مشكلة حقيقية... افتراضاً، أن روب على حق، وأن صداقتها لجوناس هي التي تمنع إيلين من العودة إليها.. فلا مجال إذاً إلا أن تتوقف هذه الصداقة.

قبل أن تخلد إلى الفراش، فكرت لوارا أن تتصل بجوناس، لكنها تراجعت.. فإذا كان، ولو في منتصف الطريق للعودة، فلا فائدة من أن تثير وكر الدبابير.. بأن تخبره كلما قاله روب لها.

دخلت سريرها باكراً، لكنها سرعان ما غادرته حين خطرت لها فكرة التفتيش عن رقم هاتف نيكولاس ماكداف والاتصال بإيلين... ثم استبعدت الفكرة.. وعادت إلى الاستلقاء وشدّ الأغطية فوق رأسها. فبعد لقائها بإيلين لمرة أو مرتين، هي واثقة أنها لا تصدق حقاً أنها عشيقة جوناس.. ثم، على أي حال، لا بد أنها حدثت جوناس بالأمر صراحة لو أن لديها ظلاً من الشك. وسيؤكد لها جوناس، أنهما ليسا كذلك قطعاً وأغمضت لوارا عينيها وتفكيرها لا يزال يدور... من الأفضل لها أن تنام.. فأمامها يوم كامل في الغد تواجهه في دارموند.

في الصباح التالي، ومنذ لحظة دخولها المكتب، الذي سيبقى مكتبها إلى أن

تعود السيدة شارب، لم يعد لديها الوقت الكافي للتفكير بشيء سوى العمل. ووصل روب ماكفرسون في التاسعة والنصف وألقى عليها تحية «صباح الخير لوارا» بطريقة رسمية، ثم دخل مكتبه.

كانت تفضل لو أنه أقفل بابه وراءه.. لكنه بعد أن أفرغ محتويات حقيبة أوراقه على طاولته ناداها:

ـ ادخلي أتسمحين؟

وفهمت لماذا ترك الباب مفتوحاً.

كان الباب مفتوحاً كذلك يوم وصلت إلى هنا ذلك الصباح. يومها كان سطح طاولته فارغاً نظيفاً.. لكنها الآن، وهي تدخل شاهدت ملفاً بعد ملف، مكومة فوق بعضها هناك.. وعرفت أنه لا بد قد ذهب إلى النوم متأخراً ليكمل العمل المتأخر.

تركت عيناها الطاولة، لتجد عينيه تتفحصانها. لا تعتقد أنه سيجد أي خطأ في مظهرها، فقد اعتنت بانتقاء الملابس، والبذلة الكحلية بالبنطلون كانت تكشف مدى طول ساقيها، وتناسبها مع جسدها. لكنها أحست فجأة بالحرج حين بدا غير مستعجل للتوقف عن تفرسه فيها.. وقالت أول شيء خطر في بالها، وعيناها تبتعدان عن عينيه إلى كومة الأوراق على مكتبه:

ـ لا بد أنك لم تنم باكراً ليلة أمس.

اختار روب أن يتظاهر بعدم فهمها.. وقال:

ـ أوه.. لن أقول هذا.. أنادمة أنك لم تكوني أنت السبب لوارا؟

كاد فمها يفغر ذهولاً حين تفهمت ما يفكر به. ثم شدت شفتيها بحزم، ونظرت إليه لترى أن عينيه تتقدان «بالعفرتة» وأحست بالتوق لضربه، لكنها قالت بعذوبة:

ـ من حسن حظك أن بعضاً من... صديقاتك.. معتادات على «النظام» أكثر مني.

ـ أوه.. أنت تعرفين قواعد «النظام» مع أنك تميلين إلى الغش قليلاً.

اشتدت قبضتاها إلى جانبيها.. فكلامه إشارة مباشرة إلى واقع أنه يعتقد أنها تغش، وتلعب اللعبة مع رجل متزوج.. وردت ببرودة تحتاج إلى كل قوة

إرادتها كي لا تضربه على الرغم من النتائج.

ـ كنت أشير إلى كمية العمل الذي لا بد أنك أكملته ليلة أمس.

عرف أنها قررت أن لا تجاريه أكثر، أو ربما سئمت من التلاعب فقال لها:

ـ آه.. أجل.. العمل.. فلنبدأ به، لدينا الكثير لنكمله. هل جئت معك بدفتر الملاحظات؟

ـ ألن تسجّل ما تريد إملاءه؟

ـ ألا يمكنك كتابة الاختزال؟

دون رد، عادت إلى طاولتها تحضر دفتر الملاحظات، توبخ نفسها على عدم التفكير قبل أن تتكلم. لقد شاهدت السيدة شارب من قبل تنقل عن دفتر الملاحظات، وتذكرت أنها قالت، إن روب لا يستخدم التسجيل دائماً.

بعد انقضاء الصباح خرج من المكتب قائلاً إنه لن يعود قبل أن تخرج لساعة الغداء، وأنها يمكن أن تترك أية رسائل تصله على شريط مسجل حيث سيعيد سماعها.

تنفست بارتياح حين خرج، مسرورة أن تكون لوحدها، فهي لا تزال جديدة هنا لتنسى وجوده في المكتب المجاور.. لكنها أحست بالتوتر وهي تسجّل له الرسائل، حين ردت على مكالمة بصوت نسائي مثير، قال لها الصوت حين علمت صاحبته أن روب غير موجود، إن لا رسالة له، ثم عادت لتغير رأيها حيث سجلت لوارا كلمة: «جوانا بيرنجيه اتصلت تقول لك: شكراً كثيراً على الأمسية المكتملة روعة.. أيمكنك الاتصال بها؟» ونسيت لوارا فيما بعد الرسالة المثيرة ولم تعد تذكر سوى الترنيم الموسيقي للصوت.

كان روب يجلس وراء طاولته حين عادت من الغداء، والباب بين المكتبين مفتوح.. وعلمت أنه لا بد وقد أعاد الاستماع إلى التسجيل، لكن، وبما أنه لم يذكر هذا، فلم تذكره كذلك.

بوصول الساعة إلى قرابة الخامسة، كانت منغمسة في عملها، الذي وجدته مثيراً، حتى أنها لم تع الوقت إلى أن سمعت روب يغادر مكتبه، فرفعت رأسها لتراه يقف أمامها، يسأل:

ـ أتعملين وقتاً إضافياً؟

نظرت إلى ساعتها، ثم صاحت:

ـ الخامسة وعشر دقائق! كيف مرّ بعد الظهر؟

ـ أتتمتعين بعملك؟

ـ لا بد هذا.

كانت تعرف مدى حبه للسخرية، وتوقعت أن يلاقي ردها تعليقاً ساخراً. فأعادت النظر إليه لترى أن تعابير وجهه ودودة، وكأنما يسعده أن لا تجد العمل له مملاً. قال لها بصوت ودود مثل نظرته:

ـ من الأفضل أن تعودي إلى منزلك الآن.. لقد كان يومك متعباً.

وهذا ما أسعدها.. وتذكرت أنه قال لها بأن السيد غولدر لم يجد عيباً في عملها.. فهل يعني هذا أن روب ماكفرسون لم يستطع كذلك أن يجد عيباً في عملها.. هذا ما أملت به، لأنها لم تكن معتادة على العمل في هذا المستوى الرفيع.

لكنها لم ترغب في أن تترك العمل وأي شيء عالق في آلة الطباعة.. فقالت:

ـ سأنهي هذه.

ـ ألديك موعد الليلة؟

بالطبع.. هذا ليس من شأنه، لكن بما أنهما كانا يتشاركان في أول حوار سلمي بينهما كرهت أن تفسده بقول هذا له، أو حتى أن تكذب وتقول له نعم، لديّ موعد.. فهي تعرف أنه لن يتردد في أن يسألها ما إذا كان هذا الموعد مع جوناس.

ـ لا.. ليس الليلة.

انتظرت، تتوقع أن تسمع مجدداً تعليقاً ساخراً ولو من دون سبب.. فمتى كان هذا يردعه؟

أعادت النظر إليه لتجد قسمات وجهه لا زالت ودودة حتى أنه كان يبتسم لها وكأنما واقع أنها لن ترى جوناس الليلة يسعده.. حسناً.. يجب أن يسعده.. أليس كذلك؟ فكرت بعمق: أنه الآن مسلح بمعلومة، لو احتاجها

نيكولاس ماكداف، بأن سكرتيرته المؤقتة لا تقابل صهره كل ليلة. فسألته تتابع أفكارها:

ـ أيعلم السيد ماكداف أنني أعمل هنا؟

غادرته الابتسامة حتى ظنت أن هناك كلمات غير مؤدبة جرت بينهما حول هذا الموضوع:

ـ طبعاً.

ردت بهدوء، بكلمة دون تفكير:

ـ أوه.. ربما كان من الأفضل أن يبقى جاهلاً الأمر.

لقد تفوهت بكلام خاطىء.. عرفت هذا بعد أن قالت ما قالت.. فلماذا قالته؟ لاحظت أن أي دليل على الوديّة قد اختفى عن وجهه.. ولماذا يهمها أن يعرف نيكولاس ماكداف أم لا؟ ثم أدركت أن ما يكمن وراء تفكيرها هذا، هو لو أن روب ترك خاله جاهلاً بوجودها هنا، لكان هذا أنقذه من شيء من غضب خاله.. وقال لها باختصار وبرود:

ـ حين تعرفينني أفضل، ستعرفين أنني لا أخفي عن أعضاء مجلس إدارتي ولا عن عائلتي، أي قرار آخذه، وقد أتلقى انتقاداً لأجله.

وتركها إلى مكتبه فأحست بالسرور لأنه تركها، لتعود إلى طباعتها.. وحين انتهت، غادرت المكتب دون أن تودعه.

قررت بشدة: من الآن وصاعداً، علاقتها معه ستكون عملية تماماً.. وإذا أخطأت ثانية وظنت أنها شاهدت بريق لطف أو مودة في عينيه، يجب أن تصرف النظر عن الأمر فوراً.. وفي المرة القادمة التي يسألها فيها إذا كان لديها موعد، ستقول له أن يهتم بشؤونه الخاصة.. وبطريقة لا مجال للريب فيها. أما بالنسبة لمعرفته بشكل أفضل.. فلن يكون هناك أمل بهذا.. فهي تعرف عنه بالقدر الذي تريد أن تعرفه.. وتستطيع أن تراهن، أنه ليس شريراً أو مزعجاً مع جوانا بيرنجيه.. وأحست بجرح كرامتها لتمكنه من إيقافها عند حدها وبقسوة.. ؟ لا بد أنه خفيف عذب اللسان مع جوانا بيرنجيه طوال الوقت.. حسناً يجب أن يكون هذا.. أليس كذلك؟ فمن خلال ترنيمة الصوت بالرسالة، واضح أنها لا تعرف قواعد اللعبة فقط.. بل أنها على الأرجح

تساعد في اختراعها!

كان روب ماكفرسون موجوداً في المكتب قبلها في الصباح التالي. . فحياها وهي تدخل:

ـ صباح الخير لوارا.

لا دليل على العدائية في صوته. . ربما خرج مرة أخرى بالأمس مع جوانا التي تمكنت من تلطيفه وتحلية لسانه اللاذع. . ردت ببرود:

ـ صباح الخير سيد ماكفرسون.

درعها المتكلف لم يكن ظاهراً يوماً أكثر منه هذا الصباح.

ـ اتركي حقيبة يدك وتعالي إلى هنا.

فعلت ما قاله، نعلم أن اليوم سيكون متعباً كله لو أنه كان مستعداً للإملاء حتى قبل أن تخلع سترتها، مع ذلك خلعت السترة ووضعتها على ظهر مقعدها، وكي لا يمسك عليها شيئاً كما فعل بالأمس، التقطت دفتر الملاحظات وقلماً، قبل الدخول إلى غرفته. رفع روب نظره إليها وهي تجلس قرب طاولته. . وشاهدت عينيه تطوفان بها، في خطوط جسدها البارزة من تحت القميص الأبيض الشفاف، قبل أن تعودا إلى وجهها. . ثم قال لها:

ـ بإمكانك مناداتي روب.

ردت ببرود:

ـ شكراً لك.

لن تلين قيد أنملة ولو أنه يميل هذا الصباح نحو الودية.

ـ ألا زلت غاضبة مني؟

سألته بأفضل ما لديها من حسن أخلاق، وبرودة:

ـ غاضبة منك؟ ليس لدي فكرة عما. .

لم تكمل، ومع أنه وجد غضبه صعب الاحتواء، إلا أنه انفجر ضاحكاً، وهدد الجو المتزن الذي كافحت للحفاظ عليه. . وأدركت أنه يضحك «عليها»! ثم قال بعد أن هدأت ضحكته:

ـ أوه لوارا. . أنت لا تقدرين بثمن! لقد عرفت أنك كنت غاضبة مني ليلة أمس. . حتى أنني لم أتلق منك كلمة وداع. . وجئت اليوم إلى العمل

مصممة على أن تكوني باردة معي. . أليس كذلك؟

ـ بل جئت إلى هنا لأعمل سكرتيرة لك. . وعدا عن كونك الرجل الذي أجد نفسي مضطرة للعمل له. . فأنا لست مهتمة قطعاً بالأمور الشخصية.

تمسكت بكل ذرة من قوة إرادتها كي لا تنهار أمامه بعد أن شاهدت زاويتي فمه تلتويان مجدداً وكأنه يجد أن كلامها أكبر من أن يحتمل، وسألها:

ـ ألا تظنين أن عملنا سيكون أكثر تجانساً لو كنا معاً أكثر. . صداقة؟

كانت واثقة أنه يسخر منها، فلا يمكن أن يهمه ما تكون عليه علاقتهما طالما أنها تنجز له العمل. ردت بحزم:

ـ لا. . لا أرى هذا.

استرخى إلى الوراء منتظراً سماع المزيد، لكن تماسك نفسها كان قد تلقى ضربة من ضحكه عليها، فعزمت على عدم إطالة الحديث. . وقررت أن تقول كل شيء وتنهي الأمر:

ـ ظننتك كنت ودياً ليلة أمس. لكن، لحظة تخليت عن حذري، ولاحظت أنني كنت أفكر بالحرج الذي كنت ستوفره على نفسك أذا لم تخبر خالك بأنني أعمل لك، مع أن الأمر لا يهمني بأية طريقة، انقضضت علي بكلامك كالحجارة.

ـ إذاً. . لقد غضبت. . لقد جرحت مشاعرك. . ألم أفعل؟

ـ ومنذ متى يهمك هذا؟

ـ وهل جرحت مشاعرك في مرات أخرى؟

لم ترد لوارا. . أي رجل يقوم برمي الاتهامات كما فعل معها، ويظن أنه لم يجرح مشاعرها، لا بد أن يكون دون إحساس. . وتابع روب:

ـ لقد جرحتك. . ألم أفعل؟ أكان هذا حين اقترحت أنك لا يمكن أن تكوني مجرد صديقة لبريستونز دون أن يكون للفراش دخل في صداقتكما؟

ـ هذا لا يهمني.

الإحساس بالتوتر أخذ يزداد وقد عاد إلى بحث هذه المسألة. لن يصدق روب أبداً أنها بريئة. . فما الفائدة إذاً من إعادة الماضي؟ ركزت القلم فوق الورق، دليل سأم، وأنها ليست مستعدة لنقاش ما هو خارج العمل. وسمعته

يقول:

ـ أظن الأمر مهماً، فهل أسأت فهم الموقف بشكل خطير لوارا؟ هل سمحت للتعليقات الشاذة، إضافة إلى ما أعرفه عن الحياة والناس، كي تؤثر على حكمي على امرأة قد تكون مختلفة؟

أرادت أن تقول له إنها لا تهتم أبداً بحكمه، لكنها لم تفعل.. أوه.. ليس لأنه روب ماكفرسون رب عملها.. بل بكل بساطة لأن الأمر أخذ يثير قرفها من أن يصدق أحد ما يصدقه هو عنها.

قالت له بصوت هادىء، بعيد عن الغضب:

ـ ليس لي سلطة على ما تصل إليه من استنتاجات في تفكيرك، ما قلته لك عن جوناس بريستونز هو صحيح، أصدقت هذا أم لا، فالأمر عائد إليك.

بدا على روب أنه قد وقع في أسر هدوئها، في وقت كان دفاعها سابقاً يعبّر عن كل الغضب.. فتابع النظر إليها لحظات، ثم مال إلى الأمام، وقبل أن يتكلم، ولأنه ربما، كان قد ألمح يوم الثلاثاء إلى أن الشك دخل رأسه، كانت لديها فكرة أنها اخترقت رأسه أخيراً.. وأنه يصدقها.. وقال بابتسامة تذيب جبل جليد:

ـ الفكر المريض يفترض افتراضات مريضة.. هل ستسامحيني على تفكيري السيء بك لوارا؟

لماذا تحس فجأة برغبة في البكاء؟ إنه الارتياح على ما تعتقد.. ارتياح لأنه، وكل القرائن تقف ضدها، ومع معرفته بالحياة، فإنه يعطيها فرصة الشك، وليس هذا فقط، بل أنه يسألها الغفران. نسيت أنها غاضبة منه.. نسيت كل ما حفظته مع كل خطوة وهي تتجه إلى المكتب، عن كيفية التصرف معه في المستقبل.. وكيف ستكون باردة الأدب معه.. ما من مزيد من هذه الأفكار.. وارتسمت على وجهها ابتسامة تماثل في دفئها الابتسامة على وجهه.. ووجدت نفسها تقول:

ـ أجل..

ثم جمدت ابتسامتها حين تحولت عيناه إلى فمها، ثم شفتيها، وتتحوّلت أساريره إلى التجهم وكأنما ابتسامتها الطبيعية له صدمته، لكنها عادت لتظن

أنها توهمت ما شاهدت حين أخذت أطراف فمه تتحرك مجدداً وسمعته يقول:

ـ أنت كريمة أكثر مما أستحق. والآن دعينا نعود إلى العمل.

حين خرجت للغداء، فكرت بالأمر.. إنه مضحك غريب، كيف أن الصباح مرّ بسرعة بعد حديثهما هذا. حتى أنها كانت تناديه روب وهذا ما لم تكن تحلم به بالأمس. لكن اليوم مختلف جداً عن الأمس، ومع أن العمل كان مماثلاً، إلا أن التجانس في الجو بينهما، أزال دون شك، التوتر.

كان عليه أن يخرج من المكتب بعد الظهر، وكانت مسرورة لهذا إلى أن رن جرس الهاتف وجاء صوت جوناس يقول لها إنه اتصل بمكتبها القديم وقيل له أن يتصل بها هنا... وطلب أن تخرج معه الليلة.

لم تكن تعرف متى سيعود روب، لكنها كرهت أن يعود وهي تتحدث مع جوناس، وبدأت تحس بالمرارة والانزعاج.. إنها لم تصل بعد إلى قرار حاسم حول جوناس، لكنها تعرف أن صداقتهما مهمة بالنسبة له، ولم تستطع التفكير بأن يبقى وحيداً بائساً.

قاطع أفكارها صوت جوناس يتوسل إليها على غير عادته:

ـ أرجوك قولي إنك قادمة لوارا..

ترددت، ممزقة بين إخلاصها له ومتذكرة ما قاله روب:

ـ أنا..

ـ سأجن لو اضطررت للجلوس وحدي في شقتي الليلة!

زال تردد لوارا.. لقد سمعت صوت جوناس وهو محبط من قبل، لكنها لم تسمعه بمثل هذا الإحباط.. واستسلمت بالكامل، قلبها يرق له حتى أنها نسيت الفرح الذي خبرته حين شاهدته على تفاهم مع زوجته.. وقالت مع شيء من المرح في صوتها:

ـ حسناً جداً.. سنذهب إلى مكان مثير بجنون.. هل نفعل؟

سمعت الارتياح في صوته، ثم شاهدت مقبض الباب يتحرك.. فأحست باللون الأحمر يضغط على وجنتيها، ولم تعرف لماذا أحست بعقدة الذنب هكذا. شاهدت الباب ينفتح قليلاً، وسمعت صوت روب، في الوقت نفسه الذي كانت تأخذ فيه علماً بالوقت الذي سيزورها فيه جوناس ليخرجها إلى

السهرة، ثم قالت وداعاً وأعادت السماعة مكانها، لتلاحظ أن روب مشغول مع شخص في الممر، وأنهما يتحدثان في الخارج.

حين دخل روب، كان لونها قد عاد إلى طبيعته، ومشغولة بالطباعة. فسألها برضى ولطف وهو يقف قرب طاولتها:

ـ هل هناك رسائل؟

ردت عليه، لا تريد أن تقول إن جوانا بيرنجيه قد اتصلت ثانية اليوم:

ـ لم أكن أعرف موعد رجوعك، فحولت كل المكالمات إلى التسجيل.

كانت لورا تسرع في تغيير ملابسها استعداداً للخروج.. لقد قال جوناس إنه سيحضر في الثامنة.. وأملت أن يكون في مزاج يسمح لها بأن تتكلم معه.. فما قاله روب عن إيلين كان يقلقها.

حين رن جرس الشقة الخارجي في السابعة، كانت لا تزال في بذلة العمل، ونزلت السلم لترد.. وحين فتحت صاحت، وقلبها يخفق حزناً لرؤية جوناس وكأنه لم ينم منذ رأته آخر مرة.

ـ جوناس!

لكن لو أنه لم ينم بسبب إيلين، فمن الأفضل أن لا تشير إلى التعب البادي عليه وفي عينيه.. فقالت بحبور، وهي تتراجع لتسمح له بالدخول ثم تقفل الباب:

ـ لم أتوقعك قبل الثامنة.

ـ قلت لك إنني سأحضر في السابعة.

ـ أوه.. صحيح..؟ إنها غلطتي إذاً، حسناً.. لا بأس.. لن أطيل الوقت لأستعد.. ادخل واقرأ الصحيفة وأنت تنتظر.

مع أنها، ومن وجهة نظرها، ترى أن من الأفضل له لو يغمض عينيه قليلاً، ويأخذ قيلولة وهو ينتظر.. وسألها:

ـ كم ستأخذين من وقت لتستعدي؟

ـ نصف ساعة على الأكثر.

ـ هل تمانعين لو جلبت حقيبة أوراقي وقمت ببعض العمل؟ فأنا لم أتمكن بعد الآن من إكمال كل الأعمال المتوقفة منذ سفري إلى أوروبا.

ـ سأصنع لك إذاً فنجان قهوة، تشربه وأنت تعمل.

وانتظرت أمام الباب إلى أن عاد بحقيبة أوراقه.

* * *

www.liilas.com

٥ ـ جميلة ولكن . . .

Ami

في النهاية، لم يذهبا إلى أي مكان مثير . . لوارا لاحظت أن جوناس يبدو أكثر من متعب ولا يرغب في أي جهد للصخب والاحتفال . . فوافقت بسهولة على اقتراحه بأن يتعشيا في مطعم هادىء متواضع كان يرتادانه من قبل .

أرادت أن تعرف كيف سارت الأمور بينه وبين إيلين، لكنها كانت حساسة أكثر من أن تثير الموضوع إلى أن فعل هو، فقد كان من الواضح أن السعادة التي شاهدتهما بها هي وروب قد فسدت . وتحدثت لوارا عن كونها اضطرت لملء منصب سكرتيرة روب المؤقتة، فسألها :

ـ وهل أنت متفقة معه؟

ـ أوه . . أجل .

حسناً . . هكذا كان الأمر اليوم على أي حال . . وكبحت التوق لأن تخبره بالأقاويل التي تدور في عائلة زوجته حول عمق صداقتهما . فقد بدا أن لديه ما يكفيه من هموم . . وعلى أي حال، وبما أن روب قد غيرَّ وجهة نظره السابقة، لم يعد هذا مهماً، مع أنها لا تعرف لماذا يهمها رأي روب ماكفرسون فيها إلى هذا الحد، ثم أبعدت كل تفكير بما حدث سابقاً، وتحدثت مع جوناس حول العمل الذي وجدت نفسها جزءاً منه الآن، وكم أن روب منغمس في عمله . وقال جوناس فجأة :

ـ كانت مفاجأة لي أن أعرف أنكما تعرفان بعضكما .

وكانت هذه أول إشارة منه إلى الليلة التي التقى فيها الأربعة معاً . . وردت لوارا بحذر :

ـ وكانت مفاجأة لي كذلك . . أن أجد أنك قريب له بطريقة غير مباشرة .

ـ ألم أذكر لك من قبل أن عائلة إيلين لها علاقة بدارموند؟ . . لا . . لا

أعتقد هذا . . مع أن دارموند هي أصل السبب الذي تركتني إيلين لأجله . يا الله! كم أتمنى أن لا أسمع باسم تلك الشركة اللعينة! فلولا تصميمها على رؤيتي في مجلس إدارتها، لكانت لا تزال تعيش معي .

تقبلت لوارا قوله بأن دارموند كانت السبب الرئيسي لمشاكله، لكنها تذكرت أنه قال لها كذلك إن زواجه كان مضطرباً قبل هذا الخلاف . ولو أن إيلين تحبه كما يقول روب، فإنها لا تحسن الظن بها لأنها تضع المستوى الاجتماعي قبل الحب . مع ذلك، فكلاهما عنيد متعنت حول هذه المسألة . . لكن أن يتركا الأمر يؤدي إلى سنة من الفراق دون أن يتنازل أحدهما، لا ينبيء عن أي حب بالنسبة لها . . مع ذلك ما الذي تعرفه هي عن الحب؟ كانت تجاهد دوماً لتتجنب أي نوع من الحب، عدا العلاقات السطحية .

أحسّت بأن جوناس، وهو الذي ذكر أمامها اسم زوجته، يريد أن يتحدث عن ليلة الاثنين، فسعت لأن تعطيه الفرصة فسألته :

ـ أنت لم تمانع في أن يوصلني روب تلك الليلة إلى منزلي . أليس كذلك؟

كان هذا إشارة إلى واقع أنه بقي وإيلين لوحدهما، مع أنه لم يفهم قصدها تماماً، وظن أنها تعتذر لأنها خرجت مع رجل وعادت إلى منزلها مع آخر .

ـ لا . . أبداً .

وتمنت لو أن نيكولاس ماكداف يسمع رده، فهو يوضح تماماً، إنه إنما ينظر إليها كصديقة فقط . وأكمل بصراحة :

ـ كنت سعيداً لانفرادي بإيلين . . لذا بدا لي أن آخذك تلك الأوراق معك إلى المنزل أمر فيه حظ لي . لقد كانت أمسية رائعة لي . . مع أنني أعترف أنها بدأت سيئة . . لكن حين ذهبت مع روب للرقص . . أبعدت إيلين البرودة عنها وعادت تلك المرأة التي تزوجتها . وكان الأمر رائعاً لوارا . بعد رحيلك، رقصنا معاً، وأحسست أنني عدت إلى سن العشرين مجدداً، وأنا واثق أنها أحست بالشيء نفسه .

تخطتها عيناه وهو يتذكر ما كان، واضطرت إلى كبح دموعها أمام تلك النظرة على وجهه . . . ألا تعلم إيلين ماذا تفعل به؟ إنها تمزقه إرباً . . وتابع :

ـ ولكن الأمر لم ينته هكذا . . فبعد مغادرتنا المطعم، قالت إيلين إنها تريد

رؤية شقتنا مرة أخرى . . لم أستطع تصديق أنها تعني ما تقول، فهي لم تقترب منها منذ أن وضبت فيها حقائبها ورحلت .

توقف جوناس عن الكلام قليلاً، تعابير وجهه تقول لها إن لا مكان لها في أفكاره الخاصة، وأحست بالصدمة لإدراكها أن الأمور، وفي مرحلة ما، قد تحولت إلى مأساة . . ثم رفرف عينيه، وقد تلاشى النور منهما، وشاهدت قبضتيه تشتدان فوق الطاولة، فأرادت أن تضع يديها على يديه تواسيه، لكنها لم تفعل، لأنها تحبه بما يكفي ليجعلها تبكي لو تمسك بيدها كرجل يغرق . . ولاحظت كذلك أنه اضطر لابتلاع ريقه بصعوبة، لكنه سيطر على نفسه ليقول لها :

ـ كم يجعلنا الحب أغبياء . . كنت أعيش في عالم الخيال عندما كنت أعتقد أن إيلين ستترك أباها وتعود إليّ في اليوم التالي . .

ضحك ضحكة لا بهجة فيها، وأظهر سخرية لم ترها عليه من قبل . وأكمل :

ـ . . كنا نتناول الفطور، حين قالت لي إيلين، إن المقعد في مجلس الإدارة ما زال لي إذا كنت أريده . . وان أباها يفكر بالتقاعد، وإن الطريق سيصبح مفتوحاً أمامي . .

تنهد بعمق :

ـ . . وقبل أن أعرف ما حدث كنا وسط شجار حامٍ وعرفت ساعتها أن إيلين لا تزال تتمسك بشروطها السابقة نفسها .

ذهلت لوارا لمعرفتها بأن إيلين أمضت ليلتها معه . . فهذا ما لا بد حدث وقد تكلم عن تناولهما الفطور معاً . لكن ذهولها كان أشدّ لمعرفتها بأن إيلين وبعد استسلامها لزوجها استمرت في التمسك بالعودة حسب شروطها، لا عجب إذاً أن يكون جوناس كئيباً إلى هذه الدرجة! فقد كان يظن أن أساس الخلاف بينهما قد دُفن، لكنه اكتشف أن السبب ما زال موجوداً .

لم تعد تفكر كثيراً بما قاله روب حول كونها تقف في طريق عودتهما إلى بعضهما . . ومع تحطم قلبه لم تجد مجالاً للتفكير بإيقاف صداقتهما . ثم تذكرت تلك النظرة الحقودة التي رمقتها بها إيلين، وانقلب كل تفكيرها رأساً على

عقب، يدفعها للتساؤل عما إذا كان هناك أي شيء من الحقيقة فيما قاله روب . . عليها أن تعرف . . . سألت :

ـ جوناس . أتظن أن إيلين . . غاضبة بسبب صداقتك لي . . أتظن هذا؟

ـ صداقتي لك؟ أتعنين الغيرة؟

ضحك بحرارة، وأكمل :

ـ لا . . فإيلين تعرف أن لا سبب يدعوها للغيرة . . وأنه ما من امرأة غيرها تناسبني .

ـ إذاً، أنت لا تظن أنها قد . . .

صمتت . . أحست بكراهية لروب ماكفرسون، فبسبب ما قاله تتعثر الآن في شق طريقها :

ـ ما أعنيه، هو لو أنني بعدت عن طريقك، أتظن أن هذا يعني أن عثرة ستُزاح من وجه عودتها إليك؟

ـ لقد أخبرتك لتوي عن العثرة الوحيدة التي تقف في الطريق . . فأنا لن أعمل في شركة دارموند . . عملي الخاص بدأ يأخذ طريقه في الصعود، تلك العقود الأوروبية أعطتني دفعة هائلة إلى الأمام . . أوه . . كرمى لله لوارا، لا تتخلي عني الآن . . رؤيتك ويقيني أنني أستطيع أن أتحدث إليك، هما كصمام أمان لي . . أنت الوحيدة التي تبقيني سالماً، عاقلاً، متماسكاً . أرجوك لوارا . . لا تسحبي صداقتك مني الآن .

بسرعة، اندفعت تطمئنه، وما أن انتهت وجبتهما، وأوصلها إلى المنزل، حتى ذهبت رأساً إلى الفراش . لم تشعر يوماً بهذا الإرهاق والاستنزاف . . ما كان بدأ مجرد صداقة، لأن جوناس كان وحيداً، واستمر هكذا لأنه كان مرافقاً أميناً، ثم تحول من هذه النقطة لينمو إلى علاقة أخ بأخته . . يهدد الآن بأن ينقلب إلى توتر يرهق قواها . . فهي الآن تحس بإحباط يماثل إحباطه، وكأنما في محاولتها لرفع معنوياته المنهارة، أخذت التوتر منه وألبسته لنفسها . . استلقت في الفراش تحاول أن تتذكر بأن جوناس لم يكن دائماً هكذا، وأنه بعد أسبوع أو أسبوعين، سيخرج من حالته سالماً .

رنين جرس الباب أيقظها من نوم عميق . . أدارت رأسها تنظر إلى

الساعة، وفكرت بأن العناية الإلهية أرسلت من يرن جرس الباب، لأنها نسيت أن تجهز منبه الساعة، والساعة الآن السابعة والنصف.

سارعت إلى روبها، لبسته، ربطت حزامه وهي تنزل السلم قفزاً. أرجعت شعرها عن وجهها وفتحت الباب.

ـ جوناس! ماذا...؟

ـ آسف لزيارتي الباكرة.. نسيت أن آخذ حقيبة أوراقي حين خرجنا بالأمس.

كان يبدو أفضل بكثير هذا الصباح.. وكأنه نال قسطاً طيباً من النوم.

ـ أوه.. ادخل.. أين تركتها.. لم ألاحظ وجودها.

ـ قرب الأريكة.. ها هي.. كنت سأضيع من دونها.

ثم، وكأنه لاحظ أنها لم ترتد بعد ملابسها فقال معتذراً مرة أخرى لإزعاجها باكراً:

ـ سأخرج بنفسي.

ـ من الأفضل أن أغلق الباب الرئيسي وراءك.. فأنت تعرف كيف يهتز البيت كله إذا لم أقفله جيداً.

نزلت السلم مع جوناس بهدوء كي لا تزعج جيرانها، وسألها بصوت منخفض ماذا ستفعل في نهاية الأسبوع، ثم وقف معها لحظات أمام الباب ليقول لها إنه سيتصل بها في الأسبوع المقبل، مضيفاً أنه قرر السفر هذا الأسبوع.. وفكرت بأن هذا قد يفيده لبضعة أيام، وابتسمت له وهو يتابع الشرح لها بأن صديقاً اشترى لتوه أملاكاً يتداخل جزء من نهر فيها.

كان لا يزال يتكلم، حين تجاوزته عيناها إلى سيارة بدت لها مألوفة، تبطىء سيرها وهي تقترب. ثم تعرفت إلى السائق.. ولم تعد تسمع كلمة مما يقوله جوناس.. وكاد قلبها ينقلب رأساً على عقب بوقوف السيارة، وشاهدت روب ماكفرسون ينظر إليها، تعابير وجهه مليئة بالازدراء، قبل أن يدوس دواسة السرعة ويكمل طريقه.. ولم تجد صعوبة إطلاقاً لأن تعرف من تلك النظرة المزدرية، ما كان يفكر به بالضبط.

أرادت أن تركض خلفه تصيح! لا.. لا! الأمر ليس كما تظن! لكنه كان

قد استدار حول المنعطف، وخرج عن زاوية النظر.. وكان جوناس يقول لها..

ـ... وهكذا فكرت، وبما أن موسم صيد السمك على الأبواب.. سأقبل دعوته وألقي نظرة على الجزء الذي يملكه من النهر.. حسناً.. يجب أن أذهب الآن.

في شقتها، ألقت نظرة على نفسها في المرآة.. شعرها مشعث، ملابس النوم ملفوفة على جسدها بسرعة.. تأوهت.. آه يا إلهي! وتذكرت نظرة روب ماكفرسون المزدرية لها.. بالأمس فقط صدق بأنها ليست سوى صديقة لجوناس.. أما اليوم، فما من شيء يمكنه أن يخترق رأيه الثابت بما شاهده. مر في تفكيرها أن تطلب العون من جوناس، ماذا لو أقنعته أن يتصل بروب ويشرح له... ولكنها صرفت النظر عن الفكرة.. فجوناس لم يشاهده يمر، ثم أن جوناس كان يبدو ليلة أمس على حافة الانهيار، صحيح أنه بدا أفضل حالاً بكثير هذا الصباح، لكن هذا لا يمنع أن تعيده أفكاره السوداء إلى حالة الأمس... لا.. فلديه ما يكفيه.. وعلى أي حال، وهنا رفعت الكرامة رأسها، لماذا تهتم بما يؤمن به روب ماكفرسون؟

دخلت الحمام لتستحم استعداداً للذهاب إلى العمل... لقد كان لديها إحساس ما بأن التجانس الذي كان بالأمس بينها وبين روب ماكفرسون لن يعود اليوم.

وكانت محقة في هذا، فما إن وضعت قدمها على باب المكتب حتى علمت أن ذلك التجانس أصبح من الماضي. كان الباب بين المكتبين مفتوحاً، وشاهدت روب وراء مكتبه، وكأنه ينتظر قدومها. لم يبتسم لها، حتى أنه لم ينظر نحوها، وإذا كانت تنتظر منه أن يقول لها «صباح الخير لورا» كما فعل بالأمس، فالأفضل لها أن لا تكتم أنفاسها انتظاراً، وإلا ستنفجر قبل أن يقول شيئاً.. باندفاع تحركت نحو الباب وقالت:

ـ روب..

لكن النظرة المشتعلة التي رماها بها أسكتتها.. وقال بصوت قاس كالحجارة:

ـ لقد سجلت لك ما أريد إملاءه عليك . . اقفلي الباب عندما تخرجين .

خرجت لوارا، تقفل الباب وراءها بحدة . . من تراه يكون لكي ينصب نفسه حكماً على أخلاقها؟ امتزج الغضب لديها مع الإحساس بالظلم، بالأمس كان مستعداً لتصديقها، أما اليوم فلا يتحمل وجودها معه في الغرفة نفسها ليملي عليها الرسائل . . ثم، أن يصرفها عنه هكذا، وكأنها نكرة! ثارت كرامتها لتضيف المزيد من التوتر إلى المشاعر الأخرى، فانتزعت الغطاء عن الآلة الكاتبة، مصممة على أن لا تناقش معه شيئاً ليس له علاقة بالعمل . . وليذهب إلى الجحيم! ثم إنها لا تهتم مطلقاً بما يفكره بها . وكاد الشرر يتطاير من مفاتيح الآلة الكاتبة وهي تصب شيئاً من غضبها عليها .

مرت ساعة وهي تعمل فيها بصمت، حين فتح روب الباب وخرج . . لكنها رفضت أن تنظر إليه أو أن تتوقف عن العمل . وأحست بأنه وقف يراقبها، لكنها استمرت في التركيز على ما تفعل، لا تريد أن ترتكب أية غلطة ثم تتوقف لتصلحها، وبهذا يعرف أنه يثير اضطرابها . بالطبع، ارتكبت غلطة، لكنها كانت أعند من أن تتركه يعرف بأنه شتت تركيزها وتسبب في غلطها . . ثم أبعدت يديها عن المفاتيح ورفعت رأسها .

التقت بعينين فاحمتين، قاسيتين، وتعابير وجه مماثلة . . لكنها سألته ببرود شديد :

ـ هل أستطيع فعل شيء لك؟

تابع تفرسه بصمتها المتجهم . . ثم تبدلت أساريره إلى الاستخفاف، وقال بصوت مهين :

ـ أنت تفعلين شيئاً . . لي؟ لا . . لا شيء .

انتظر بما يكفي لأن يرى من بريق الغضب في عينيها أنها فهمت ما يعني، ثم استدار إلى الباب الآخر وخرج .

استشاطت لوارا غيظاً . . أوه . . لو أنها في مركز يسمح لها بأن لا تكون هنا حين يعود؟

أوه . . لو أنها قادرة على أن تترك له رسالة صوتية مسجلة، عذبة اللهجة، تقول له بالضبط ما يمكنه أن يفعله بوظيفته! كان يجب أن تكون سميكة الذهن

لكي لا تفهم ما يعنيه بقوله «لا شيء» . . إنها كانت تعني العمل، لكنه وبدماغه الملتوي، وضع، وبوقاحة، معنى خاصاً لسؤالها، والإهانة التي كانت في لهجته لم تترك لها مجالاً للشك بأنه يعتقد أن جوناس مجنون لإعجابه بأي شيء تقوله له .

رن جرس الهاتف، في الوقت نفسه الذي كان يدخل فيه الباب، بعد حوالي العشر دقائق . . فتركت لوارا طباعتها، وردت على المكالمة، لتسمع صوتاً بهيجاً يقول لها :

ـ مرحباً لوارا . . معك إيلين بريستونز . . هل روب موجود؟

ـ سأوصلك به .

لم تنتظر لتعرف ما إذا كان روب يريد الرد أم لا . . بل قالت له :

ـ السيدة بريستونز تطلبك .

كان باستطاعتها أن تقول بسهولة «إيلين تطلبك» لكنها كانت تريد إبقاء كل شيء رسمياً بينهما .

ـ سآخذ المكالمة في مكتبي .

لم تكن لوارا مهتمة بسماع أي شيء مما سيقوله في المكالمة، وتمنت لو أنه تذكر أن يقفل الباب وراءه . . مجرد رؤيتها لبذلته القاتمة، شكله، رأسه الأسود الشعر المتعجرف وهو يدير ظهره لها، دفعها إلى الغضب مجدداً . ثم تلاشى غضبها، فمما سمعته من رده على إيلين، عرفت أن مزاج المرأة قد تغير من اللطف إلى الغضب . . وما قاله روب رداً عليها فيما بعد أكد لها شكوكها . . فقد سمعته يقول :

ـ لا تبكي إيلين . . أقال لك هذا؟ . . بغض النظر عن كل الوقائع . . لا أظن الأمر سيدوم طويلاً .

في هذه اللحظة استدار ينظر إليها، وحدق في عينيها، شيء من المغناطيس في نظرته جعلها غير قادرة على تحويل عينيها عنه . وأكمل يقول لإيلين .

ـ قد تكون جميلة . . لكن في نظري، لا تملك شيئاً آخر يشفع لها . . وسيسأم منها بعد وقت قصير . . أنا متأكد من هذا . ثقي بكلامي . . لن تكون عشيقته لمدة طويلة .

اتسعت عيناها وهي تنظر إليه . . إنهما يتكلمان عنها . . ليس هناك مجال للخطأ! طغى على بشرتها لون أحمر ناري، ودون تفكير بما تفعل، وقفت على قدميها في الوقت الذي تفضل فيه روب عليها بنظرة ساخرة أخرى من نظراته المهينة، ثم أدار لها ظهره. سمعته يقول لإيلين أن تجفف دموعها، وأنه سيخرجها إلى الغداء . . . دون انتظار المزيد، وقبل أن يعيد السماعة إلى مكانها هجمت إلى مكتبه، وصاحت قبل أن يستدير :

ـ كيف تجرؤ على الكلام عني هكذا؟

استدار، ومع أنه لاحظ أنها تبدو رائعة في غضبها إلا أنه لم يظهر ما يدل على هذا. وقال متشدقاً بإهانة :

ـ أي جزء من الحديث تعترضين عليه؟ أنا واثق أنك سمعت من قبل وصفاً بأنك جميلة.

ـ ليس هذا . . وأنت تعرف جيداً.

ـ هل أنت غاضبة لأنني قلت لإيلين إن زوجها سرعان ما يسأم منك؟ أم أنك منزعجة لأنني قلت إنك لا تملكين سوى جمالك تجذبين به الرجل؟

آلمها هذا، ولا بد أنه كان يقصد أن يؤلمها . . لكنها كانت متعبة أكثر من أن تفكر لماذا كان رأي روب ماكفرسون فيها وعن عدم قدرتها على الحفاظ على أي رجل، يؤلمها. بل قالت ملتهبة :

ـ رأيك بي لا يزعجني مطلقاً . . مع أنك بالأمس فقط صدقت ما قلته لك عن الوضع الصحيح للعلاقة بيني وبين جوناس . . لكنك الآن تقول لزوجته إنني عشيقته! أنت . . .

قاطعتها بخشونة :

ـ وهذا ما يثبت كم كنت مخطئاً، بالأمس ظننت أنني أرى الصدق فيك حتى اضطررت لمخالفة حكمي السابق. هذا الصباح شاهدت بريستونز يغادر شقتك وكنتِ تبدين كأنك خرجت من فراشكما المشترك لتودعيه . . لا . . لقد سئمت من أكاذيبك ومن قلة شرفك. على الرغم مما قاله بريستونز لإيلين فأنت لا تملكين الجرأة لأن تكوني صريحة حول ما يجري بينكما.

خفف الارتباك من غضبها :

ـ بالرغم من ماذا؟

ماذا يمكن أن يكون جوناس قد قال لإيلين حول علاقة لا يمكنه أن يثبت براءتها؟ سمعت روب يقول لها ببرود :

ـ كانت إيلين تتصل به قبل دقائق من اتصالها بي . . وقد تحطم قلبها بسبب ما قاله لها . . وهي تظن أنها لا تملك فرصة للعودة إليه الآن.

مات غضبها تماماً وهي تحاول فهم ما ترمي إليه إيلين . . فهي تعرف تماماً أن جوناس يريد استعادة إيلين . . وتعرف كذلك أنها ستضيع وقتها لو حاولت مجادلة روب في هذه النقطة، فهو غير مستعد بعد لتصديق كلمة منها . . . لكن، ماذا بحق السماء قال جوناس لزوجته مما جعلها تبكي أمام روب؟ سألت، تريد معرفة السبب، بما أن الظاهر أنها هي سبب حزن إيلين :

ـ هل تكدرت إيلين بعد مكالمتها مع جوناس؟

ـ هذا شعور طبيعي لامرأة في مثل وضعها. إنها تعرف تماماً ما بينكما، ولا حاجة له لأن يقول لها إنك تحبينه.

أجفلت لوارا وقالت بذهول :

ـ أنا . . أحبه؟ قال لها جوناس هذا؟

ـ أتنكرين صحة هذا؟

لو أن لهجته كانت أكثر دفئاً . . لو أن هناك أي دليل بأنه يمكن أن يصدّقها، لقامت بالجهد مجدداً لتبرئة نفسها أمامه . . لكنها لم تجد جدوى في أن تضرب رأسها في جدار صلب، ولن تحاول . . لكن، ولأنها أرادت أن تعرف الحقيقة . . هل قال جوناس هذا حقاً؟ أم أن إيلين تختلق الأمر لسبب شرير خاص بها؟

ـ وهل تصدقني لو أنكرت؟

رأت الرد عليها في كل خط قاس من خطوط وجهه، ودون انتظار سماع الرد . . استدارت وتركته.

حين مر روب أمام طاولتها قبل موعد الغداء مباشرة، أبقت رأسها مدفوناً في عملها . . حين أقفل الباب خلفه فقط، رفعت رأسها : سيتناول الغداء مع إيلين، ولا مجال للشك أن اسم لوارا ويلكنسون سيكون محور الحديث.

عادت من غدائها، مصممة تماماً على أن تتصل بجوناس ساعة يخرج روب إلى اجتماع له في الثالثة لتعرف ما يجري.. وما إذا كان في مزاج يسمح له بسماع اسم إيلين أم لا، يجب أن تعرف ماذا يجري... هل حقاً قال لإيلين إن لوارا تحبه؟ أم أن إيلين اختلقت كل هذا لغرض في نفسها؟

كانت الساعة تقارب الرابعة قبل أن تتمكن لوارا من مخابرة جوناس.. وحين حصلت على المكالمة أخيراً، قالت لها سكرتيرته إنه خرج. فقالت لسكرتيرته أنجيلا هنتر:

ـ لا تقلقي.. ربما أستطيع الاتصال به في منزله.

ـ لم يعد إلى المنزل.. لقد سافر باكراً لقضاء نهاية الأسبوع، ليتجنب زحمة السير.

أقفلت لوارا الخط.. لقد فاض الكيل.. بالكامل وإلى أقصى حد.. شكراً لإيلين، إنها الآن عالقة في وسط خلاف زوجي لا يبدو حله قريباً.. لكنها كانت خائفة جداً من أن تفعل ما يقوله لها كل جزء صحيح التفكير من جسدها، إن التصرف الأفضل لها.. هو أن تتوقف عن رؤية جوناس... أوه.. إنها خائفة من أن ينهار فيما لو انسحبت من صداقته في هذه المرحلة. الجميع حولها يدور بوجه صفيق، ووجهها ليس بالاستثناء.. وهذا ما بدا منها اليوم.. أليس كذلك؟ فكرت بمنزل أبيها في ريف بروكن هيل وبجولي، ومرحها الذي لا يفشل أبداً.. فجأة صممت على رأيها.. ستذهب إلى بروكن هيل في نهاية الأسبوع، وليذهب كل شيء إلى الجحيم.

كانت تجلس في القطار المتوجه إلى ويلز الجديدة الجنوبية تلك الليلة متجهة إلى بروك هيل.. وقد بدأت تشعر أنها أفضل حالاً. لم تكن قد شاهدت روب ماكفرسون عندما خرج لاجتماعه، وكانت سعيدة لهذا.

لكن في بروكن هيل، حدث شيء جعلها تعود إلى سيدني وفي ذهنها أشياء أخرى تفكر بها.. حين وصلت في الباص الذي استقلته من محطة قطارات بوكن هيل إلى حيث تسكن، شاهدت مارك ينتظر عند أسفل المفرق الذي يتجه إلى منزلهم. وأصر مارك على أن يحمل لها حقيبتها وسألته:

ـ كيف حال المدرسة؟

من بعيد شاهدت بوني يقف قرب بوابة المنزل. كان يأخذ دوره كرجل البيت بجدية، ومع علم لوارا كم يحبها.. فقد كان أقل إظهاراً للعاطفة من أخيه.. لوحت له من بعيد، ولوّح لها، يفتح الباب وهو يلوّح. ورد مارك السائر بقربها:

ـ لا تذكري لي المدرسة.. أحاول نسيان أمرها حتى يوم الاثنين.. ليت الإجازة تطول! ستتان أخريان من العذاب أتطلع إليهما!

وتأوه مارك بسخرية فضحكت لوارا، ثم وصلا إلى بوني.

ولأنها مولعة جداً به فهي تحتاج إلى كل ذرة إرادة كي لا تحتضنه، لكنها كانت تعي أنه يمر في مرحلة من نموّه، قد يحرجه فيه مثل هذا الاستعراض لو شاهده الجيران، لذلك رضيت في طبع أسرع ما يمكن من قبلة على وجهه.. لكنه عرف أن حبها موجود حين قالت له:

ـ مرحباً حبي!

أراح بوني مارك من حمل حقيبة لوارا، ووجهه الجاد يبتسم وهو يسألها عن رحلتها.. كم بدا لها ناضجاً وهي ترد له الابتسام.. كان عليه أن يكبر بسرعة، مع أن أمه لم تكن تأخذ مسؤولياتها بخفة. لكنه وضع على عاتقه ما اعتبره عمل الرجل في البيت.

ثم فتح بوني الباب الخلفي، وهناك كانت جولي.. العزيزة الرائعة! جسدها استدار قليلاً، شعرها البني يخالطه اللون الرمادي، لكن العينين اللوزيتين كانتا تشعان بالحب والترحيب لابنة زوجها.. ولم تصدر عنهما أية كلمات، بل فتحت جولي ذراعيها لتضم لوارا بينهما، وأحست لوارا بالسعادة.. وتلاشى من رأسها كل التفكير بسيدني وبومها المخيف.. من الجيد أن يعود المرء إلى منزله.

أثار توتر لوارا أن يقتحم ذهنها التفكير بروب ماكفرسون في لحظة غريبة من نهاية الأسبوع، كانت تظن مثل مارك أنها قادرة على نسيان كل الأمور البغيضة حتى يوم الاثنين.. ووجدت إزعاجاً خاصاً في أن تملأ رأسها الذكرى، ليلة الجمعة وهي تستلقي دون نوم في فراشها.. والأكثر إزعاجاً كان واقع أنها مهما حاولت جاهدة أن تبعد عنها هذه الأفكار بأشياء أخرى، كان

يرفض أن ينصرف من تفكيرها.

يوم السبت ساعدت جولي بأعمال المنزل العادية، بعد الظهر خرج الأربعة في نزهة إلى الحقول.. كانت تفكر بأن تقص على جولي شيئاً مما يقلقها حول استمرار صداقتها مع جوناس، لكن حين سألتها جولي وقد ابتعد مارك وبوني عن السمع:

ـ كيف حال جوناس؟

وجدت لوارا صعوبة في الإفضاء لها بما تريد.. فقد بدا لها.. أوه.. مشيناً.. صحيح أن جولي ليست متكبرة، لكن بدا لها أن ليس من حقها أن تأتي معها بما أصبحت تؤمن أنه «غسيل قذر» إلى المنزل.

ـ إنه بخير..

ـ ألا زلت تقابلينه؟

ـ أجل.. كان مسافراً في عمل، كما كتبت وقلت لك، لكنه عاد الآن، تعشيت معه مرتين هذا الأسبوع.

ـ لديك مرافقين غيره.. أليس كذلك؟

لأنها تحب جولي، التقطت أذناها رنة في صوتها تجعل سؤالها أكثر أهمية مما يجب.. أجابت بصدق:

ـ أحياناً.

لكنها أصيبت بالحيرة للسؤال.. فسارعت تقول لها:

ـ أنا وجوناس مجرد أصدقاء جولي.. لا شيء أكثر.

ما أروع أن تجد من يصدقها! النظرة الصريحة التي نظرتها إليها جولي قالت لها إنها لم تكن تعتبر صداقتها لجوناس، أي شيء آخر.. وأحست بالفرح لسماع ضحكتها، ووصفها لها بالغبية لأنها لم تعن يوماً مثل هذا.

ثم قالت جولي، وقد تلاشت ضحكتها:

ـ أعرف هذا، فجوناس يحتاج إلى صديقة مثلك إذا كانت زوجته ما تزال تتعبه.. هل من دليل يشير إلى اتفاقهما مجدداً؟

ـ ليس الكثير، والأشهر تمر بسرعة.

ـ حسناً.. سيتفقان معاً حين يكونان مستعدين، كما أتوقع.

وتابعتا المسير تتحدثان بأمور أخرى.

لكن، في اليوم التالي، وبعد الغداء، والكثير من الضحك والمرح، قررت لوارا تأخير عودتها إلى سيدني، على أن تركب قطار الصباح الباكر.. وجلست في مواجهة جولي، كل منهما في كرسي هزاز على جانبي مدفأة تهدر فيها النار.. حيث توجه حديثهما إلى ناحية وجدتها لوارا مزعجة. لأول مرة لاحظت لوارا أن وجه جولي أصبح جاداً، بعد أن عادت لتسأل السؤال نفسه عما إذا كانت لوارا تخرج مع رجل غير جوناس. مرة أخرى تلك الرنّة كانت في صوتها.. فجأة قلق لوارا تحول إلى حذر.. فقد بدا لها أن جولي كانت تمعن التفكير، وخرجت ببعض الردود التي لم تكن تريحها. وتابعت السؤال:

ـ رسائلك إلينا دائماً مليئة بالأخبار.. وكلنا نسارع إلى قراءتها.. لكن حين أكتب لك لأسأل كيف حال فلان أو فلان ممن تذكرينهم في رسائلك تردين دائماً أنك لم تعودي تقابلينهم.. أنت تعيشين في المدينة منذ زمن طويل، واعلم، منذ كنت هنا، أنك لا تواجهين صعوبة في إيجاد الأصدقاء. لذلك لا أستطيع أن أرى أنك المخطئة في عدم خروجك مع رجل آخر غير جوناس، أكثر من مرتين.

زاد حذر لوارا.. لم تكن قد فكرت، في تخطيطها لأن تبقى دون زواج، أن جولي ستقرأ الكثير بين سطور ما تكتب لها... وكم كانت غبية قصيرة النظر! لكن، قبل أن تتمكن من التفكير بتعليق.. استمرت جولي في كلامها:

ـ وأنا لا أستطيع التفكير، ما عدا جوناس، أن ليس هناك رجلاً واحداً، منذ وفاة والدك، يملك شيئاً لا يدفعك لمحاولة معرفته أكثر.

والدها ميت منذ خمس سنوات، وما قالته جولي أوضح أنها قد أصابت الهدف. فقالت:

ـ جولي..

لكن جولي قاطعتها:

ـ لا.. دعيني أنهي كلامي. كنت أفكر كثيراً ومنذ مدة.. أنت مخلصة بشكل زائد عن اللزوم لنا لوارا.. ونحن نحبك لهذا.. لكنني لا أستطيع إلا أن أحس بالقلق عليك.

هذا آخر شيء ترغب فيه:

- تقلقين علي؟ جولي.. ليس لهذا سبب.. صدقاً.

- بل أعتقد أن له سبباً. أنا أعرفك لوارا.. وأنا ممتنة لإخلاصك لنا. لكن هذا لن يمنعني من التساؤل ما إذا كنت وبسبب هذا الإخلاص تهدرين حياتك.

مرة أخرى حاولت لوارا قول شيء، لكن جولي هزت رأسها وتابعت:

- يجب أن أقول هذا.. لقد كان يشغل تفكيري منذ زمن.. ستصبحين في السادسة والعشرين في الأسبوع المقبل.. أعرفك، وأعرف كل شيء عن البحث عن النفس الذي ساعدتك عليه حين حققت استقلالك بالسفر إلى سيدني قبل وفاة والدك بسنة.. لكن، مع كل نزعتك الاستقلالية، أنت أساساً ربة بيوت.. أنت تحبين الحياة العائلية، ولا أستطيع إلا أن أقلق لأن سبب عدم زواجك حتى الآن هو أنك تضعيننا في المرتبة الأولى في حياتك.

صاحت لوارا، غير قادرة على السكوت:

- أوه.. جولي!

راعها أن تكون جولي قد تعذبت وهي تفكر حتى توصلت إلى مثل هذا الاستنتاج دون أن تقول شيئاً.. وأكملت بسرعة:

- أنا لم أتزوج، لأن الرجل المناسب لم يتقدم للزواج مني بعد.

- لكن.. هل ستقبلين به لو فعل؟ هل ستسمحين لنفسك أن تحبي؟ إذا وقعت في الحب، هل سترحبين به، وتسمحين لقلبك أن يحكم رأسك؟ أم أنك كما أتوقع، ستديرين ظهرك لهذا الحب مندفعة بإحساس مخطىء بأننا نحتاج إلى المال الذي ترسلينه لنا كل شهر، بحيث لا تستطيعين ترك عملك لتأخذي دور الزوجة وإنجاب الأولاد؟

كذبت لوارا متعمدة:

- طبعاً سأفعل.

لكن تعمدها هذا كان ظاهراً جداً، فقد هزت جولي رأسها وتنهدت:

- أوه.. يا لوارا. أنت فتاة عزيزة.. لكنني لا أظنك صادقة.. لقد صممت الرأي على أن لا تتزوجي إلى أن يصل بوني إلى الجامعة، وربما ليس هذا

فقط، بل بعد أن يتمكن من كتابة لقب «دكتور» قبل اسمه.

وجه جولي المرح دائماً رغم كل الصعاب بدا فجأة كئيباً مثقلاً بالهموم، حتى أن لوارا أصبحت بسرعة خارج مقعدها تجثو إلى جانبها.

- لا تكوني تعيسة جولي.. أرجوك.

وأمضت نصف الساعة التالي تحاول إقناعها أن الأمر هو ما قالته تماماً، الرجل المناسب لم يتقدم بعد للزواج منها.. وأنها حين يتقدم ستقبل به دون تردد.. لكن، لماذا فكرت في هذه اللحظات بروب ماكفرسون.. إنها لا تدري! أبعدته بحدة عن أفكارها، تحاول كل جهدها أن تعيد نظرة السعادة إلى وجه جولي.

ذهبت تلك الليلة إلى النوم، وتفكيرها مثقل بالقلق. لقد تمكنت من إقناع جولي بأنها لا تضحي لأجل الأولاد لكنها لم تستطع التوقف عن القلق حين تفكر كم مضى على جولي وهي تفكر بهذا الأمر.

* * *

هل

٦ ـ في وجه الريح

جلست لوارا في الصباح التالي، في القطار المتجه إلى سيدني، وهي تعرف أنها ستصل المكتب متأخرة ساعة. كانت قد استفاقت باكراً بما يكفي، كما الجميع، أو هكذا ظنوا.. لكن الاكتشاف المفاجىء بأن التوقيت الصيفي قد بدأ، جعلهم يدورون لاهثين للحاق بالوقت.

كان مارك يستعد للخروج من المنزل دون فطور، لعلمه أنه سيتلقى علامة سوداء لتأخيره، حين سمع الراديو يعلن بصوت صارم: هل تذكرت أن تقدم ساعتك ساعة؟ بينما نسي بوني ما كان يشغل فكره ويجعله هادئاً، منذ ليلة أمس.. لكن جولي هي التي أجبرت الجميع على النظر إلى الناحية المضحكة للأمر، بعد أن سارعت لوارا إلى غرفتها لتكمل توضيب حقيبتها.

حين تذكرت لوارا كيف كان روب معها يوم الجمعة لم تعد متأكدة بأنه سينظر إلى تأخرها بمرح. ثم قررت أن لا تفكر به.. فلا فائدة من ترقب المشاكل. ما تبقى من رحلة القطار، قضتها في التفكير بأحداث نهاية الأسبوع، والحديث الذي تبادلته مع جولي بالأمس، متذكرة الهدايا التي قدموها لها لمناسبة عيد ميلادها في الأسبوع القادم، والتي اشترتها جولي سلفاً لترسلها يوم السبت وتلقت تعليمات من الثلاثة أن لا تفتح الهدايا قبل يوم الأربعاء.. وتذكرت أنها أخبرتهم عن عملها لدارموند حالياً، وأحست أن جولي لاحظت تحفظها حين ذكرت اسم روب ماكفرسون، وعرفت أنها أعطتها شيئاً جديداً تقلق لأجله لذلك سارعت تقول لها انه رئيس مجلس إدارة الشركة وإنه يعجبها كثيراً.. وعلى أمل أن يسامحها الله على كذبها، غيّرت الموضوع بسرعة.

عندما توقف القطار في محطة سيدني، لم يعد لديها وقت تفكر فيه كما تشاء، وبذلت كل طاقتها للوصول إلى المكتب في أسرع وقت ممكن. حين

هل تجرؤين؟

نزلت من التاكسي، راجعت عقارب الساعة، لترى أنها العاشرة، بالتوقيت الجديد.

كانت مستعدة لشرح سبب تأخيرها حين فتحت باب المكتب.. لكن رؤيتها لروب ماكفرسون يخرج من مكتبه وتعابير وجهه شديدة البرود، وهو ينقل نظره منها إلى حقيبة الملابس الصغيرة في يدها، جعلها تعرف، قبل أن تفتح فمها، أنها مهما قالت له، فلن يصدقها.. كان يبدو غاضباً كغضب الجحيم.. مع ذلك فتحت فمها لتحاول، وقلبها يخفق بشدة، لكنها لم تتلفظ سوى بكلمة واحدة، قبل أن يهاجمها بعدوانية صاعقة. وهو يقف على بعد إنشات منها:

ـ أنت لا تهتمين أبداً.. لا تهتمين بمن يصاب بالأذى طالما تحصلين على المتعة!

حاولت بسرعة بعد أن لاحظت أن غضبه سيخرج عن سيطرته:

ـ أنا آسفة لتأخري.

وأملت بذلك أن يهدأ الموقف المتشدد قليلاً.. أكلُّ هذا لأنني تأخرت ساعة؟ ثم.. عن ماذا يتحدث على أي حال؟ من هو الذي تسببت له بالألم؟.. وأكملت:

ـ كنت أمضي نهاية الأسبوع.. و..

ـ أعرف تماماً أين كنت ومع من!

بدا لها أنه على وشك أن يمسك بها ويهزها إلى أن يقطع أنفاسها.. فازدادت حيرتها:

ـ أنت.. أنت تعرف؟

إنها لم تذكر له شيئاً عن سفرها إلى بروكن هيل.. في الواقع لم تقرر هذا إلا بعد أن خرج لمقابلته يوم الجمعة.. ثم مع من يفترض أنها ذهبت...؟

ـ وهل ظننت أن الأمر سيبقى سرّاً؟ مع أنك لا تهتمين.. ألم يخطر في رأسك الصغير الساعي إلى الملذات أن تفكري بالألم الذي تسببينه لشخص آخر؟ لقد تماديت كثيراً في علاقتك مع بريستونز، حتى لم يعد يهمك، وفي علاقتك الدنيئة المحرمة به ما إذا كان قلب زوجته سيتحطم أم لا!

هل تجرؤين؟

صاحت لوارا شاهقة:

- علاقتي المحرّمة؟

مات خوفها منه بتصاعد غضبها وأكملت:

- اسمع الآن وتوقف عند حد..

لكنها وجدت أنه لم يكن ينوي التوقف عند أي حد فقد ارتفع صوته فوق صوتها:

- ظننت أن أحداً لن يكتشف الأمر.. أليس كذلك؟ مع أن هذا لن يزعجك! لكن، بغض النظر عما تظنين، لا يزال بريستونز يهتم بها ما يكفي ليخفي عنها تحركاته.. ومن المؤسف لك، أن تتصل إيلين به يوم الجمعة، مستعدة للاعتذار عن أمور قاسية قالتها له حين حدثته ذلك الصباح.. ولم تتردد سكرتيرته في أن تقول لها إنه مسافر لقضاء عطلة الأسبوع.

وكأنما لم يعد يستطيع احتواء غضبه، أمسك بها.. وعرفت لحظتها أنها لا تريد حتى أن تقول شيئاً لتبرىء نفسها.. فليصدق الجميع ما يشاء... فليتلظى الجميع مع أفكارهم الدنيئة وليستنتجوا ما يشاؤون! فإذا كانت إيلين تقضي وقتاً أطول تفكر بنفسها، بدلاً من التفكير بزوجها الذي لا تهتم به كما تدعي.. فستعرف أنه يتجه إلى الانهيار.

سألت ساخرة:

- وماذا قالت «العزيزة» إيلين غير هذا؟

كانت محاولة شجاعة للسخرية منهما، مع كل أملها أن لا يظهر على وجهها الخوف منه حين أمسك بذراعيها.. وتنفس روب بحدة لظنه أنها لا تهتم بمن لا يتألم طالما لا تكون هي المتألمة.. ثم، وكأنه وعى عنف غضبه، تركها، ودس يديه في جيبي بنطلونه، وحين تكلم ثانية، كان قد سيطر على حرارة غضبه، وبدا صوته بارداً. وقال لها من بين أسنانه:

- ابنة خالي ضمت صوتها لصوت خالي في التوصية بأن وجودك في الشركة لا قيمة له.. وأنا أميل للموافقة معهما.

أبقت لوارا قسمات وجهها هادئة ظاهرياً، مع أنها من الداخل كانت تحس بالشحوب:

- إذاً.. سأصرف من العمل أخيراً.

- أوه.. لا آنسة ويلكنسون.. هذا سيكون سهلاً عليك. لقد أعطيتك وعداً بأن تبقي وظيفتك.. وأنا أعرف تماماً أن معنى كلمة «الشرف» ليست في قاموسك الشخصي... لكنني لا أنوي الإخلال بوعدي.

تراجع عنها خطوة، متعمداً إبقاء عينيه على وجهها، ثم جسدها.. لكنه حين عاد لينظر إلى وجهها كانت في عينيه نظرة صخرية وهو يقول واعداً:

- لا.. آنسة ويلكنسون.. لن أصرفك من العمل، لكنني سأجد طريقة لإبعادك، كوني واثقة من هذا.

بكل هدوء واثق لرجل طالما كانت له اليد العليا، استدار وترك المكتب.

أفكار لوارا كانت تضج صاخبة في رأسها بعد رحيله. كل هذا الغضب المشتعل! مع كل هذا الهدوء البارد! أحست وكأنها حشرة سحقتها الأرجل! وكانت سعيدة لجلوسها في كرسيها، فهي تحتاج إلى شيء صلب يقيها من السقوط وهي تراجع كل ما حدث.

آلياً، تمكنت من إتمام عملها ذلك اليوم.. لقد وعد بأن لا تخسر وظيفتها، ولا شيء سيدفعه إلى التراجع.. ويجب أن تتمسك بهذا، مع أن هذا لا يجب أن يمنعها من التفتيش عن وظيفة أخرى. وكيف يمكنها أن تستمر في العمل لرجل، على الرغم من أن رأيه وضيع فيها، أوضح لها بصراحة أنه بطريقة أو أخرى، سيجد طريقة لإبعادها؟

حين اتصل بها جوناس، في منتصف بعد الظهر، لم تكن في مزاج يسمح لها بالكلام معه.. ثم عاودها التفكير بأنه يتجه إلى الانهيار، ولم يكن من طبيعتها أن تتخلى عن أحد. مع أنه لا بد عرف من لهجتها أن شيئاً ما يزعجها، وسأل:

- هل هناك شيء؟

كادت تقول لا.. لكنها وجدت نفسها تسأله:

- جوناس.. أقلت لإيلين إنني أحبك؟

ندمت على طرحها للسؤال، فهي واثقة أن إيلين اخترعت كل هذا، بالطريقة نفسها التي جمعت بها بين رحيلها ورحيله في عطلة الأسبوع.. لكن حين طال الوقت دون أن يردّ، بدأت ثقتها تتزعزع، فسألت:

ـ جوناس؟

رد ببطء:

ـ حسناً.. في الواقع..

صاحت غير مصدقة:

ـ أووه جوناس.. أنت لم تفعل!

سارع للاعتذار:

ـ آسف.. لم أكن أقصد.. صدقيني.. لكن..

قاطعته صائحة:

ـ لكنك تعرف أن هذا غير صحيح! تعرف أنني أهتم بأمرك، لكنني لم أدفعك يوماً لأن تفهم أنني..

ـ أعرف.. أعرف.. ولما كنت قلت ما قلته لولا أنها دفعتني.. كانت في الواقع.. حاقدة..

هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها بشيء ضد زوجته وعلمت من هذا أن إيلين لا بد كانت كريهة معه.. وأكمل:

ـ... كانت تستمر في القول إنها لا تستطيع أن ترى ما ترينه أنت بي، وإنها تراهن بأنك ستتخلين عني لحظة تقابلين شخصاً آخر. و.. حسناً.. لأقول الحقيقة، انزعجت، ثم تذكرت ما قلته لي عن إمكانية أن تكون إيلين متكدرة من صداقتنا، وتذكرت أنني سخرت من فكرة أن تكون غيورة، وكنت غاضباً إلى درجة أنني رغبت أن أجعلها تغار حقاً.. فقلت لها، إنه لن يهمك أي شخص آخر، لأنك تحبينني.

لم تكن روح لوارا المعنوية مرتفعة حين أنهت مكالمتها مع جوناس.. فقد قال لها إنه مستعد للاتصال بإيلين، وسيتحمل سخريتها عليه حين يتراجع عما قال لها. وتذكرت حساسيتها حين يسخر منها أحد، ومنعته من فعل هذا.. فماذا يهم على أي حال؟ فقد تعرضت للإذلال، حتى لم يعد هناك من مزيد. لكن، لو أن إيلين تحب جوناس كما يدعي روب، فهي مؤمنة أنهما معاً بحاجة لمن يضرب لهما رأسيهما ببعضهما بسبب استغلالهما لكل فرصة لإيلام بعضهما.

واخترعت عذراً كي لا تقابل جوناس ذلك المساء.. وبقدر ما هي مشفقة آسفة عليه، لن تستطيع مواجهته، حتى أنها تمنت لو لم تكن تعرفه، ولا تعرف شيئاً عن وحدته، لتتمكن من إبعاده عن حياتها وتحصل على بعض السلام والهدوء من روب ماكفرسون ولسانه اللاذع.

كانت ممتنة لأن روب تمكن من تحيتها بشكل متمدن في الصباح التالي. كانت تتخوف طوال الطريق إلى عملها من تجدّد العدائية بينهما والتي قد تطحن أعصابها.. فهي تعرف أن لا مواعيد لديه اليوم خارج المكتب. لكن، على الأقل، مع صباح الخير هذه كان يفتح فمه لقول شيء غير الصياح في وجهها ومهاجمتها مع أن اسمها لم يمر من فمه بعد التحية كالمعتاد.

ـ صباح الخير.. رو..

وصمتت.. انها تفكر به باسم روب الآن.. فالعودة إلى مناداته بالسيد ماكفرسون قد يحمل شيئاً من السخرية.. جلست خلف طاولتها، تفكر بأنه بعد الذي حدث بالأمس لن يرغب في اسم روب يخرج منها دون تكلف.

إلى أن حلّ بعد الظهر، ظنت أن دفئاً ما قد بدأ بينهما.. فقد ناداها لوارا أكثر من مرة خلال اليوم، مع أنها لم تناده بشيء، ليس بصوت مرتفع على أي حال، والأسماء التي كانت تنعته بها كانت بينها وبين نفسها فقط.

كان في مكتبه، وورقة في يده، يقول لها:

ـ أيمكنك...

حين رن جرس الهاتف، أشار إليها أن ترد.. لا شيء عدائي يظهر عليه وهو يقف، ينظر إليها.. لكن، ما أن عرف من الذي يتكلم معها وقولها:

ـ أوه.. مرحباً جوناس.

حتى اجتمع حاجباه بتقطيبة حادة سوداء. تجاهلته وهي تتحدث إلى جوناس الذي كان يطلب الخروج معها تلك الليلة. وأحست بنياط قلبها تتمزق لسماع رنة الحرمان في صوته.. لكنها ليلة أمس كانت قد فكرت كثيراً، وقررت أنها إذا توقفت عن رؤيته فإن هذا لن يفيده، وأن عليها في الوقت نفسه أن تحدّ من مقابلاتهما، على الأقل إلى مرة في الأسبوع.. فقد بدأت تتزعج من فكرة أنها تقف في طريق مصالحته مع إيلين، كما زرع روب في نفسها مع أنها

هل تحبّونني

زالت لا تصدق هذا، فقد قررت أن تراقب أي تحسن في تصرفه نحو زوجته، فإذا لاحظت هذا، ستتوقف عن مقابلته إلا في المناسبات. وسألته:

- ألا يمكن أن نفوّت هذه الليلة؟ كنت مسافرة في عطلة الأسبوع، وتأخرت في بعض الأعمال.

تمنت لو أنها لم ترفع نظرها، فقد كانت تتوقع أن يكون روب ينظر إليها باستغراب، لكنها شاهدت السخرية في عينيه، وعرفت أنه يظنها تحاول أن تذر الرماد في عينيه حول عطلة الأسبوع لأنه مقتنع بأنها أمضتها مع جوناس.

سألها جوناس:

- إلى أين ذهبت، إلى بروكن هيل؟

- أجل.

- أيمكننا الخروج ليلة الغد إذاً؟ فالغد عيد ميلادك أليس كذلك؟ لا يمكنك البقاء في المنزل لوحدك غداً.. أتفكرين بإنهاء صداقتنا؟

- لا.. طبعاً لا.. وبما أن عيد ميلادي في الغد، سأكون مسرورة بقبول دعوتك.

حين أعادت السماعة مكانها وجدت أن روب قد عاد إلى مكتبه.. ومهما كان سبب دخوله ليطلب منها، يبدو أنه لم يكن مهماً. وأدركت أنهما عادا إلى البداية، وأعادت غطاء الآلة الكاتبة، استعداداً للذهاب إلى منزلها. لم يعد يناديها باسمها منذ تكلمت مع جوناس.. حتى أنه لم يتحدث إليها مطلقاً.. ولم تكلمه هي كذلك.. حتى أنها تركت المكتب إلى منزلها دون أن تودعه.

كانت مصممة في الصباح التالي على أن لا تدع شيئاً يكدرها.. خرجت من السرير وفتحت المشتريات التي قدمتها لها جولي.. وارتفعت معنوياتها حين شاهدت زجاجة العطر من جولي، علبة البودرة من مايك، والمناديل الحريرية من بوني. كلهم فكروا بها، وأحست بالدفء.

لكن الهدايا لم تتوقف عند هذا. فحين دخلت مكتبها، وبنظرة سريعة نحو باب مكتب روب لاحظت أنه مفتوح، وأنه وصل قبلها، فأدارت نظرها عنه بسرعة، فهو لم يقل لها صباح الخير، لكنها شاهدت على مكتبها «قازة» من أجمل ما رأته مليئة بالقرنفل.

سألت دون وعي:

- من أين..؟

وسمعت صوت روب يرد دون قساوة أو لؤم كما كان بالأمس، لكن بهدوء يقول لها:

- صباح الخير لوارا.. عيد ميلاد سعيد.

- هذه منك؟

- أجل.. مني.. أكنت تظنين أنني كريه لا أحتمل طوال الوقت؟

ماذا يمكنها أن ترد عليه؟ خصوصاً وأنه ما زال حتى الآن بالنسبة لها ذلك المخلوق الكريه، لكنه تذكر أن اليوم عيد ميلادها.

- شكراً لك.. إنها رائعة.

وتقدمت لتجلس وراء طاولتها.

بتقدم الصباح، بدأت لوارا تلاحظ أن روب ماكفرسون، وكمعاملة خاصة لها في عيد ميلادها، يتصرف بأفضل ما لديه معها اليوم.. إلى درجة أنه أظهر لها بعض سحره الذي قالت لجولي إنه يمتلكه.

لكن، ما إن حل بعد الظهر، حتى بدأت تشك في صدق هذا السحر. فقد دخلت مكتبه لسؤال، وانتظرت إلى أن رفع رأسه إليها، فمكتبه كان مليئاً بأوراق الحسابات، وهي أذكى من أن تقطع له حبل أفكاره.. نظرت إلى رأسه المنحني، فشاهدت شعرات رمادية هنا وهناك في شعره الأسود، ودون أي سبب، دخلت في حلم عما يمكن أن يبدو، لنقل بعد عشرين سنة من الآن.. لا بد أنه سيبقى مالكاً لذلك «الشيء ما» حوله.. ذلك «الشيء ما» الذي يجعله جذاباً للنساء.. توقفت في تفكيرها عند هذه النقطة.. أهو جذاب فعلاً؟ لا تكذبي على نفسك لوارا.. تعرفين أنه جذاب.. لكن.. هل هي منجذبة إليه؟ هل نسيت بسرعة ما أحست به وأنت بين ذراعيه؟ كم أردت أن تتجاوبي معه؟ هل نسيت بسرعة ذلك الاكتشاف الجديد الذي اكتشفته عن نفسك؟

قاطع روب أفكارها:

- يبدو أن أفكارك تقلقك لوارا.

وسرها أن يقاطعها، فهي لم تكن معتادة بعد على مثل هذه الأفكار..

وتابع:

ـ أهناك شيء أستطيع مساعدتك فيه؟

بدا لها عرضه حقيقياً.. لكنه لن يحصل يوماً على لمحة من أفكارها.. بحثت في ذهنها تحاول تذكر السبب الذي أتى بها إلى مكتبه، ثم، لحسن الحظ، تذكرت سؤالها وطرحته عليه. فقال لها:

ـ هذا شيء لا يذكر كي لا يبدو عليك القلق هكذا.

تراجع في كرسيه وهو يحل لها مشكلتها.. واستدارت لتذهب، لكنه ناداها، فوقفت، ونظرة تساؤل مهذبة على وجهها، منتظرة أن يقول لها ما يريد.

ـ كما ترين.. أنا غارق في العمل حتى أذنيّ اليوم.. أيكون كثيراً عليك لو طلبت منك أن تتأخري في العمل هذه الليلة؟

كان في صوته كثير من السحر.. وعرفت بأنه يشير إلى واقع أن اليوم عيد ميلادها.. عادة لا يزعجها أبداً أن تعمل متأخرة.. لكنها فجأة أحست بالريبة نحو ذلك السحر.

وفجأة لم يعد يبدو لها ذلك الطلب اللطيف بأن تعمل وقتاً إضافياً، طلباً أبداً. إنه يأمرها بأن تعمل لوقت متأخر، كما لاحظت، ومهما كان اللطف الذي يغلف صوته، كان يقول لها بوضوح إنه قد وجد طريقة ليجعلها تغرق في العمل، لأنها واثقة الآن أن فكرته عن العمل المتأخر لم تكن تعني العمل لمجرد ساعة أو ساعتين، بل أكثر من هذا، كي لا يبقى لها وقت لتحافظ على الموعد الذي سمعها تحدده لجوناس يوم أمس.

سألت تحافظ على هدوئها المتكلف:

ـ إلى متى؟

ـ نظراً لكل ما أمامي الآن، أكون محظوظاً إذا أنهيته في منتصف الليل.

تساءلت عما قد يقول لو أنها رفضت.. نظرت إليه وكان السحر ما يزال على وجهه، بينما نظرة فولاذية في عينيه تشوه ذلك السحر.

قالت بحلاوة، تحاول رد بعض سحره الزائف دون أن تنجح في خداعه:

ـ سأكون سعيدة بالبقاء ومساعدتك.

هل تحروين

كان الباب بينهما يبقى عادة مفتوحاً طوال النهار، لكنها أقفلته خلفها وهي تعود إلى مكتبها. فلو اضطرت إلى الاتصال بجوناس لإلغاء موعدهما، يجب أن تفعل هذا دون أن يسمعها.

في الثامنة من ذلك المساء، كان رأسها يدور لكثرة العمل الذي قاما به منذ خروج بقية الموظفين إلى بيوتهم.. كانت تجاهد بقسوة كي تمنع روب من أن يراها تضعف.. وبدأت تحس بالامتعاض لأنه لم يظهر أي دليل على التعب الذي كانت تحسه.. سرعته في العمل لم تخف، مع ذلك فقد كان في المكتب قبلها ذلك الصباح.. كانت تكاد تموت جوعاً، تفكر بالوجبة التي كانت ستتناولها مع جوناس، تتساءل عما إذا كان سيبقى لها قوة أو ميل لتطبخ لنفسها شيئاً تسد به رمقها حين تصل إلى شقتها.

في التاسعة إلا ربعاً، وبعد أن كانت قد تقبلّت ما قاله روب بأنه سيكون محظوظاً لو أنهى عمله منتصف الليل، رمى قلمه فجأة وقال:

ـ هذا يكفي.. لنذهب ونأكل.

ـ نأكل؟

ـ كلانا لم يتناول طعاماً، وأعرف أنك لن تتناولي أكثر من سندويش جبنة إذا لم أطعمك أنا.

كدعوة للعشاء، كانت لوارا قد تلقت أفضل من هذه الكلمات.. لكن فكرة الجلوس وطبق طعام شهي أمامها، كان إغراءاً أكثر مما تتحمل مقاومته. أخذها روب إلى مطعم فرنسي، وتبادلا الحديث قليلاً قبل أن يبدءا الأكل... وبينما كانا يشربان القهوة، قال لها روب إنه لن يحضر إلى المكتب في اليوم التالي.

وأضاف:

ـ شكراً على المساعدة.. أنا أكره أن أترك عملي معلقاً، كما أنني سأحتاج إلى بعض هذه الحسابات في الغد.

ـ لكنك كنت قادراً على تدبير أمرك دوني، ألم يكن هذا ممكناً؟

ـ أكنت سترتاحين وأنت تعرفين أنني أسهر لأنهي عملي؟

ـ أو لن ترتاح؟

هل تحروين

قالت بمثالية، تحاول أن تريه أنها لم تنخدع كثيراً بأساليبه لإبعادها عن جوناس.

ـ سأكون دائماً سعيدة بمعاونتك.

لكن روب ابتسم.. وأحست بالسرور في تلك اللحظة لوصول الساقي بعرض المزيد من القهوة، فرؤية بسمته جعلتها تحس بردة فعل غريبة في صدرها.. لا بد أنه سوء الهضم.. ورفضت المزيد من القهوة.. مع أنها لا تذكر أنها شكت يوماً من عسر هضم.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة حين أوصلها روب أمام منزلها. خرج من السيارة ليقف معها على الرصيف وهي تشكره بلطف على العشاء.. ثم وهي على وشك البدء في صعود السلم الحجري العريض، قال، كما فعل في الصباح:

ـ عيد ميلاد سعيد.

بينما كانت تبحث عن شيء تقوله، وكل ما كان مطلوباً منها أن تقول (عمت مساء) أحست بذراعيه تلفانها، وبفمه يلامس وجنتها، ثم يبعدها عنه بحزم ويقول:

ـ عمت مساء لوارا.

ثم يتجه إلى سيارته.

ـ عمـ.. عمت.. مساء.

وركضت إلى الباب، دون أن تلتفت، وفتحت الباب لتدخل، ثم وقفت بصمت للحظات، تصغي إلى صوت محرك سيارته يدور ثم يبتعد، عندها فقط ابتعدت عن الباب.

كما كان كل يوم تقضيه في دارموند مليئاً بالعمل.. لم يكن اليوم التالي استثناء.. وكانت لوارا ممتنة لهذا.. فهي لم تكن ترغب في التفكير بقبلة التهنئة بعيد الميلاد التي تلقتها من روب ليلة أمس.. وأنهت يومها بشريط مسجل مليء بالرسائل، مع أن جوانا بيرنجيه لم تتصل، ولا بالأمس كذلك. ووجدت لوارا نفسها تدندن بنغم خفيف وهي تغطي الطابعة أمامها.. تقنع نفسها أنها مسرورة لأنها أنهت نهار عمل جيد.

بعد أن تناولت وجبة العشاء، ونظفت الصحون، وجدت الوقت الكافي لتبادل حديث شيق طويل مع عائلتها، كانت دائماً تكتب إليهم مرة في الأسبوع. وأرادت الاتصال بهم ليلة أمس لتشكرهم على الهدايا.. لكنها عرفت أن الولدين نائمان حين أوصلها روب ليلة أمس، فأجلت الأمر إلى اليوم.

مع توقعها سماع صوت جولي يأتي بهيجاً عبر الهاتف، فقد عرفت على الفور أن هناك شيئاً خاطئاً.. أوه.. جولي كانت تبذل جهدها لتبدو مرحة، وكانت ناجحة، لكن أذنا لوارا كانتا تلتقطان المرح الزائد، وأحست بالتوتر في صوت جولي كلما طال الحديث بينهما.

شكرتها لوارا على الهدايا، وعلمت أن مارك وبوني في الخارج، فطلبت منها إيصال شكرها إليهما للهدايا.. وسألتها جولي:

ـ هل خرجت إلى مكان لطيف ليلة أمس؟ فكرت حين لم تتصلي أنك خرجت للاحتفال.

عرفت لوارا أن جولي لا تلومها لعدم الاتصال، لكن قناعتها زادت بأن جولي كانت تتوقع منها أن تتصل ليل أمس.. وكانت مستعدة كما هي الآن لمحاولة خداعها بجو زائف من الحبور.

فسألتها:

ـ ما الخطب.. جولي؟

ـ الخطب؟.. لماذا.. لا شيء!

لكن كلامها لم يكن له وقع الصدق.. ذلك التردد قبل أن تقول «لا شيء» جعلها تقول:

ـ بل أنت قلقة حول شيء ما.

وأخذ دماغها يبحث في الإمكانيات وهي تصغي إلى جولي تحاول التأكيد، وبكل قوة، أن كل شيء على ما يرام. وقفز المال إلى تفكيرها.. مع أن جولي كانت معتادة على تدبير أمر نفسها في ميزانية ضيقة. ربما يحتاج مارك، أو بوني إلى شيء جديد لا تستطيع جولي أن تتحمل ثمنه.. كانت على وشك أن تسأل، ومستعدة لاستخدام كل اللياقة التي تبرع فيها لتخبرها أنها ستحصل على ما

تريد . . فذلك الفستان الجديد الذي توفر له المال يمكنه الانتظار شهرين آخرين . . لكن شيئاً قالته جولي في وقت سابق عاد إلى ذاكرتها، وأصبحت واثقة أن السبب في توتر صوت جولي، له شأن ببوني . . لقد قالت جولي إن مارك وبوني في الخارج . . ومزحة قديمة العهد في العائلة كانت تقول، انه ما عدا أيام الاثنين، لا يمكن أن يتزحزح بوني من المنزل قبل أن ينهي كل واجباته المدرسية . وفي مثل هذا الوقت يكون رأسه دائماً مدفوناً بين دفتي كتاب .

سألت، وهي تعلم أن هناك شيئاً غير طبيعي أخرج جولي عن مرحها المعتاد .

ـ ماذا خرج بوني يفعل جولي؟

ساد صمت مذهول في الناحية الأخرى، ثم سمعت جولي تكاد تشهق :

ـ كيف عرفت؟

إذاً الأمر يتعلق بالأولاد :

ـ أرجوك قولي لي جولي . . لن أستطيع النوم الليلة إلا إذا عرفت .

ثم أضافت لتضغط عليها :

ـ سأحضر باكراً في الغد إلى المنزل إذا لم . . بل الليلة إذا . .

ونجحت الخدعة . . على مضض بدأت جولي تقول كل شيء، وذكرتها بحديثهما يوم الأحد عن عدم زواجها حين كان بوني في الخارج يصلح عجلة مارك . لكنه لم يكن في الخارج طوال الوقت . . فقد دخل المنزل وسمع ما كانتا تقولانه بوصوله إلى باب غرفة الجلوس .

وتلاشى الادعاء بالبهجة من صوت جولي، وأصبح صوتها دون تعبير وهي تكمل :

ـ إنه مصمم على أن يترك المدرسة آخر الفصل . يقول إنه لن يدعك تضحين بنفسك لأجلنا .

صاحت لوارا برعب :

ـ أوه . . جولي . .

ـ أعرف . . أعرف . لقد جادلته بكل ما جادلتني به . لكنك تعرفين أنه دائماً يفكر بكل شيء بنفسه، ولقد أدخل في رأسه أنك تحبين شخصاً، وأنك لا

تسمحين لهذا الحب بالاستمرار لأنك لن تتمكني بعدها من مساعدتنا . ولقد أدار ظهره لفكرة الذهاب إلى الجامعة . . وهو مصمم على ترك المدرسة والحصول على عمل . و . . و . . أنا لا أستطيع إقناعه بترك الفكرة .

فكرت لوارا بمشكلة بوني طوال المساء . . سفرها إليه لن يفيد . . فإذا لم تستطع أمه أن تقنعه فلن تتمكن هي من إقناعه . إلا إذا خرجت بفكرة رائعة لا يمكن لعقله الذكي أن يكتشف زيفها .

نامت ليلتها قلقة، ولم تندهش في الصباح لرؤية التعب في عينيها ووجهها . . لكن وتفكيرها مثقل بالقلق، لم يعد ما يبدو عليه وجهها يشكل لها مشكلة .

لم يكن روب قد وصل حين وصلت المكتب، ولم يكن تفكيرها منصباً على عملها حين انفتح الباب بعد عشر دقائق . حين رفعت عينيها المتعبتين إليه، لم يكن لديها فكرة كم بقي واقفاً ينظر إليها .

قالت باختصار :

ـ صباح الخير .

أقفل الباب وتقدم إلى طاولتها . . ولم يرد عليها التحية . . وكأنما تلك القبلة التي طبعها على خدها لم تحدث أبداً أمام استمراره بهذه النظرات المتفرسة الصامتة . . ثم قال :

ـ تبدين وكأنك لم تأوي إلى فراشك .

ثم زادت لهجته حدة :

ـ أم أن هذه هي المشكلة؟ أنت لم تأوي إلى فراشك . . برفقة أحد؟

شرارة الغضب التي اشتعلت فيها لقوله المهين كانت أول شرارة للحياة أحست بها منذ استيقظت . أرادت أن تقول له أن يذهب إلى الجحيم . . لكنها كبحت غضبها . .

وسألته بحلاوة :

ـ أتظن أن العنب ما زال حصرماً لمجرد أنك لم تنجح كثيراً؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، وانسحبت من حال الغضب بعد مشاهدة الثورة

هل تحروين

في وجهه، فقد بدا له أنها تعترف بما يتهمها به. دون كلمة أخرى شدّ فكيه معاً، استدار عنها، ودخل مكتبه.

عدة مرات، خلال الساعات التي تلت، حين كان يعود تفكيرها إلى بوني، كانت ترفع رأسها لتجد روب ينظر إليها عبر الباب المفتوح، ونظرة غير لطيفة على وجهه.. لم تكن ترغب في أن تعطيه فكرة عما يقلقها، فليضع الاستنتاجات كما يريد، فهي لم تكن مستعدة لسماع أي شيء حول جوناس، لدرجة القول لرئيس مجلس إدارة دارموند أن يذهب إلى الجحيم.. لو أنه حسب أن قلقها كان حول علاقتها بجوناس.

مرّ روب قرب طاولتها بعد الحادية عشرة بقليل.. ولتعرف ماذا يجب أن تقول لمن يتصل به، سألته قبل أن يختفي:

ـ هل ستعود؟

نظرته قالت لها ان لا شأن لها بهذا.. قبل أن يدرك لماذا تريد أن تعرف، وقال ببرود:

ـ ليس قبل ساعتين.

عليها حقاً أن تراجع إعلانات الوظائف الشاغرة في الصحف اليوم... فمما يبدو لها، ستضطر إلى تحمل مزاجه العكر طوال بعد الظهر... ثم نسيت كل شيء عنه حين عاد التفكير ببوني يزعجها.

أخذت فرصة الغداء دون أن تشعر بالرغبة في الأكل.. حاولت تناول سندويش، لكنها قضمت نصفه فقط، مع أنها ارتشفت كل قهوتها قبل التفكير بالعودة إلى المكتب... لم يكن روب قد عاد بعد، وهذه نعمة من الله. جذبت طابعتها نحوها وبدأت تطبع.. ثم تذكرت أنه قال لها إنه سيغيب ساعتين. وهذا يعني أنه يمكن أن يكون قد عاد خلال غيابها.. قام ببعض الأعمال.. ثم غادر ليتغدى، فتوقفت عن الطباعة. الأفضل أن ترى ما إذا كان قد ترك لها شيئاً تطبعه.

مدت يدها إلى آلة التسجيل، وأدارتها. كانت يدها لا تزال ممدودة إلى الآلة حين انفتح الباب الخارجي. دون أن تصدق، نظرت إلى الشاب الطويل الذي

دخل لتوه.. وتحركت أصابعها آلياً لتطفىء آلة التسجيل.. ثم تلاشى كل شيء من ذهنها..

صاحت، تقف على قدميها:

ـ بوني... ماذا تفعل هنا بحق الله!

* * *

www.liilas.com
Ami

٧ ـ رجل آخر للوارا

صدمت لوارا لرؤية أخيها غير الشقيق، بسترته المدرسية وقميصه القطني، يقف هناك.. ولم تعد تتحرك بعد أن أخرجتها الصدمة الأولى من كرسيها.. ثم تقدم بوني، وقد أساء فهم صدمتها، بخطوتين واسعتين إلى جانبها، وجهه الشاب الجاد كله قلق، ليسألها:

ـ أهناك ما يمنع من مجيئي إلى مكتبك؟ لا أريد أن أورطك في متاعب، لكن، كنت مضطراً لرؤيتك لوارا.

ـ طبعاً لا مانع.. لكنني لم أتوقع رؤيتك، هذا كل شيء.

ابتسمت له بحرارة وسألته:

ـ ماذا تفعل في سيدني، على أي حال؟ هل جئت مع المدرسة؟

ظنته قد جاء مع صفه لحضور معرض ما، لكن تفكيرها اتجه إلى القلق بأن يكون قد ترك صفه دون أن يلاحظ أستاذه ذلك. لكنه قال لها:

ـ لم أذهب إلى المدرسة اليوم.

الطريقة التي كان ينظر فيها إلى قدميه، جعلتها تفهم أكثر، لأنه لم يخف يوماً من أن يتطلع إلى أي شخص يتحدث إليه وجهاً لوجه.

صاحت، وقلقها يتجه إلى اتجاه آخر:

ـ أوه.. بوني!

علمت ساعتها أن لزيارته هدفاً ما، وليست مجرد نتيجة لسوء تصرف تلميذ مدرسة.. وقال مرة أخرى:

ـ كان عليّ رؤيتك لوارا..

ثم، وكأنه يريد إخراج ما يختلج في داخله ليريح صدره، وبسرعة، دخل رأساً في الموضوع:

ـ قالت لي أمي إنها أخبرتك بأمري على الهاتف ليلة أمس، وعلمت أن هذا سيقلقك.

كم أنه ولد عزيز.. إنه يحمل مسؤولياته بكثير من الجدية، ورأت من النظرة التي ترتسم على وجهه أنه لن يتحسن إلا بعد أن يتوصل إلى إقناعها بوجهة نظره، فقالت له:

ـ اصغ إليّ بوني..

بقدر ما كانت تريده أن يشعر بالارتياح، أرادت أن تدخل صلب الموضوع، مصممة، وقد حضر إلى هنا، أن تفعل ما بوسعها ليغير وجهة نظره... وأكملت:

ـ ليست هناك حاجة إطلاقاً لتركك المدرسة في نهاية الفصل.. قلت لجولي على..

قاطعها بألم:

ـ أوه لوارا.. أرجوك لا تعطيني نفس غسيل الدماغ الذي أعطيته لأمي.. أمضيت أياماً أفكر بما قلته لها يوم الأحد.. ولم أستطع موازنة الأمر.

لماذا.. يا إلهي.. لماذا لا يتقبل ما سمعه كما هو؟ حاولت أن تتذكر كل ما قالته لجولي، لكنها كانت تعلم أن كل هذا بسبب أن عقله اليافع يميل إلى التحليل القوي. وقالت كاذبة:

ـ ما قلته صحيح بوني.. كل كلمة قلتها كانت صحيحة.

ـ أنك لم تتزوجي لأن الرجل المناسب لم يطلبك بعد؟

إنه يذكر كل كلمة من كل جملة قالتها لجولي أكثر مما تذكرها هي.

ـ هذا صحيح.. أنت لا زلت صغيراً بوني، ولا تعرف الكثير عن هذه الأمور. لكن.. حين تكبر ستعرف بنفسك أنك لن تتزوج لمجرد.. لمجرد أن هذا متوقع منك.. إذا لم تجد الحب المشترك.. حسناً.. ستبقى أعزباً. صدقني حبيبي، لقد ضخمت أمر ما سمعته كثيراً.. أنك..

ـ أتقولين إنك لم تجدي بعد الحب المشترك؟

ابتسمت له بلطف.. تحس بحرجه.. ثم خطرت لها فكرة، وعلمت أنها يجب أن تبقى على حذرها. وتصاعد إدراكها، بأن بوني، وبقدر ما يريدها أن لا

تقلق، فهو يسعى إلى أن يقتنع بنفسه، أن ما ساور ذهنه من خلال حديثها مع أمه قد لا يكون كما ظنه.

ـ اسمع بوني.. أنا لم أكن صادقة كما يجب مع أمك يوم الأحد. لكن صدقني أنا أعلم أنها كانت قلقة عليّ. وهكذا لم أرد أن أعطيها أي شيء آخر يقلقها.. لذلك لم أقل لها الحقيقة كلها.

ـ الحقيقة كلها! أتعنين أن أمي كانت محقة في ظنها أنك تضحين..

ـ لا.. لا أعني هذا.. أنت وأنا كنا نتحدث لتونا عن أشخاص يقعون في الحب..

تراجع بوني عن تصلبه:

ـ قلت إن الأمر شيء مشترك.

استطاعت أن ترى أن عقله اليافع أخذ يفكر، فهو يصمت لحظات يفكر بما تقول قبل الوصول إلى الاستنتاج الذي تريده أن يصل إليه:

ـ أتقولين إنك تحبين شخصاً ما، لكنه لا يريد أن يتزوجك؟ أهذا هو الأمر؟

ليتبارك ذكاؤه.. تنهدت تبعد القلق عن نفسها:

ـ هذا هو الأمر بالضبط.

إذا استطاعت أن تدفعه لأن يصدق أن حبها من طرف واحد.. عندها، وبمرور السنين عليه في الدراسة، ومع شيء من الحظ، سيؤمن أن عدم زواجها هو بسبب معاناتها من آلام حب غير متبادل.

وحين يصبح أكبر، وأكثر إدراكاً، لربما ظن أن أخته غير الشقيقة، هي من الفتيات اللواتي لا يعطين قلبهن سوى مرة واحدة.

كانت تهز نفسها لتخرج من أحلامها، حين شاهدت احمرار الخجل والحرج على وجهه مرة أخرى، ثم أدركت، وقد قارب السابعة عشرة من عمره، أنه ليس بالساذج كما تظن.

ـ ذلك الرجل.. الرجل الذي تقولين إنك تحبينه.. هل.. هو متزوج؟

كانت تفكر أن تقول أجل، فهذه الطريقة بدت أسلم كيلا تساوره شكوك مستقبلية.. لكن، ومع أن سؤاله كان يظهر تقدم تفكيره، إلا أن احمراره ذكّرها

بأفكارها السابقة.. لم يبلغ بعد السابعة عشرة، ولا يمكنها أن تدفعه ليصدق أنها وقعت في حب شخص له زوجة، فطعم الكذبة هذه مرير.

ـ لا.. يا بوني.. انه غير متزوج.. حتى أنه لا يعلم بوجودي.

من السخرية أن تظهر لها صورة لروب ماكفرسون يحدق فيها كما كان ذلك الصباح. لكنها تذكرت كذلك أنه قد يحضر الآن في أية لحظة، فنظرت إلى ساعتها واتخذت قراراً:

ـ هناك مقهى قريب.. أنذهب لتتناول فنجان شاي؟ ونستطيع الكلام هناك براحة أكثر.

انتظر بوني إلى أن التقطت حقيبتها، ولكنه قال بأنه يجب أن ينتبه للوقت لكي لا يفوته القطار العائد فتقلق أمه عليه أكثر مما هي قلقة الآن.. وأملت لوارا بأنه حين يصل إلى البيت، سيقول لجولي شيئاً سيريحها من حمل أفكارها القلقة الثقيلة.

كانت الساعة تقارب الرابعة حين عادت لوارا أكثر سعادة إلى مكتبها في دارموند. نظرت إلى باب روب، فلم تسمع صوتاً وراءه، وظنت أن هذا يوم سعدها على أي حال.. فهو لم يعد بعد، ولم يفتقدها. مع أنها ليست قلقة على الوقت الذي تأخرته، فقد عملت بما يكفي من جهد يوم الأربعاء لكي لا تكون متأخرة في عملها.. لكنها لم تكن ترغب في التفكير بعذر لغيابها.. وهذا كل ما في الأمر.

أعادت التفكير بحديثها مع بوني، قبل أن توصله بالتاكسي إلى محطة القطار.. كان قد حاصرها في نصف ساعة محرجة، وفكرت بإعجاب بمنطق أسئلته. لكن، في نهاية تلك المدة، استطاعت أن تدخل في رأسه أنه سيخذلها بشكل سيء لو ترك المدرسة الآن. وأصبحت كذلك واثقة أنه لم يعد يعتقد أنها تضحي لأجله.. ومع أنه لم يعطها وعده بالعودة عن قراره، فقد آمنت أنه حين يعيد التفكير بكل ما قالته له، فلسوف يتصل بها، هو أو جولي، قريباً ليقول لها أنه تراجع عن قراره.

والآن.. أين كانت قبل أن يحضر بوني، ويشتت أفكارها بوقوفه عند بابها؟ آه.. أجل.. كانت على وشك أن ترى ما إذا كان روب قد ترك لها شيئاً

لتطبعه، ومن الأفضل أن تعود إلى عملها.. أدارت آلة التسجيل، لكنها لم تسمع شيئاً.. ثم، ولأنها ظنت أنه نسي إعادة الشريط إلى أوله بعد التسجيل، أعادت الشريط إلى الوراء، ثم إلى الأمام.. وأعادته إلى الوراء بعيداً.. إلى أن سمعت الرسالة التي سجلتها بنفسها قبل الغداء.

انتظرت، متوقعة أن تسمع صوته، ثم أجفلت لسماع صوتها هي يصيح «بوني.. ماذا تفعل هنا؟» تبع ذلك صوت أخيها غير الشقيق يسأل ما إذا كان لا بأس من زيارته لها.. على الفور أدركت فعل الصدمة لرؤية بوني مما جعل أصبعها ينزلق إلى زر التسجيل بدل الإيقاف.

استمعت إلى الشريط كله لكنها لم تسمع فيه أية تعليمات من روب حتى نهايته.. حسناً هذا مربح لها. كان يمكن له أن يدخل ويدير الشريط كما فعلت ويستمع إليه، وهي لا تريده أن يعرف حديثها الخاص مع أخيها.

لكن ارتياحها تبخر حين سمعت صوتاً من مكتبه.. إنها تتخيل دون شك، ومع ذلك اتجهت إلى بابه دون أن تفكر، أدارت المقبض دون أن تقرع الباب، وهذا أمر تفعله عادة حين يكون معه شخص آخر.

التقت عيناها بعينين كسواد الليل المكتمل.. الإحساس الوحيد الذي أحست به كان الانزعاج المؤلم.. فقد كان روب ماكفرسون يجلس هناك مسترخياً، بكامل سيطرته على نفسه، دون الغضب الذي كان يتملكه ذلك الصباح، يراقب بهدوء وحذر كل تعابير وجهها المضطرب، وهي تدرك أن من طبيعته تفحص آلة التسجيل قبل أن يدخل.

ـ أوه.. أنا.. أنا آسفة. لم أكن هنا حين عدت.

لم يرد.. بل استمر ينظر إليها برضى.. ثم أخذت أفكارها تتشوش، ومع الأمل بأنه قد يكون وصل لتوه، ولم يصغ بعد إلى التسجيل، أجبرت نفسها على الظهور بمظهر الهدوء، وأضافت بمحاولة باردة:

ـ اضطررت للخروج لفترة.

تلاشت واجهتها الباردة فجأة حين قال متسائلاً:

ـ هل لحق بوني بقطار العودة؟

باتساع عينيها الزرقاوين في محجريهما، تابع:

ـ اجلسي لوارا.. يبدو لي أنني مدين لك باعتذار.

أحست بسعادة لأن تجلس.. وسألت:

ـ اعتذار؟

تتساءل عن ماذا سيعتذر.. وفكرته بأنه صحيح أن هناك عشرات الأشياء يمكن أن يأسف لها.. لكن، ما يتبادر إلى ذهنها، هو أن اعتذاره على الأرجح سيكون عن سماع حديثها مع بوني صدفة. فقالت:

ـ لم أكن أعلم أنني أدرت الآلة على التسجيل.. ظننت نفسي أطفأتها.

ـ كان ضوء التشغيل ظاهراً حين عدت. وظننت أنك تركت لي رسالة تعلمينني فيها إلى أين ذهبت.

إذا كانت تتوقعه أن يعتذر عن عدم إقفاله آلة التسجيل فور سماعه الحديث الخاص، وهي تعرف أنه سمعه إلى آخره، فقد كانت مخطئة في توقعها. فقد قال لها روب:

ـ من هو بوني على أي حال؟

ـ إنه أخي غير الشقيق.

كانت قد صممت على أن لا تخوض معه في نقاش حول أي شيء سمعه.. لكنه افتتح النقاش قبل أن تقول له إن الأمر لا يعنيه:

ـ وهو أخ قلق جداً عليك.. أستطيع القول.. هل يهرب دائماً من المدرسة؟

ـ لا.. إنه عادة مخلص لدروسه.. لكن.. كما قلت أنت.. كان قلقاً.. حول شيء ما.

النظرة في عينيه قالت لها إنه لن يتركها بسلام قبل أن يجعلها تتكلم عما يقلق أخاها.

ـ لا بد أنه تجاوز السادسة عشرة ليتمكن من ترك المدرسة.

وجدت نفسها ترد:

ـ لقد قارب السابعة عشرة.

ـ ولماذا من المهم أن يبقى في مدرسته؟

كان الفخر ببوني، والفخر الصافي البسيط، الذي جعلها تبقى جالسة

هناك، ونظرة دفء على وجهها قائلة لروب:

ـ إن له دماغاً من الدرجة الأولى.. ولقد صمم على أن يصبح طبيباً.. مخططاتنا.. مخططات جولي له ستتدمر لو ترك المدرسة الآن.

ـ بما أن بوني هو أخيك غير الشقيق، أظن أن جولي هي زوجة أبيك... ويبدو أنكم جميعاً تمرون في أوقات قلقة.. وكان بوني مؤمناً أنك ستكونين قلقة بعد حديثك مع أمه على الهاتف ليل أمس.

لم ترد.. فقلقها، أو أحد أفراد عائلتها، أمر ليس من شأنه.. وعلى أي حال، فإن هذا الحديث قد تمادى كثيراً بالنسبة لها. رفعت نظرها إلى روب، وشاهدت بريق الفولاذ في عينيه، وعلمت أنها كان يجب أن تخرج حين نوت أول مرة.. وتابع:

ـ أكان القلق هو الذي تسبب بمظهر التعب عليك هذا الصباح؟ ألم يكن لبريستونز دخل فيه؟

وقفت لوارا.. إنها لا تحب أن تناقش أمر عائلتها معه.. ولا تريد لجوناس أن يدخل فيه.. فقد بدا لها أن اسمه حين يُذكر، ينتهي بها الأمر مع روب إلى شجار، وإذا لم يكن شجاراً، فحرب باردة هي النتيجة الطبيعية التي تلي.. قالت بصراحة:

ـ أنا لم أرَ جوناس ليلة أمس.

والتفتت لتغادر، لكن روب وقف بدوره وتقدم ليسد لها الطريق.

ـ وأنت لم تذهبي معه في عطلة نهاية الأسبوع كذلك؟

بينما يوم الاثنين لم يعطها مجالاً للشك.

أغضبها حاجته لسماع بوني يشير إلى حديثها مع جولي يوم الأحد قبل أن يغير رأيه فيها. وأغضبها أكثر أنه لم يكن مستعداً يوم الاثنين لأن يستمع إليها، لكنه الآن، والمنطق يقول له إن ليس من الممكن أن يكون جوناس قد رافقها، وإلا لذكر بوني اسمه، الآن فقط، أصبح مستعداً للاستماع.. وزاد غضبها أكثر، لو أن هذه طريقة روب ماكفرسون في الاعتذار لتصرفه القذر يوم الاثنين، فإنها تشعر بالإحباط..

حسناً.. إنها لا تنوي أن تقول له شيئاً. وجمعت كل حذاقتها وتكلفها،

بقدر ما استطاعت، ونظرت إلى عينيه ببرود لتقول بتكبر:

ـ أبدأت تشك في مصدر معلوماتك الخاص؟ بالتأكيد لم تبدأ الشك في أنني محطمة للزيجات كما تعتقد؟

لم تعجبه لهجتها، لكنها رفضت أن تضعف في موقفها حين علت وجهه نظرة قاسية، وقال:

ـ أبداً لن أغير رأيي.. فلدي دليل رأيته بعينيّ ألم يحدث هذا؟

حين رأى أن لا رد لها على تحديه، تابع:

ـ انكري علاقتك به قدر ما تريدين.. لكن لا تحاولي تبييض صفحتك معي.. شاهدت بريستونز بنفسي يغادر شقتك في الصباح الباكر، حتى قبل أن تتمكني من ارتداء ملابسك.

دفاعاتها اهتزت أمام هذه الملاحظة، لكنها أبقت ذقنها عالية.. فهي لم تفعل شيئاً تخجل منه، لكنها كانت قد تجاوزت وقت الشرح، بأن جوناس كان يريد فقط حقيبة أوراقه ذلك الصباح.. ولن تنسى تلك الملاحظة التي أسمعها إياها روب يومها.. في تلك اللحظة تحرك، يفسح لها الطريق نحو الباب. دون كلام، تجاوزته، لا شيء لديها تقوله له، وكم كانت تواقة لإغلاق الباب بين المكتبين.

لكن، إذا لم تكن تريد قول شيء له، فإن صمتها أثار فيه ردوداً أخرى غير مرغوبة.. فقد قال ببرود وهي تفتح الباب:

ـ كنت أظنك أكثر شجاعة.. كنت أظنك قادرة على الاعتراف لزوجة أبيك وابنها، بالسبب الحقيقي لعدم زواجك بعد.

استدارت غضباً.. ورأت من نظرة الازدراء في عينيه كم يظنها وضيعة، لكن، بعد الذعر الأولي من نظرته تلك، أدركت أنه لا يمكن أن يعرف بأنها قررت عدم التورط مع أي رجل قبل أن ينهي بوني ومارك تعليمهما. فسألته، تحاول التماسك:

ـ وما يمكن أن يكون ذلك السبب؟

ـ الحقيقة لوارا ويلكنسون..

واستدار عنها، ليعطيها فكرة بأنه يعتبر أن لديه أشياء أهم من مجرد

جدالها . . لكنه أضاف :

ـ لكن، على أي حال، ليس لديك هذا النوع من الصدق في نفسك . . صحيح؟ الصدق الذي يتطلب أن تقولي لعائلتك إن الرجل الذي تريدين الزواج منه، متزوج، وعلى الأرجح سيبقى هكذا .

طوال ليل الجمعة، وطوال يوم السبت، انتظرت لوارا رنين جرس الهاتف كي يقال لها إن بوني سيبقى في المدرسة، وكادت تتصل بنفسها حين بدأ الانتظار يرهق أعصابها . . لكنها أجبرت نفسها على أن لا تندفع . . كانت مقتنعة أن بوني سيفكر جيداً، وحركة خاطئة واحدة منها قد تفسد كل شيء .

وصلها اتصال هاتفي يوم السبت، لكن من جوناس . يطلب منها الخروج معه . تلك الليلة خرجت معه، لكن بعد مرور الساعة التاسعة حيث تأكدت أن جولي ستعرف أنها خرجت، ولن تتصل بها، ولا بوني، في مثل هذا الوقت .

بدا لها جوناس أفضل حالاً، وسرها أن تجده أكثر حبوراً مما كان . حين أخبرها عن عشاء عمل دعي إليه يوم الاثنين المقبل، وأنه من المتوقع منه أن يرافق شريكة له، وافقت على الذهاب معه، فهي تعتقد أنه سيحس بوحدته لو اضطر للذهاب دون شريكة .

لم يصلها اتصال من بروكن هيل يوم الأحد . مرة أخرى اضطرت إلى كبح التحفز للاتصال . وبوصول صباح الاثنين، كان توتر الانتظار قد بدأ يظهر على وجهها .

حياها روب بطريقة متمدنة، لكنها لاحظت عينيه الماكرتين تقعان عليها أكثر من مرة، حين كانت ترفع رأسها من تسجيل إملائه . وكانت في مكتبها تراجع بعض المراسلات، في منتصف الدوام الصباحي، حين وصل مراسل خاص يحمل باقة زهور لها . . توقف روب في الحال عن العمل، ولم ينتظر خروج المراسل ليقول بلؤم :

ـ أبغازلك بريستونز بالزهور؟

تجاهلته لوارا، وهي تفتش عن البطاقة . . جوناس لم يكن يرسل لها الأزهار، ولا سبب يدعوه لأن يبدأ الآن . . لكن من غيره . . وجدت البطاقة، وقرأتها .

لم تكن الأزهار من جوناس، وكادت تبكي لأن بوني خسر مصروف بضعة أسابيع لشراء أزهار تخفف الصدمة التي كتبها على البطاقة : «لا تغضبي مني لوارا . . !» ولم تستطع فعل شيء لمنع آهتها أو لمنع الدموع التي قفزت من عينيها . . وقد عرفت أن كل انتظارها المليء بالأمل في عطلة الأسبوع انتهى يوم عودته عن قراره .

ترك روب مقعده ليجلس على زاوية طاولتها . . وسأل :

ـ ما الأمر؟

كان يرى بنفسه المعركة التي تخوضها كي لا تنهار بالكامل أمامه .

قبل أن تتمكن من منعه، أخذ البطاقة من يدها . وعرف أن مرسل النرجس البرّي، والنرجس الزنبقي، والتوليب لم يكن جوناس بريستونز . . قبل أن يقرأ الرسالة . بعد هذا رأت لوارا أمامها شخصاً مختلفاً عن روب ماكفرسون الذي ظنت أنها تعرفه . . أحست بيدها تؤخذ بين يديه بلطف وهو يقول :

ـ أتودين أن تخبريني عن هذا الأمر؟

رفعت بصرها إليه، متأثرة بلطفه، تبتلع ريقها بقوة لتسيطر على مشاعرها التي لم تكن في تلك اللحظات معها . . وقالت بصوت متحشرج :

ـ أوه . . روب .

وتدحرجت دمعة على خدها، سارعت تمسحها بظهر يدها، فسألها باللهجة اللطيفة نفسها :

ـ ألهذا شأن بترك بوني المدرسة؟

ـ كنت . . أظن، أنني حين ودعته يوم الجمعة، سأسمع منه أنه قرر البقاء في المدرسة . .

رقة روب، وحثه اللطيف لها، آمالها المحطمة حول بوني، بؤس مشاعرها، تضافرت في حل عقدة لسانها :

ـ لقد انتظرت وانتظرت طوال عطلة الأسبوع مكالمة تقول لي إنه أعاد التفكير بقراره ترك المدرسة . . كنت واثقة جداً يوم الجمعة أنه سيفعل .

ـ أليس هناك رجل في البيت يُدخل بعض التعقل إلى رأسه؟

ـ والده مات حين كان صغيراً . . ووالدي مات منذ خمس سنوات .

ـ إذاً، وفي سن السادسة عشرة يتخذ هو القرار في المنزل . . أليس كذلك؟

لو أن روب سأل بحدة، أو بأية لهجة اعتادت عليها، لتوقفت عند هذا الحد . لكن السؤال كان رقيقاً لطيفاً، وكأنه مهتم حقاً، وكأنما يريد فعلاً أن يساعد . حسبما تعرف، لا شيء يمكنه أن يساعد فيه . . ووجدت نفسها ترد :

ـ إنه في عمر يكوّن فيه رأيه الخاص، وينمّي شخصيته . . جولي قامت بعمل رائع في تربيته لوحدها منذ مات والدي .

لم يكن ممكناً أن تبوح له بمثل هذه المعلومات في أي ظرف آخر، ووجدت فيما بعد أنها كانت بالفعل تعترف له بكل شيء :

ـ ليس لدينا المال الكافي لنوفره، وبوني يعتقد أن من الأفضل له أن يجد عملاً .

سألها روب ببطء :

ـ يوم الجمعة، أشار إلى أنك تضحين بشيء . .

ثم تغير صوته قليلاً، وكأنما يحاول جهده أن يبعد القساوة عنه .

ـ . . قلت له ساعتها إنك تحبين . . لكن من تحبين لا يعرف بوجودك . . هناك عقدة في هذا، وفي مكان ما . . أليس كذلك؟ بوني يعتقد أنك تضحين من أجله . . سمعك تقولين لأمه إنك لم تتزوجي لأن الرجل المناسب لم يطلبك بعد . . إذاً، فالتضحية التي يؤمن الصبي أنك تقومين بها لها علاقة بأنك لم تتزوجي بعد .

عرفت لوارا في هذه المرحلة، أن روب سيصل في تفكيره إلى الحقيقة دون مساعدة منها، لكنها أحست أنها لن تتحمل معرفته للحقيقة . . فهو لا بد سيخرج في تحليله عن الخط السويّ، كما فعل يوم الجمعة، ويرجع بقائها دون زواج إلى علاقتها مع جوناس . . ولا تظن أنها مستعدة لتقبل أي قول في هذا الموضوع . . لذلك وقبل أن يستنتج شيئاً آخر، وجدت نفسها تقول له :

ـ أنا أرسل مالاً إلى المنزل كل شهر . . وتظن جولي، ويؤمن بوني، أنني أبعد عني كل الرجال، لأنني لو تزوجت . . وتركت عملي . . عندها . .

ـ سيتوقف الدعم الذي تقدمينه لهم .

ضغطت يده على أصابعها، دليل التفهم، وأضاف :

ـ أنت تتقاضين مرتباً أفضل من أي سكرتيرة . . هل هذا هو سبب تمسكك بوظيفتك بأي ثمن؟ بينما تلك النظرة في عينيك أول يوم التقينا فيه كانت تقول إنك راغبة في أن تقولي لي بالضبط ما يمكنني أن أفعل بالوظيفة؟

همست :

ـ نعـ . . نعم .

رفعت إليه عينين حزينتين . . الرقة التي بدت في صوته لم تكن محصورة هناك، بل كانت تحتل عينيه كذلك . . وقال لها :

ـ أنت محبة لوارا . .

أحست بالصدمة لسماع مثل هذا التعليق منه، انحنى يقبل رأسها بلطف . . على الفور تراجعت، لكن ليس قبل أن تحس الراحة من ملامسة فمه لشعرها، ولم تكن لتمانع لو أنه أخذها حينها بين ذراعيه مواسياً . . مذهولة للاتجاه الذي أخذته أفكارها، جذبت يدها منه . وقالت، وأسنانها تعض شفتها السفلى، وعيناها تتجهان إلى البطاقة التي وضعها روب على الطاولة :

ـ من الأفضل أن أضع الزهور في الماء .

ـ حاولي أن لا تقلقي . سنفكر معاً بشيء يدفع ذلك الشاب إلى التعليم الجامعي .

أجفلت لوارا :

ـ نفكر معاً!

ابتسم روب، إنها ثاني ابتسامة تذكر أنه خصها بها . وبدأ قلبها يخفق بسرعة . . لكنه قال لها مداعباً :

ـ لا أستطيع تحمل بكاء سكرتيرتي فوق المراسلات . . لا تقلقي . . يا فتاتي الطيبة!

وراء طاولتها، وجدت لوارا أن قول «لا تقلقي» أسهل من الفعل . على الدوام، وخلال الساعة التي تلت، كانت أفكارها تعود إلى بوني، تتساءل ما الذي تستطيع فعله لتجعله يغير رأيه، لكنها لم تتمكن من الوصول إلى شيء . . كما احتل روب ماكفرسون حيزاً كبيراً من تفكيرها كذلك، فهي لم تكن تتوقع

رؤية ذلك الجانب اللطيف الرقيق منه.

بعد الغداء في ذلك اليوم، وبينما التوتر في نفسها لم يخف إطلاقاً، دخل رجل في حوالي الستين من عمره إلى المكتب، ليبعد عنها القلق مؤقتاً. لم تكن قد شاهدت هذا الرجل من قبل، ولم تعجبها تلك النظرة الباردة التي رمقها بها عبر زجاج نظارته السميك.. مع ذلك كانت مستعدة للابتسام له بأدب، وسؤاله ماذا يريد.. لتجد أنه لم يرد ابتسامتها، بل تجاوز طاولتها إلى مكتب روب.

وقفت على قدميها، وسارت خلفه لتقول له إنه لا يستطيع الدخول هكذا دون موعد. لكنها كانت متأخرة، فقد فتح الباب قبل أن تصل إليه، ودون أن يحاول إخفاض صوته، سمعته يقول:

ـ أهذه هي تلك المرأة.. ويلكنسون، يا روب؟

ما ردّ به روب، لم تسمعه، لكن لا بد أنه أكد له هذا. فقد سمعت الرجل يقول:

ـ لست أدري كيف يمكنك الاحتفاظ بها في العمل هنا.. ألا تعني الروابط العائلية لك شيئاً؟

وأقفل الباب.. وعلمت فوراً من هو زائر روب.

بقي والد إيلين مع روب أكثر من ساعة، تجاوزت لوارا خلالها صدمة نظرة ذلك الرجل إليها، وما سمعته منه، لكنها الآن، إضافة إلى محاولة التفكير ببوني، كانت تختبر قلقاً من نوع آخر.. فمن الطريقة التي تكلم فيها نيكولاس ماكداف عنها، أصبحت واثقة، أنه يقوم بجولة أخرى من الجهد لإقناع روب بتغيير رأيه وصرفها من العمل.

حين انفتح الباب أخيراً، تابعت عن قصد طباعتها. لم تكن تنوي أن تنظر إلى نيكولاس ماكداف كي لا تتلقى نظرته السوداء. لكن، حين خرج روب مع خاله من المكتب وأوقفه عند طاولتها، اضطرت لأن ترفع رأسها، وتوقفت عن العمل حين قال روب له:

ـ أنت لم تلتق بعد بلوارا أليس كذلك؟

أبعدت يديها عن الطابعة، ولم تعرف كيف أبقت دهشتها بعيداً عن البروز حين التفت روب إليها قائلاً:

ـ تعرفين خالي بالطبع.. حبيبتي.

لم تعرف كيف تمكنت من إبقاء فكها في مكانه.. لكن دهشتها كانت أكثر أمام كلمة «حبيبتي» منها من جرأة روب على تقديمها لخاله، الذي كانت واثقة أنه يفضل تجاهلها بدلاً من مصافحتها.

لكنه لم يتجاهلها، بل بدا أنه يبذل كل جهده ليكون مؤدباً بمد يده إليها.. ولم تع ما ردت به على سؤاله المهذب.

ـ كيف حالك؟

رافق روب خاله إلى الباب الخارجي، تبادل معه بضع كلمات، ثم عاد ليجلس على طاولتها.

شهقت قبل أن يتكلم:

ـ ما كل هذا؟ لو أن النظرات تقتل، لكنت ميتة الآن من نظراته حين دخل. وما كنت أظنه يوماً سيصافحني..

مال روب إليها لينزع خيطاً عن كم بلوزتها قبل أن يرد، ورفع عينيه إلى وجهها المرتبك.

ـ لا أستطيع التفكير بشيء.. مع أن هذا يمكن أن يكون بسبب قولي إنك لم تعودي تقابلين بريستونز وإنك الآن حبيبتي.

شهقت:

ـ حبيبتك؟

تفرست عيناها بعينيه بحثاً عن دليل على صحة ما سمعت.. ثم، ودون أن تعرف ما هي لعبته، التي تعرف أنها لن تعجبها مهما كانت، قالت ببرود:

ـ هذا غير صحيح أبداً.. وعلى أي حال، أنا ما زلت أقابل جوناس.. وفي الواقع سأتناول العشاء معه الليلة.

تلاشى الجو اللطيف، وشاهدت القساوة تعود إلى عينيه.. وهز رأسه ببطء:

ـ لا.. لن تذهبي معه. لن تقابليه الليلة، أو في أي ليلة أخرى.

يا لوقاحة الرجل! وشهقت مجدداً لبرودته.

ـ أوه.. بلى.. سأقابله.. سأقابل جوناس دائماً وكما أشاء!

ـ حتى ولو كان هذا يعني أنك لن تتمكني أن تقولي لأخيك، إنك مثابرة على الخروج مع شخص لديه المال الكافي، ويمكنك حين تتزوجينه أن تتابعي إرسال المال الشهري إلى المنزل دون انزعاج؟

أصابتها موجات صدمة جديدة.. وشهقت:

ـ أتزوج؟

قال لها بحدة:

ـ لسنا مضطرين للوصول إلى هذا الحد المأساوي.

قرأ في وجهها المصدوم أنه آخر من تفكر به كزوج. وعرفت من كلمة «الحد المأساوي» أن الزواج منها هو آخر شيء قد يفكر به. وأكمل:

ـ قلت لك هذا الصباح إننا سنفكر بشيء.. ويبدو لي أن هذا أفضل حل لمشاكلنا معاً. أستطيع توفير الغطاء لك ليكمل بوني دراسته، وفي المقابل، حين يعرف الجميع أنك لي، سيزول الضغط عني كي أتخلص منك.

صمتت لوارا وأفكارها تتصارع للبروز.. من الصعب أن لا تحس بالإثارة لتوقعها أن تقول لبوني إن الرجل الذي تحبه طلب يدها بعد كل شيء، وإن مشاكل المال لن تعود مهمة. ولن يكون عنده اعتراض واحد يقدمه.. ثم ينهي تعليمه.. حتى أنه لن يعرف أنها لا تخرج فعلاً مع روب، عدا أنها لا تفكر بالزواج منه.

لكن إثارتها ماتت حين نظرت إليه ورأته يتفرس فيها.. لقد تحدث عن رفع حرارة الضغط عنه للتخلص منها إذا وافقت، وخفق قلبها ذعراً لمعرفتها أنه يتعرض مجدداً للضغط كي يخلف وعده لها.

ومع علمها أن عليها اختطاف يده التي يعرض فيها الغطاء لها، لكن شيئاً في داخلها جعلها تجادله.

ـ لا أستطيع أن أرى، مع كل الضغط الذي أعرف أنك تواجهه، كيف لا تستطيع التعامل مع أي ضغط يمارسه خالك لصرفي.

ـ أنت تنسين الولاء العائلي.. وكما أعتقد، أنت تعرفين ماذا يعني الولاء للعائلة.. لا بد أنك سمعت قوله اللاذع عما يظنه قلة ولاء له ولإيلين.

تصاعد فيها شيء من الذعر.. إنه لا يحاول أن يخدعها.. تعرف عنه ما

يكفي، لتعرف أنه يكره الحنث بوعده. لكن لو كانت مكانه، وواجهت أن تحافظ على وعدها أو تحافظ على سعادة عائلتها.. فماذا تختار؟

ـ أنت.. إذاً.. لا تمانع.. أن أقول لبوني.. إننا...

ـ سنتزوج.. لا أرى أن هذا الشاب قد يبتلع كذبة أخرى.. بما أنك لست قادرة على قول الحقيقة.

تلك اللهجة القاسية مجدداً. يبدو أنهما لا يمكن أن يتناقشا في شيء دون ذكر جوناس.. والحقيقة هنا كما يراها روب، أنها لا تنوي الزواج إلا بجوناس. التفكير بجوناس ذكرها أن روب أعلن ببرود أنها لن تراه الليلة ولا في أي ليلة قادمة. فقالت دون وعي:

ـ جوناس..

اشتدت شفتا روب ضغطاً على بعضهما أمام الاسم.. لولا خوفها من التضحية بمستقبل بوني، فلن يوقف شيء صداقتها بجوناس.. وقال روب وهو ينهض عن طاولتها:

ـ الأفضل أن تتصلي به.. أليس كذلك؟

ـ لأقول له إنني لن أقابله الليلة؟

نظر إليها نظرة باردة تقول: ولا فيما بعد.. ودون كلام دخل مكتبه وأقفل الباب.

افترضت لوارا، بالتدريج أنها يجب أن تشعر بالامتنان له لإقفاله الباب.. فما ستواجهه لم يكن سهلاً. مع أنها وهي تطلب رقم هاتف جوناس، أدركت أنها لا يجب أن تبخل على روب بشيء. فبدون الفكرة التي استنبطها، كانت لا تزال جالسة هنا تتلظى بسخافة وهي تفكر.

لم يكن جوناس سعيداً لإلغائها موعدهما. حين سمعت تلك الرنة في صوته التي تخبرها عن مدى إحباطه، لم تستطع أن تقول له انها لن تراه مرة أخرى..

أعادت السماعة مكانها، تعلم أنها كانت جبانة لأنها لم تقل له هذا، إلى أن يصبح في حالة نفسية أفضل.. لكنه لم يتقبل العذر بأن عملاً طارئاً قد برز، ولن تتمكن من إنهائه حتى وقت متأخر.

كانت على وشك التحضر للذهاب إلى البيت حين انفتح باب روب، وخرج منه . . وقال لها بجرأة:

ـ لقد فكرت، وبما أنني حرمتك من العشاء الذي كنت ستذهبين إليه مع بريستونز أن من الأفضل لي أن آخذك إلى العشاء بنفسي.

ارتفع حاجبا لوارا لوقاحته . . لكنها ابتلعت غضبها وهي لا تزال تعجب كيف أنه قادر على أن يثير أعصابها حين يعتبر أنه يتفضل عليها. وقالت ببرود:

ـ هذا لطف كبير منك . . لكنني أؤكد لك، أنني لن أجوع لو رفضت دعوتك.

كما ارتفع حاجباها، انخفض حاجباه عبوساً لرفضها:

ـ ألم تتصلي ببريستونز . . ألا زلت تنوين العشاء معه . . حسناً . . دعيني أقول لك شيئاً آنسة ويلكنسون . . .

قاطعته صائحة:

ـ بالطبع اتصلت به.

كانت مستعدة لأن تقول له إنها مستعدة للعشاء معه كل ليلة لو أنه سيكون غاضباً بما يكفي ليلغي اتفاقهما، أو وصل به الغضب لأن يحنث بوعده لها حول وظيفتها، ويغسل يديه من كل شيء يتعلق بها.

ـ لكن . . أريد فقط . . أن أتصل بجولي الليلة . . أريد فقط . . أن أفعل هذا بوجود بوني في المنزل . . وهو دائماً يخرج للعب الشطرنج مع أصدقائه فور رجوعه من المدرسة يوم الاثنين، ولا يعود قبل الثامنة والنصف.

للحظات مخيفة، ظنته اقتنع بأنها كاذبة . . ثم مات الغضب عن وجهه . . كل ما قاله كان:

ـ هكذا إذاً . .

استراح قلبها الثائر من الخفقان . . والتقطت حقيبتها لتعود إلى منزلها.

* * *

www.liilas.com
Ami

٨ ـ لغة الجسد

بدا للوارا وهي تنتظر، أن الثامنة والنصف لن تصل أبداً. العديد من المرات، والدقائق تزحف، أعادت حفظ ما ستقوله . . يجب عليها أيضاً أن تكذب على جولي . . أن تقنعها، ويجب أن يكون صوتها سعيداً، وكأنها في أعلى قمة من العالم. لا شيء من التوتر الذي تحس به يجب أن يظهر في صوتها.

في الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين، لم تعد تستطيع الانتظار . . أجبرت نفسها على البقاء هادئة وهي تطلب الرقم، ثم تلاشى من رأسها كل ما حفظته من كلام . . حين سمعت صوت جولي يرد، اندفعت تهذر دون وعي عن الأمر العظيم الذي حدث لها. وكيف أن روب، رب عملها طلب منها الزواج. كلماتها كانت تتسارع واحدة إثر أخرى حين ذكرت جولي أنهما بحثا هذا الأمر منذ أسبوع وأن لوارا لم تذكر لها شيئاً عن حبها له.

ـ أوه . . جولي . . تعرفين كيف يكون الأمر . . كنت أعرف أنك قلقة عليّ، ولم أرغب في أن أقلقك أكثر بإعلامك أنني أحب دون أمل. ربما تذكرين قولي لك إنني لا زلت غير متزوجة لأن الرجل المناسب لم يطلبني بعد للزواج . . حسناً . . لقد حصل هذا الآن . . و . .

ـ والآن، وبما أنه فعل، ها أنت تهذرين لأنك سعيدة جداً . .

لهجتها المبتهجة الخفيفة أعلمت لوارا أنها صدقتها فتابعت تقول لها كم هي سعيدة، وردت جولي بإبداء سعادتها كذلك . . ثم أراد مارك أن يتكلم معها، وكان يصيح بسعادة بصوته الرقيق لأنه سيحصل على صهر، ويسأل ما إذا كان يمكنه أن يكون الإشبين. فقالت له:

ـ لم نحدد الموعد بعد حبيبي . . هل بوني هنا؟

كانت تظن أن بوني هو الأصعب في الاقتناع . . وكان فعلاً هكذا. لأنه

سألها:

ـ الأمر مفاجىء قليلاً.. أليس كذلك؟

كادت تسمع صوت دماغه يعمل.. فقالت توافقه:

ـ أجل.. هذا صحيح.. ويجب أن أشكرك أنت على هذا، فأنت من عجّل بحدوث هذا بوني.

ـ أنا؟

ـ أجل.. أنت.. قبل أن تدخل مكتبي يوم الجمعة، كنت أعمل على آلة التسجيل.

ـ أجل، رأيتك تطفئينها.

ـ وهذا هو الجزء الجميل من الأمر كله.. فأنا لم أطفئها بوني.. أوه.. كنت أظن هذا، لكنني أدرت زر التسجيل، وكل حديثنا، وخصوصاً الجزء الذي قلت لك فيه إن الرجل الذي أحبه لا يعرف بوجودي، جرى تسجيله.. روب أعاد الاستماع إليه عندما كنا في المقهى وأثناء توصيلك إلى المحطة.. وحين عدت إلى المكتب سألني.. وآه.. بوني.. كم كان هذا رائعاً.. أمر قادنا إلى آخر، وقال لي إنه يشعر نحوي بالإحساس نفسه!

كبتت أنفاسها وهي تنتظر أن يرد، ثم أطلقت أنفاسها متنهدة بارتياح لسعادته لها كما فعلت جولي ومارك قبله.. وقال:

ـ أنا سعيد جداً لك لوار.

علمت أنها يجب أن تكون حذرة جداً من الآن وصاعداً وقالت له:

ـ هذا ليس كل شيء.. حين وصلت مع روب للحديث عن الأشياء الأخرى، أراد أن يعرف سبب تركك المدرسة. واعتبر هذا موقف رجولة منك.. لكنه قال لي إننا حين سنتزوج، سيصبح مصروفي الشخصي ضعف مرتبي الحالي.. ألا ترى بوني؟ سيكون من السخف أن تترك المدرسة.. لن يكون لهذا حاجة مطلقاً.

ظنت أن هناك أملاً جديداً في صوته وهو يقول إنه يفهم هذا، وامتلأ قلبها بالحب نحوه، والامتنان غير المحدود لروب، لأن بوني سألها عما إذا كان روب لن يمانع بأن ترسل لهم المال؟

ـ بالطبع لن يمانع.. إنه رجل ثري بوني.. وفوق كل شيء آخر، يريدني أن أكون سعيدة.

السؤال التالي الذي طرحه بوني لم يكن متوقعاً، وجعلها ترد دون تفكير، وحين أقفلت السماعة أحست بالذهول.. فهل التزمت لبوني حقاً أن يذهب روب إلى بروكن هيل للغداء معهم يوم الأحد؟

اختلطت السعادة مع إحساس مريض في قمة معدتها، بعد أن أكملت الكذب قدر الإمكان. آخر شيء يمكن أن يرغبه روب هذا الأحد هو أن يذهب معها لمقابلة عائلتها.. لكن ما عساها تفعل غير هذا؟ بوني طرح عليها سؤالاً لم تفكر به من قبل، وأدركت الآن أنها كان يجب أن تفكر به.. وسألها:

ـ متى سنقابله؟

وسمعت صوتها دون أن تفكر يقول له كم أن روب يموت شوقاً لمقابلتهم. ثم عادت جولي إلى الهاتف تقترح أن يأتيا للغداء يوم الأحد.

تعمّق إحساسها بالسقم وهي تتصور السخرية العارمة التي ستمطر عليها حين تقول له.. كيف ستطلب منه الذهاب معها؟ لكن.. كل شيء سيتدمر إذا رفض.. أوه.. إنها مستعدة لتحمل أكبر قدر من السخرية ولكن المهم أن يوافق... لكن أيفعل؟ وكيف ستطلب منه؟ وأخذت تفكر بما يفعله عادة أيام الآحاد. جوانا بيرنجيه لم تتصل به منذ أسبوع، وأحست بقلق إضافي، لم تستطع فهم سببه، حين فكرت به يقضي أيام الآحاد مع نساء لهن صوت مغرٍ مثل صوت جوانا بيرنجيه.

علمت، بنفاذ صبر، أنها لن تستطيع الانتظار إلى الغد لتعترف بماذا فعلت، أو أن تتوسل إلى روب، إذا احتاج الأمر، للذهاب معها يوم الأحد. مدت يدها إلى دليل الهاتف.. لكن رنين جرس الباب أوقفها.

كانت تخشى أن يكون الزائر هو جوناس، لأن لديها المزيد من المشاكل التي تفكر فيها دون أن تجبر على القول بأنها لن تراه بعد الآن.. لكنه لا بد أن يكون الآن يحضر عشاء عمله.. أم أن السبب هو أن الشخص الذي تحتاج إلى محادثته الآن هو روب.. حين نزلت إلى الطابق الأسفل وفتحت الباب، ووجدت روب هناك، لم تستطع منع الابتسامة العريضة المشرقة تماماً التي

تصاعدت على وجهها، أو الكلمات المنبعثة من قلبها والتي قفزت إلى شفتيها:

ـ أوه روب.. كم أنا سعيدة لرؤيتك!

للحظة، بدا روب مصدوماً بتحيتها له، ثم أصيبت هي بالصدمة حين بدا أنه سيأخذها بين ذراعيه.. ثم سقطت يداه مجدداً إلى جانبيه، بعد أن تحركتا عفوياً نحوها. وغطى حركته العفوية تلك بابتسامة وقال ملاطفاً:

ـ ما هذا الاستقبال! وأظن أنني مسرور أيضاً لأنني جئت.. من كنت تتوقعين غيري؟

ـ أوه.. لا أحد.

دعته للدخول، آملة أن يبقى حلو المزاج حين تقول له ما يجب أن تقول.

ـ أظنني أفسدت بعض الأمور.

صعد روب معها إلى الشقة، وجلس في مقعد مريح يسألها عما قالته:

ـ ما الذي أفسدته من الأمور؟ هل اتصلت بأهلك؟

ـ أجل..

وأخبرته معظم الحديث الذي جرى، لكنها وجدت أنها لم تقدر أن تقول شيئاً عن الأمر الذي سيسلبه قليلاً من ساعات راحته يوم الأحد. وسألها:

ـ أقلت إن بوني وافق على البقاء في المدرسة؟

عرفت أن الوقت قد حان لتشرح كل شيء له، ودون أن تتمكن من النظر إليه قالت:

ـ أجل.. هذا صحيح.. لكن.. لكن.. بوني سألني متى ستجتمع العائلة.. بك.. و.. حسناً.. خفت أن أفسد كل شيء حين دعتني جولي للغداء يوم الأحد.. فقلت.. إننا سنذهب.

الصمت المطبق استقبل كلماتها، ونظرت إليه لتعرف وقع الخبر:

ـ أنا.. آسفة رو...

لكنها صمتت فوراً لأن روب لم يكن ينظر إليها بعبوس، بل بدا لها أنه يهز رأسه بالموافقة.

نظر إلى قلقها لحظات ثم قال بهدوء:

ـ لا داعي للأسف لوارا.. من الطبيعي جداً أن ترغب عائلتك برؤيتي،

رؤية أي نوع من الرجال خطيبك.

كلمة «خطيبك» بالكاد دخلت إلى فهمها وهي تحدق به متعجبة:

ـ أتعني.. أنك لا تمانع.. وأنك ستأتي معي؟ ظننتك...

ـ بالطبع سآتي معك.. بل في الواقع كنت أخطط أن أكون معك وأنت تجرين المخابرة، ظناً أن عائلتك ستفكر بأنه من الغريب أن تمضي فتاة مخطوبة ليلتها وحيدة. لكنني علقت في زحام السير.. لقد تركت قهوتي لأصل إلى هنا في الوقت المناسب.. فهل ستكونين خطيبة محبة وتحضرين لي فنجان قهوة؟

أحبته في هذا المزاج المرح.. هذا ما فكرت به وهي مشغولة في المطبخ. ووجدت نفسها تحبه أكثر وهما يشربان القهوة، ويسامرها، ثم يخرجها عن صمتها لتخبره عن منزلها في ضواحي بروكن هيل.. ولم تكن تعي أن الحب الذي تكنه لأقاربها الثلاثة كان ظاهراً على وجهها وهي تخبره عن كل واحد منهم... وسألها:

ـ أنت تكنين لهم الحب أكثر من الولاء.. أليس كذلك؟

ابتسمت له:

ـ من الصعب أن لا أحبهم.. لطالما كانت جولي طيبة معي، وكذلك ولداها.. نحن نحب بعضنا وكأننا أخوة حقيقيون.

مرت الدقائق دون أن يظهر شيء من عدم التجانس. ثم وهي تفكر كم هو لطيف، رن جرس الهاتف.. وبما أنه في الغرفة نفسها، فإن الكلام بسرية كان مستحيلاً.. لكنها كانت تحس بالحب والسلام معه بحيث لن تمانع لو سمعها.

اعتذرت، ثم مدت يدها ترفع السماعة.. حين سمعت صوت جوناس تمنت من كل قلبها لو أن هناك هاتفاً آخر في الشقة، فهي تعلم أنها لن تتمكن من إخفاء هوية المتكلم عن روب.. فهو ماكر بما يكفي ليعرف، وإذا ما شك فإنه لن يتأخر في السؤال.

نظرت إلى حجرها.. إلى أي مكان ما عدا النظر إليه وقالت لجوناس إنها كانت تعتقد أنه وسط عشاء العمل الآن.. لكنه ذكرها أنه من المتوقع منه أن يذهب مع رفيقة، وأنه لم يرغب في الذهاب وحيداً وسألها متى عادت..

كانت على وشك القول إنها عادت منذ ساعات، لكنها تذكرت أنها

قالت بأنها ستعمل إلى وقت متأخر. فأجابت بأنها عادت منذ وقت قصير، وكانت تريد وقبل أي شيء آخر أن تنهي المكالمة بسرعة، لأن روب بدا جامداً جداً، وعرفت أنه خمن هوية المتكلم.. وأنه يتوقع منها أن تقول لجوناس إنها لن تراه بعد الآن... لكنها لم تستطع فعل هذا في الوقت الذي يبدو فيه جوناس مكتئباً هكذا. وسألها جوناس:

ـ أهناك مانع في المجيء إليك لنصف ساعة؟

ردت دون أن تستطيع منع لهجة الأسف من صوتها.

ـ أنا.. آسفة جوناس.. لدي زائر هنا في الواقع..

ـ أوه.. شخص أعرفه؟

لا فائدة من الإخفاء:

ـ روب.

ـ أوصلك من العمل.. صحيح؟

ـ كنا نتناول القهوة.

التقطت أذنيها صوتاً يدل على نفاد صبر روب، وعلمت أن من الأفضل لها أن تنهي المكالمة فوراً، فلن يدهشها لو أن روب انتزع السماعة منها، وقال لجوناس كلمة مختصرة، حادة، وأقفل السماعة في وجهه.

لكن، وعند هذه المرحلة، بدا أن جوناس فهم الفكرة، وأن الكلام معه ليس سهلاً بوجود روب، فأنهى المكالمة بقوله:

ـ سأتصل بك فيما بعد.

التآلف الذي كان سائداً بينهما قبل المكالمة أصبح شيئاً من الماضي.. وأحست لوارا بالتوتر يسود الجو، حتى قبل أن تنظر إلى روب لتراه واقفاً ينظر بعينيه القاسيتين إليها ووجهه متصلب:

ـ أعتقد أننا اتفقنا على أن لا تري بريستونز مرة أخرى؟

ـ لكنني لم أره مرة أخرى.

ـ لكنك لم تقولي له بعد.. صحيح؟

نظرت إلى عينيه، وعرفت أنه لن يفهم ترددها:

ـ سأفعل.

ـ تأكدي من أنك ستفعلين.. لأنني لو سمعت أنك اجتمعت به ولو صدفة، فسأنهي الاتفاق بيننا، ووظيفتك معه.

الكلمات كانت قاسية صارخة، وكأنه لا يحمل جانباً لطيفاً في طبيعته. فتراجعت مذعورة:

ـ قلت لك إنني سأقول له.

كانت تعرف أنه يعني كل كلمة يقولها.. ونظر إليها لحظات بدت طويلة دون ابتسام، ثم توجه إلى الباب فقالت:

ـ سأوصلك إلى الخارج.

توقف روب، لتتوقف لوارا إلى جانبه وسألها:

ـ أتصرين دائماً على إيصال أصدقائك إلى الباب الخارجي؟

على وشك أن تشرح له أمر الباب الخارجي، إلا أنها لم تجد جدوى من هذا.. ودفعها الغضب إلى القول:

ـ يكون هذا العمل أحياناً أكثر لذة من أحيان أخرى.

علمت من ضيق عينيه، وقساوة نظرته، أنه فهم أنها تكره أن ترى جوناس وهو خارج، بينما لا تستطيع الانتظار لتودعه هو.

فجأة، طار غضبها، لتحل مكانه، رجفة خوف.. فقد تحرك روب بسرعة، ولم يكن لديها الوقت للتراجع حين أمسك ذراعيها بقبضة لا تلين، وأحست أنها محمولة بين يديه يشدها إلى جسده القوي، وقال من بين أسنانه:

ـ لقد حصلت حقاً على خطية حلوة صغيرة.. أليس كذلك؟ وأتساءل عما إذا كان الختم الرسمي لصفقتنا يمكن أن ينزع منك بعضاً من حدة لسانك.

ردت بصلابة، تنتزع نفسها منه بقوة، ثبت عدم جدواها:

ـ اتركني روب.. أنت تعرف أنني لست خطيبتك الرسمية.

ـ أتعترفين أخيراً أن لا شيء رسمي فيك.. لوارا؟

واقترب وجهه من وجهها حتى أنها أحست بكيانها ينقلب رأساً على عقب من الداخل، وبجنون. قالت تحاول إرجاع رأسها إلى الوراء بعيداً عن متناوله:

ـ أنا لا أعترف بشيء.

لكنها وجدت ان روب قادر تماماً على تجميدها بذراع واحدة كرباط من حديد حولها، بينما يحوّل رأسها باليد الحرة إلى الزاوية التي يشاء، ثم، قبل أن تتمكن من فعل شيء أطبق ذراعه حولها وشدها إليه معانقاً، واختبرت مرة ثانية الجنون نفسه الذي اجتاحها في المرة الأولى.

لكنه لم يكن عناقاً قصيراً، فبعد وقت قصير، وهي تفكر بأن ما يجري هو جنون فعلاً، والأفضل لها أن تفعل شيئاً ضده. وبسرعة، فهي لا تثق بنفسها، ليس معه على أي حال، بعدها.. جنون أم لا.. لم تعد تستطيع إيقاف نفسها عن التجاوب معه، ولم يعد بالتالي مضطراً لإجبارها على أن تبقى بين ذراعيه.

ارتفعت ذراعاها حوله، وأحست بارتياحه حين تلاشت مقاومتها. ثم، لم تعد تفكر، بل كانت تعيش كل إحساس جديد رائع يثيره فيها.. ولم تعد تشعر بالخجل لأحاسيسها. فبين ذراعيه، عرفت تماماً لماذا كانت له القدرة على إزعاجها بالطريقة التي يفعلها دائماً.. إنها تحبه.

غرقت في لمساته، لا تعي تماماً ما يحدث.. جزء ما من تحفظها الداخلي الأساسي طفا إلى السطح في الوقت الذي كان فيه يطبع قبلاته على رأسها، في هذه اللحظات سخر منها صوت داخلي آخر، يذكرها بأنها ليست تلك المرأة الخبيرة التي يظنها.

سقطت ذراعاها عنه، وقالت بخشونة: «لا» أرادت أن تقول له لماذا لا تريد.. تريد أن تقول إنني لا أعني «لا» في الواقع، وتشرح له.. لكنها لن تستطيع تحمل ضحكه عليها.. فوقفت بين ذراعيه متصلبة، غير واثقة مما تفعل، آملة، وخائفة، أن يتجاهل رفضها.

عندما أحس بأنها لم تعد تشاركه، بل تقف دون حراك بين ذراعيه، رفع روب رأسه، عيناه مليئتان بالمشاعر، ينظر إلى وجهها المحمّر، ثم وجدت ما لم تكن ترغب في رؤيته يضيء في وجهه، وتحولت نظرته الدافئة إلى جليد وهو يسيطر على أنفاسه المتسارعة، وابتعدت ذراعاه عنها، وجاء صوته متصلباً خشناً، يقول لها:

ـ سيدتي.. من الأفضل لك في المرة القادمة أن تتذكري.. أنه ليس من

الأدب أن يقول جسدك نعم، ثم تقولين أنت «لا» بالكلام.

إذاً، لن يضغط عليها، وتمنت لو أنها تحس أكثر من هذه الذرة الصغيرة من الارتياح، وأن لا يتفوق عليها صراخ الإحباط.. كم هو محق.. كان يعلم علم اليقين، أنها لم تبدِ مقاومة جسدية ضده.. ولأنها لم تمرّ من قبل بمثل هذه التجربة، لم تستطع أن تجد شيئاً واحداً تقوله.

سألها روب وهو يبتعد عنها خطوة:

ـ لماذا؟

كررت لوارا وهي تحس أنها خرقاء بلهاء، تحاول أن تذكر نفسها أنها في السادسة والعشرين:

ـ لماذا؟.. لأجل السماء.. لأن هذا.. لا يبدو.. لي.. لائقاً.

تأوهت من داخلها، يا الله! إنها تبدو في كلامها كمراهقة في أول موعد لها مع شاب.. وشاهدت حاجبه يرتفع، وعلمت أنه يفكر بالشيء نفسه كذلك، أنها أمامه مراهقة لم يلمسها أحد من قبل، ولم يساعدها بشيء أن شيئاً ما في تركيبتها الكيماوية دفع بالدماء إلى سطح بشرتها لتلوّنها.

وتكلم روب، ورأت أنها أخطأت فهم تفكيره وعاد لونها إلى طبيعته، لكن ليرتفع ثانية، هذه المرة بالغضب، حين لم يتركها في أي شك من التفسير الذي وضعه لقولها إن هذا لا يبدو لائقاً.

ـ ربما أنت محقة.. قلت لك أن تتخلصي من بريستونز.. ولو فعلت هذا، لما أطل ضميرك برأسه في مثل هذه اللحظة.

استدار إليها ومقبض الباب بين أصابعه.

ـ ربما من الأفضل أن تتخلصي من الحبيب القديم قبل أن تتقبلي الجديد.

كانت لوارا لا تزال شاهقة حين خرج من الباب.. وأقفل الباب الخارجي محدثاً ضجيجاً.. قبل أن تستطيع الحراك.

بعد أن أمضت ليلاً مسهداً تتساءل فيه كيف يمكنها أن تحب رجلاً يهينها هكذا، لم تعرف كيف ستتمكن من مواجهته في اليوم التالي.. لكنها اكتشفت أنها أجهدت نفسها دون طائل.. فصباح الخير المختصرة التي حياها بها، اتبعها بإخبارها أنه سجل لها ما يريد إملاءه، وأنه سيغيب معظم النهار في الخارج،

وقال إن لا وقت لديه لأي شيء ليس له علاقة بالعمل.

كان يومه عملياً كاملاً، وكذلك الأيام الثلاثة التي تلت. وإذا كانت تظن أن الرجل الذي تسبب بدمار أحاسيسها يمكن له أن يعاملها وكأنه لم يأخذها بين ذراعيه، وكأنه لم يشتهيها ولا للحظة، فقد وجدت أن عليها أن تتبنى التصرف نفسه نحوه.. فهو لن يشك يوماً أنها تحبه.

حلّ بعد ظهر الجمعة، دون أي ذكر لخطوبتهما.. وبتقدم النهار نحو نهايته، بدأت تقلق، لم تكن تريد أن تكون هي البادئة في طرح الموضوع، لكنها أخذت تظن أنه نسي كل شيء. أوه.. لكن، لا يمكنه.. إذا لم يذهب معها إلى بروكن هيل يوم الأحد، فهي تعرف أن كل شيء سينتهي بينها وبين بوني.

تأخر روب في العودة من غدائه، لكن حين وصل، توقف عند طاولتها، مد يديه في جيبي بنطلونه. رفعت لوارا رأسها من عملها، تحاول أن تعطي الانطباع بأنها لم تحس بدخوله.. أمامه اجتماع يجب أن يحضره بعد وقت قصير.. وتعرف أن عليها تذكيره بموعد يوم الأحد. لكنه فاجأها وهو ينظر إليها بحدة:

ـ بالنسبة ليوم الأحد.. سأصل لآخذك حوالي الساعة العاشرة.

كم كان ارتياحها عظيماً، حتى أنها لم تستطع كبح تدفق الكلمات عبر شفتيها:

ـ ظننتك نسيت.

وتلقت نظرة ساخرة.

ـ لا يمكن أن أنسى أي شيء يتعلق بك لوارا.

انتزع يده من جيبه ليضع أمامها علبة مربعة..

ـ لا تنسي أن تلبسي هذا.

قبل أن تتمكن من جمع أفكارها، كان قد دخل مكتبه. أخذ حقيبة أوراقه، وعاد ليلقي إليها نظرة من فوق كتفه ويقول:

ـ أراك يوم الأحد.

كما تكون خواتم الخطبة عادة، كان خاتم الألماس والزفير الذي رماه روب لها بكل بساطة على طاولتها صافي الجمال. ومع أنها عرفت ما تحتويه

العلبة، إلا أنها لم تعد قادرة على الكلام. ولكن، تفكيره بأن خاتم الخطوبة قد يضيف مصداقية لخطوبتهما الزائفة، وأنه في سبيل توثيق هذه المصداقية وترسيخها، قد اشترى لها شيئاً ثميناً.. لم يكن ليخفف شيئاً من ألم الحب الذي تشعره نحوه.

كانت مستعدة تنتظر عندما وصل روب يوم الأحد، كان خاتم الخطوبة في أصبعها، وكانت قد أمضت خمس دقائق كاملة في خيال رائع بعد أن وضعته، تنظر إليه، وتأمل أن تكون المرأة التي يحبها صاحبه.

نظر روب إلى يدها قبل أن تنطلق بهم السيارة، لكنه لم يبدُ أنه يميل إلى الكلام الآن أكثر مما كان منذ يوم الاثنين... وانخفضت روحها المعنوية.. إذا كانت الساعات التي ستقضيها معه في بروكن هيل، دون كلام فحتى مارك السطحي التفكير لن ينخدع أو يصدق بأنهما يحبان بعضهما.

قاطع روب حبل أفكارها.

ـ كم تعرف زوجة أبيك عن بريستونز؟

أدركت أنه يعتقد أن جولي قد تشك في هذا التغيير العاطفي المفاجيء لو أنها كانت قد أخبرتها أنها تحب جوناس.. لكنها، وبعد استعراض الأيام القليلة الماضية، رأت أن اعتقاد روب بأنها لا تزال تحب جوناس هو الغطاء الأمثل لحبها له.. فحددت ردها:

ـ جولي تعتقد أننا مجرد صديقين، لا شيء غيره.

من تشدد تعابير وجهه الفورية عرفت أنه يفكر بكم تمادت في علاقتها مع جوناس، حتى أنها لم تعد تهتم بمن تكذب عليه. وازداد انخفاض روحها أمام تلك النظرة الصارمة. كانت تعلم أنها يجب أن تفعل شيئاً، تقول شيئاً، فلو أنه سيبقى هكذا معها أمام العائلة فمن الأفضل أن يعودا الآن عائدين إلى سيدني.

قالت:

ـ روب.. ستحاول أن تتظاهر بأنك.. أنك تحبني.. أليس كذلك؟

عرفت أن وجهها أصبح زهري اللون، لكنها أضافت:

ـ أعني حين نصل منزل العائلة.. من المهم أن لا تشك عائلتي بنا ونحن نغادرهم بعد الظهر.

مرت لحظات طويلة لم يقل فيها شيئاً، ثم سألها بهدوء:

ـ هل ستحاولين التظاهر بحبك لي؟

كانت تعرف أنها ليست مضطرة للتظاهر، فقالت وهي تحس بجفاف فمها:

ـ أجل.

ـ إذاً، اطمئني، فمن المستحيل أن يسيل لعابي عليك في كل لحظة، لكن أظن أنني أستطيع تمثيل دور الخطيب المحب.

استقبالهما في منزل العائلة كان مفعماً بالدفء والترحاب كما كانت تتوقع. وبينما كان الخمسة جالسون لتناول القهوة بعد الغداء، ودون استعجال أحد لترك طاولة الطعام، وجدت لوارا الفرصة للنظر إلى الأربعة الذين تحبهم أكثر من أي شيء في العالم.

كانت جولي قد أحبت روب على الفور، بينما كان بوني أكثر تحفظاً، لكنه ارتاح معه وهو يخاطبه كرجل لرجل، وبدا أن مارك أحبه.. أخيراً نظرت لوارا إليه، وعرفت أن حبها له لا يعرف الحدود.. قال إنه سيمثل دور الخطيب المحب، وهذا ما فعله.. وبكثير من الاتقان، حتى أنها بدأت تحس أنها محبوبة، ولكنها في مرات عدة كانت تضطر إلى إعادة نفسها إلى الواقع، إلى أن تتذكر أن هذه مجرد لعبة يلعبانها معاً.. وأنها قد تفضح نفسها أمامه إذا بالغت.

صحيح أن روب لم يكن مبالغاً كثيراً في إظهار حبه لها بوضوح.. لكن كانت هناك أشياء صغيرة.. لمسة خفيفة من يده تمسح شعرها العسلي، وكأنه لا يستطيع منع نفسه حين كان يعدّ لها الكرسي.. الطريقة التي كان ينظر إليها فيها كانت أطول من الضروري، وكأنه لا يطيق أن ينظر إلى شيء غيرها.

إنه رجل بكل معنى الكلمة، ببذلته المكتملة الأنيقة وقميصه الأخضر الفاتح اللون.. لم تكن تريد أن تنتزع عينيها عنه، لكنها أدركت أنها كانت تنظر إليه لفترة طويلة، وبينما هو يتحدث مع بوني، كان يمكنه أن يلتفت إليها في أية لحظة.. فسلخت عينيها الممتلئتين حباً عنه، لتجد جولي تنظر إليها.. وابتسمت جولي، ابتسامة لطيفة دافئة، وعرفت لوارا في تلك اللحظة أن جولي تعرف سرّها، وتعرف أنها فعلاً تحب روب.

أدارتا رأسيهما معاً باتجاه مارك لسماعهما قوله لروب:

ـ من الجيد أن تكون أنت رب عمل لوارا.. أليس كذلك؟

رد روب:

ـ أوافق معك.. لكن.. لماذا؟

احمرّ وجه مارك غير الخجول عادة، لتركيز اهتمام الجميع عليه، وتحولت نظراته إلى أخته:

ـ حسناً.. لقد نسينا تقديم الساعة آخر مرة كانت فيها هنا، واضطرت إلى أخذ قطار متأخر.. ولولا أنك رب عملها لعانت المتاعب، أليس كذلك؟

لم يظهر على روب أي ارتجاف عين يكشف عن ظنه بهذا التفسير الذي لم يعط لوارا فرصة لتقديمه، أو لواقع عودتها بالقطار، الأمر الذي يكشف بوضوح أن جوناس بريستونز، وأينما كان قد ذهب ذلك الأسبوع، لا يمكنه بالتأكيد أن يكون مع لوارا، وإلا لعادا بسيارته.

بعد انتهاء غسيل الصحون، ورفض دعوة جولي للبقاء حتى ساعة العشاء، سألهما مارك ما إذا كان لديهما الوقت لنزهة قبل العودة.. فابتسم روب، قبل أن تتمكن لوارا من الرفض مجدداً:

ـ ولم لا؟

مع أنها كانت تظنه، وقد أدى واجبه، يود العودة إلى سيدني.

نزهتهم سيراً على الأقدام أوصلتهم إلى الأراضي المشاعة للبلدة، ولم تعرف لوارا كيف أصبح روب وبوني مبتعدين عن المجموعة الصغيرة.. لكنها بعد الرد على بضعة أسئلة من مارك، التفتت لتجدهما في المقدمة، مستغرقين في نقاش عميق حول شيء ما.

تحتاج إلى كل ما تملك من انضباط كي لا تلحق بهما، وتقطع عليهما الحديث. فقد كانت تخاف أن يقول روب شيئاً، دون أن يفكر به، قد يعطي بوني أساساً للتفكير بعد أن يذهبا. فجأة، تلاشى إحساسها بالخوف، وأصبحت مقتنعة بأن روب سوف يختار كل كلمة يقولها لبوني.. ولن يخذلها. قالت جولي، وهي تسير إلى جانب لوارا:

ـ لقد وقعت رأساً على عقب.. أليس كذلك حبي؟

وجدت لوارا ضحكة خفيفة:

ـ وهل هذا واضح عليّ؟

ـ لي فقط، حبي. فأنا أعرفك أكثر من غيري.. ولا تخافي أن يعرف روب.. فهو يحبك كذلك.

أوه.. جولي.. لو أنك تعرفين.. أوه يا جولي!

حين عادوا من النزهة، نظر مارك إلى سيارة روب الأنيقة خارج منزلهم، وذكّر لوارا بالصورة الكبيرة المعلقة في غرفة نومه، والتي طالما قالت له إنها ستأخذها معها، لكنها لم تفعل، لصعوبة حملها. وأكمل:

ـ بإمكانك أخذها اليوم.

لم يعترض روب على نقل صورتها معها، وما إن وضعت في الصندوق، حتى حان وقت الرحيل. فقالت لوارا، كما كل مرة تتركهم فيها:

ـ سأكتب لكم.

وعانقت العائلة فرداً فرداً، بمن فيهم بوني، قبل أن تدخل السيارة.

كانت بلدة بروكن هيل، قد أصبحت خلفهما حين التفتت لوارا إلى روب، لتشكره دون تردد، وتقول له إن كل شيء سار بأفضل مما تجرأت أن تأمل.. فسألها:

ـ ألا تحسين بوخز ضمير لخداعهم؟

ردت بحدة أكثر مما كانت تتصور:

ـ طبعاً.. لكن لا بد أنك تعرف بأن هذا الخداع ضروري. يجب أن يحصل بوني على فرصته.. إنه ذكي جداً، ومن الإجرام بحقه أن لا يحصل على المستقبل الذي وضع آماله عليه. ومن الإجرام أن يضيع دماغه سدى.

لكنها كانت تعلم، أن روب، وبعد رؤيته بوني بنفسه، ليس بحاجة لأن تشرح له هذا. وبقي روب صامتاً، ووجدت نفسها تفتش عن وصف آخر لدماغ بوني التحليلي تؤثر به على روب:

ـ جولي لا تبحث مشاكلها المالية معه أبداً. لكنه يعرف تماماً أنهم بالكاد سيتمكنون من تحمل وجوده في الجامعة.

ـ وهنا يأتي دورك.. أليس كذلك؟ أنت تنوين التأكّد من أنه لا يحتاج إلى

شيء أثناء الدرس.. لكن.. ستكون هناك أشياء أخرى يحتاجها عدا الكتب والمعدات.

لم يكن بحاجة لأن يقول لها إنه الآن يحتاج إلى ثياب بمقاس رجالي، وإنه سيعيش في حياة اجتماعية.. فهي قد خططت لهذا.. فلن تتركه يخصص شبابه فقط لدراسته. قالت بشيء من التصميم:

ـ سيحصل على كل ما يحتاج.

ـ لا أشك في هذا.

تذكرت أنها رأتهما مستغرقان في نقاش، وتساءلت عما إذا كان قد فهم من حديثه مع بوني أهمية حصوله على فرصته.. لكنها ترددت في السؤال عما جرى من حديث بينهما، فهي تعرف أنه لن يقول لها دون أن تحثه، إلا إذا لم يكن يرغب.. سألت، تفتش عن الوسيلة اللبقة لتدس أنفها:

ـ عمّ كنتما تتحدثان أنت وبوني؟

واحمرّ وجهها لتطفلها.. فرد عليها ساخراً:

ـ ما أطول أنفك الحشري..!

ازداد احمرار وجهها، لكن ما قاله لها جعل عينيها تزدادان اتساعاً، وهو يكمل إرضاء فضولها:

ـ كنت قد أخبرتني عن تفكيره الذكي، ومن خلال إشارات متفرقة خلال الحديث حول الغداء عرفت هذا تماماً. لكنني أردت أن أختبر بنفسي نوع الإمكانيات التي لديه.

ـ إذاً، تعمدت أن تأخذه جانباً كي تستطيع تقييم ما يملكه دماغه بنفسك.. وكم هو متقدم في دراسته؟

مع ذلك لم تكن متأكدة من أنها مسرورة لأخذه أمر معرفة هذا على عاتقه.. لكن روب اعترف بهذا دون أن يجد أي خطأ فيما فعل، ثم أدار رأسه ينظر إلى الوجه المتجهم الناظر إليه.. وابتسم لها.. تلك الابتسامة التي كانت تجعلها تغفر له أي شيء، بعد أن يبدأ قلبها بالرقص. وأكمل:

ـ قلت لي عن موهبته الذهنية.. لكن أرجو أن تسامحيني لوارا لأنني أعتقدت أن رأيك، وبسبب حبك له، قد يكون منحازاً.

اضطرت إلى أن تأخذ كلامه بإنصاف، وكانت على وشك سرد تقارير المدرسة لدعم رأيها، حين أكمل:

ـ أوافق الآن على كل ما قلتيه عنه. . وأمامه مستقبل باهر.

ثم قال شيئاً جعلها تنظر إليه فاغرة الفم:

ـ وأوافق أن من الإجرام أن لا يحصل على فرصته. . لذلك قررت أن تقدم له شركة دارموند منحة لدراسة الطب.

ـ منحة دراسية؟

بالكاد تمكنت من استيعاب ما قاله لها. . لهول صدمتها. . وسمعت نفسها تقول محتجة:

ـ لكن. . الشركة. . تكافىء فقط أبناء العاملين لديها.

ـ إذاً حان الوقت لنوسّع نشاطنا.

حين انجلى تفكيرها، اندفعت تشكره. . فطلب منها أن تتركه يركز على القيادة لأن جزءاً من الطريق أمامه كان وعراً.

وبينما هي تفكر، لم تواجه معركة مع أفكارها فقط بل مع الدموع التي رغبت في أن تتدفق. . . كان روب يثبت أكثر فأكثر أنه أهل للحب مع كل نفس يتنفسه.

لكن هذا الرأي ضعف قليلاً حين رفض عرضها لشرب الشاي، بعد أن أوصل لها الصورة إلى الشقة، قائلاً إن لديه موعداً. . هنا أخذت تتساءل، بينما الغيرة تكاد تقضم قلبها، مع من يكون موعده يا ترى؟ لم تكن تستطيع تركه يذهب دون أن تشكره على ما ستمنحه الشركة، عبره، لبوني. . فقالت بنعومة:

ـ شكراً على مجيئك معي اليوم روب. .

ثم أصبح صوتها متحشرجاً خشناً وهي تنظر إلى الرجل الواقف على بعد خطوة منها في شقتها الصغيرة:

ـ وشكراً لك مليون مرة لما تفعله من أجل بوني.

ما حدث لها بعد ذلك، عذبها لساعات فيما بعد. . لكن، بوقوف روب بالقرب منها، لا يبدو عليه التباعد كما في مرات عديدة في الماضي، تصاعد

حبها له، وعرفانها بالجميل، يجتاحانها. . فخطت خطوة صغيرة، لتقف على أطراف أصابع قدميها وتقبّل خده.

وما ان لامست خده الدافىء حتى أحست بصدمة تضربها نتيجة فعلتها. . لكن، وبملامستها لدفئه، لم تعد تستطيع التراجع. . فأمسكت يداه القاسيتان بها لتدفعانها عنه. ونظرت إليها العينان السوداوان نظرة نارية، وصاح بها:

ـ توقفي عند حدك! كلانا يعرف أننا لحظة نود أن نتمادى أكثر، سيطل بريستونز برأسه إلى تفكيرك. لكنني أحذرك. . في المرة القادمة لن أتوقف إلى أن أمحوه تماماً من أفكارك، فاحذري أن تبدئي شيئاً لا تريدين أن أكمله وأنهيه. . لن يكون هناك تراجع في المرة القادمة.

كانت لوارا متوترة الأعصاب قطعاً، وهي تدخل مبنى دارموند في الصباح التالي. . ما الذي تملكها لتقبّل روب؟ أوه. . إنه عرفانها بجميله لما سيفعله لبوني، لكن، ألا يمكنها السيطرة على نفسها، حتى أنها حين تجتمع معه في غرفة واحدة لا يعود كل ما تؤمن به مهماً؟

عرفت أن عليها كبح نبضات قلبها، وصممت أنها من اليوم، وصاعداً، لن تقول أو تفعل، ولو لمرة واحدة شيئاً يبعد علاقتهما عن المستوى العملي. . ودفعت باب مكتبها تفتحه.

ـ صباح الخير لوارا.

روب، وكعادته غالباً، كان هناك قبلها. . وأحست على الفور، أن كل تعليماتها المتشددة لنفسها ليلة أمس حول كيفية التصرف معه، قد تلاشت فصوته لم يكن يحمل العدائية التي توقعتها.

ردت، ببرودة لم تستطع منع نفسها من الفخر بها:

ـ صباح الخير روب.

لو أنها تستطيع التمسك بهذه البرودة، فمن يعلم، قد تتمكن أخيراً من الحصول على ليلة من النوم المعقول. . إذ يبدو أنها كلما تركت نفسها تتمادى معه، تمضي ليلة تعيسة، في تفسير كل كلمة، كل نظرة، مرت بينهما.

بإحساس مبتهج، لأنه لم يبدأ نهاره معها بالصراخ، انحنت لتضع حقيبة يدها تحت الطاولة. ثم استقامت لترى أنه ترك مكتبه، ودخل يقف قرب

طاولتها، وشاهدت يده تتجه إلى يدها الخالية من الخاتم. . ثم ضاع كل ما كان يود قوله لها، مع كل اللطف الذي سبق وحياها به.

ـ أين الخاتم؟

ـ في حقيبتي.

كانت تنوي إعادته له هذا الصباح. . فانحنت تستعيد الحقيبة لتفعل. . وسمعته يأمرها:

ـ البسيه.

ـ البسه؟. ظننت. .

ـ البسيه الآن. أنا لم أربط نفسي بك لمجرد التسلية.

تطاير الشرر من عينيها، بسبب لهجته، وبسبب أنه يظنها غنيمة بلهاء ابتلي بها. . لكن قبل أن ترد عليه، وترمي بكل حذرها أدراج الرياح، كان يعلمها، في حال نسيت، أن خطوبتهما ليست لمصلحتها فقط.

ـ أتوقع وصول نيكولاس ماكداف في أية لحظة الآن. فضعي ذلك الخاتم. . وبسرعة. ولأجل الله، توقفي عن النظر إليّ وكأنك تودين اللعب برأسي كالكرة!

أعطى أوامره، ودون انتظار رؤيتها تطيع، عاد إلى غرفته، وأقفل الباب بينهما، دون أدب، كما لاحظت من صوت الباب الصافق.

بعد لحظات انفتح الباب الخارجي، وكانت لوارا على الرغم من غضبها، قد استعادت هدوءها، لترد على تحية نيكولاس ماكداف: صباح الخير.

كانت مشغولة حين رافق روب خاله عبر مكتبها، لكنها توقفت عن العمل حين تقدم روب ليضع ذراعه حول كتفيها. وقال لها:

ـ كنت أخبر نيكولاس لتوي أخبارنا السارة حبيبتي.

بغضب داخلي، أعطته علامات كاملة لتمثيله الرائع، ليبدو كلامه وكأنه يعتقد بأن السماء حبته بحظ رائع. . ومع ذلك فلمسة ذراعه على كتفيها كانت تميت غضبها. وقال نيكولاس:

ـ أنا واثق أنكما ستكونان سعيدين. من المؤسف أنك مضطر للسفر في هذه اللحظات السعيدة روب. . لكن. . هذه هي الحياة.

تمكنت لوارا من إخفاء الانفعال عن وجهها لخبر سفر روب، وتساءلت عما إذا كان هذا هو ما كان سيقوله لها حين دخل ولاحظ خلو يدها من الخاتم. ولم يبق خاله كثيراً، لكن، ما أن خرج حتى أبعد روب ذراعه عن كتفيها، فسألته بهدوء:

ـ أمسافر أنت؟

ـ برزت أزمة في فرعنا الأوروبي. وصل ممثلنا هناك ليلة أمس، وبعد قراءتي للوثائق التي جاء بها معه، لم أجد بديلاً عن السفر بنفسي.

إذاً، كان يعمل ليلة أمس! لم يتركها بسبب جوانا بيرنجيه وأمثالها وأحست بسعادة غير عادية لهذا.

ـ متى. . ستسافر؟

لكنها كانت تريد أن تسأل «متى ستعود» فهي تحس بالحرمان مع أنه لم يسافر بعد. . وهي من فكرت بالتفتيش عن عمل آخر! كيف ستتحمل عدم رؤيته ثانية، مع ذلك فهذا المركز مؤقت إلى أن تعود السيدة شارب. . وعليها أن تتذكر هذا.

ـ سأسافر في الغد. . أيمكنك أن تتأخري في العمل الليلة؟

تمكنت لوارا من إبقاء حاجبيها على المستوى نفسه، دون كشف دهشتها لطلبه، دون أمر. وأكمل:

ـ لدي عمل كثير يجب أن أتممه. ومساعدتك لي لن تُقدر بثمن.

ابتسم لها بسحر هدد عظامها بالذوبان. فردت:

ـ طبعاً. .

ابتسامة أخرى كهذه، وستجثو أمامه!

مرت الساعات التالية، ولوارا تسجل ملاحظات سريعة لتعليمات روب عما ستفعله في غيابه الذي سيدوم ثلاثة أسابيع. . ثم دخلت مكتبها تفتش عن ملف ضائع يحتاجه، إلا أنها رفعت رأسها لتجده يتقدم نحوها، والملف بيده. . وقاطع رنين الهاتف أي شيء كان سيقوله أي منهما، وابتسمت له والكثير من الدفء يغمر جسدها لأنهما يعملان معاً بتناغم. ثم، تلاشى كل الدفء منها، وأحست مرة أخرى أنها تقف على الشوك. لأن من كان يتصل هو

جوناس، وبوجود روب على بعد بارد منها لم تكن لتأمل أن تخفي هوية المتكلم.. ثم، من تُراه غير جوناس يتصل بها إلى هنا؟

ـ اتصلت بي إيلين لتوها.. وقالت لي إنك خُطبت لروب.

كان صوته وهو يسألها، يبدو وكأنه غير مصدق هذا القول.. نيكولاس ماكداف لم يضع وقته كثيراً.. أليس كذلك؟

ـ أوه.. أجل.

وتمنت لو أن روب يعود إلى مكتبه ويقفل الباب وراءه، لكن النظرة التي رمقها بها، ووجهه غير المبتسم، قالا لها إنه لا ينوي أن يتحرك. فعادت للاهتمام بجوناس، تحاول إضفاء الفرح على صوتها.. لكنه عمل صعب.. وأكدت بخفة:

ـ أنا وروب مخطوبان.

لكن جوناس لم يرحب بفرحها الظاهر في صوتها، وبدا عليه الألم لأنها لم ترغب في أن يكون أول من يعرف. وعرفت ساعتها أنه يمر في إحدى نوباته السوداوية.. ولكن هل أن إيلين هي التي استغلت الفرصة لتنتقم منه؟ مهما كان سبب تكدره فإنها لن تستطيع شيئاً لإخراجه منه، مع استماع روب لكل كلمة، وتابع جوناس:

ـ لم أكن أعلم أنك مهتمة به.. مع أنني كان يجب أن أشعر بهذا حين أخبرتني أنه كان في شقتك ليلة اتصلت بك.

ثم تحول صوته إلى الاكتئاب أكثر وهو يسأل:

ـ أيعني هذا أنك لن تخرجي معي بعد الآن؟

أحست بأن عيني روب تحرقانها، وعلمت أن الرجلين ينتظران الرد الذي سيحدد صداقتها بجوناس.. وحضرت نفسها لما ستسمعه في صوته من رنة الوحدة.

ـ حسناً.. هذا ما أخشاه جوناس..

كان كلامها له رقيقاً، فقد تجاوزت عقدة أن يسمعها روب.. فهو يعرف مع من تتكلم على أي حال.

سمعت تنهيدة استسلام من الناحية الأخرى للهاتف تبعها قول جوناس:

ـ سأحس بالوحشة من دونك لوارا.. لكن، روب ليس بالرجل الذي يتحمل أن تكوني صديقة لرجل آخر، حتى ولو كانت هذه الصداقة بريئة، كوني سعيدة لوارا.. فأنت تستحقين الأفضل.

كانت عيناها مبللتان حين وضعت السماعة من يدها. الرنة في صوت جوناس وهو يحاول إخفاء اكتئابه، جعلتها تذكر بقوة اكتئاب أبيها حين تركتهما أمها، وأحست أنها خذلته.. ثم سمعت حركة متوترة وراءها، ثم شتيمة مكبوتة، تبعها:

ـ لأجل الله!

رفعت وجهها الحزين وأجفلتها نظرة روب، التي قالت لها إن غضبه قد أصبح على شفير الإنفجار. ثم، وكأنه لم يعد يثق بأن يكلمها، دفع لها بالملف، وخرج.

الكبرياء وحدها ممزوجة بالعناد، جعلتها تكمل يومها، كان روب قد عاد بعد وقت قصير من خروجه لكنه كان في مزاج لا يطاق.

وما إن حلت الساعة السابعة، حتى كادت معنوياتها تتحطم. عدة مرات خلال ما تبقى من اليوم كانت على وشك أن تكشف لروب كل ما يريد أن يعرفه عن صداقتها مع جوناس، وخوفها على صحة عقله، والوحشة التي يحملها دائماً معه.. لكن، في كل مرة كان يأتيها فيها التهور، كانت نظرة واحدة من روب تكفي لابعاد تهورها.

مع آخر ملاحظة، غطت لوارا آلتها الطابعة، وتحضرت للخروج.. روحها المعنوية الهابطة، لم تكن لتساعدها، وفكرة أنها لا تعرف متى سترى روب مرة أخرى ستقلقها.. كما أنه لم يعرض عليها تناول الطعام كما فعل المرة الماضية، وكانت سترفض على أي حال، فلا فائدة من التواصل بينهما، قالت تحاول أن تبدو غير مهتمة:

ـ من المحتمل جداً أن لا أراك حين تعود.

ـ سأوصلك إلى البيت.

ـ لا حاجة لهذا.

قال بلهجة أنهت الجدال:

www.liilas.com

ـ احضري معطفك.

الرحلة إلى شقتها تمت بصمت، تصارعت خلالها لوارا مع مشاعرها، تفكر بكلمات فراق مناسبة حين تتوقف السيارة.. أدب فطري متأصل في نفس روب، جعله يخرج من السيارة ليقف على الرصيف خارج شقتها.

لكنه لم يحاول الذهاب أكثر من هذا.. وقالت لوارا:

ـ ليكن سفرك موفقاً.

استدارت لتذهب، لكنها وجدت أن ذراعها شُدت ليديرها ثانية إليه، أصابعه تحفر لحمها، تعابير وجهه كالصخر صلابة. وقال لها دون مواربة:

ـ تذكري أنك مخطوبة لي.. وتذكري بالضبط لماذا أنت مخطوبة لي.. وتذكري أكثر، خصوصاً حين تتملكك عاطفتك نحو زوج ابنة خالي، أنك لو قابلته مرة واحدة، فإن المستقبل الذي تريدينه لأخيك لن يتحقق.

رمى ذراعها عنه، وعاد إلى سيارته.. وكان محركها يرعد مبتعداً، قبل أن تقفل باب المدخل.

حين أصبحت داخل الشقة، انهارت كل أعصابها المتوترة الضاغطة على مشاعرها المكبوتة.. وجلست تبكي.. واستمرت بالبكاء إلى أن أصبحت غير قادرة على المزيد.. حين لم يعد لديها دموع، دخلت الحمام، لتغسل وجهها.. متمنية لو تستطيع أن تكره روب ماكفرسون.. ووجدت أن لديها المزيد من احتياطي الدموع لتذرفه بعد.

* * *

٩ ـ هديتها الوحيدة

Aml

كانت مثقلة العينين، لكن حالها أفضل بكثير في الصباح التالي، تمكنت لوارا من التفكير بروب دون الاستسلام للدموع.. متذكرة كلماته الوداعية، عرفت أنها لو كان لها شأن بجوناس، فلن يخسر بوني منحته الدراسية فقط، بل ستفقد وظيفتها كذلك.. حسناً.. بكل تأكيد لن تفعل شيئاً لتفسد فرصة بوني في الحياة، وعلى أي حال، لقد تقبل جوناس بالأمس أن الأمسيات الجميلة الرفقة، التي أمضياها معاً، أصبحت من الماضي.. لا.. لن تسمع منه شيئاً بعد.

لكنها اكتشفت أنها مخطئة في هذا، فما ان مضى على غياب روب يومان، حتى كانت تحس بالقلق والوحدة، ورن جرس الهاتف في شقتها، وكان المتكلم جوناس، يبدو من صوته أنه أكثر وحدة منها. وقال لها:

ـ سمعت أن روب في أوروبا.. وظننت أنك قد تكونين مستوحشة لسماع صوت مألوف.

بعد تلك المخابرة، اتصل بها جوناس عدة مرات. ودائماً قبل التاسعة مساء، وكأنه بحاجة إلى كسر ظل الليل الطويل باتصال مع شخص ما.. دائماً كانت تصمم على أن تقول له أن لا يتصل ثانية، لكنها في كل مرة، وهما يكشفان لبعضهما ثقل وحدتهما، كانت المخابرة تنتهي دون أن تقول له شيئاً. وفي كل مرة كانت تبرر فعلتها بالقول: حسناً.. أنا في الواقع لا أقابله.. أليس كذلك؟

لقد مضى على غياب روب أسبوعان، وتلظى قلبها شوقاً لرؤيته، فصممت، وبما أن وقت عودته أصبح وشيكاً، أن تقول لجوناس، إذا اتصل الليلة، أن لا يفعل هذا مرة أخرى.. لكن، وقبل التاسعة، رن جرس هاتفها،

وبدا صوت جوناس، وقد تحول في الأيام الأخيرة إلى المرح، وكأنه يمر بإحباط جديد، ولم يساعدها قلبها على أن تقول له، بل ستفعل هذا في المرة القادمة.. أجل في المرة القادمة.

لكنها تلقت صدمة في اليوم التالي حين دخلت السيدة شارب، كلها حيوية وصحة، إلى المكتب، فأدركت لوارا أن عملها المؤقت قد يكون انتهى قبل أن ترى روب مجدداً. وأكدت السيدة شارب أنها صحيحة كما تبدو، ووفرت على لوارا طرح سؤال كان على شفتيها بأن قالت:

ـ يقول الطبيب إنني قادرة على العودة إلى العمل في أي وقت أشاء.. لكن السيد ماكفرسون قال حين زارني، إن لا داعي للاستعجال في العودة.

عادت لوارا إلى منزلها تلك الأمسية وهي تعرف أن هناك إحباطاً يصل إلى أكثر من القعر.. برؤيتها للسيدة شارب تذكرت بقوة أن وقتها في دارموند كان محدوداً.. فهل سيفكر روب فيها، أبداً، بعد عودتها إلى غولدر وبروك؟ كبحت دموعها ببروز الرد على تساؤلها.

وبينما تظن أنها أمام أمسية طويلة، يشغل روب فيها كل تفكيرها، مع كل ما ستحاوله بأن لا تفعل، خرجت من يأس أفكارها حين قرع بابها.. ترتدي الجينز والقميص، نزلت السلم كما هي، آملة أن يكون الجرس قد رنّ خطأً لأحد الجيران. فهي لم تكن تشعر بأنها قادرة على أن تبتسم لأحد إذا كان الزائر لها.

اندفع اللون الأحمر إلى كل جزء من جسدها حين شاهدت الرجل الذي احتل كل تفكيرها في الأسابيع الماضية، يقف أمامها.. وكانت أكثر من مسرورة للضوء الخافت الذي حجب عنه احمرار لونها، والسعادة في عينيها لمجرد رؤيته. لكنها لم تتمكن من إخفاء صوتها البعيد عن عادته، حين اندفعت تصيح:

ـ روب! ما هذه المفاجأة! ظننتك لا زلت في أوروبا.

ـ ألن تدعيني أدخل؟

صوته كان عادياً لا يعطي فكرة عما دعاه لزيارتها. لكنها لم تكن تهتم، يكفيها أنها تراه. ردت، تتراجع إلى الوراء:

ـ طبعاً.

وتمكنت من الاحتفاظ بصوت هادىء وهي تحدثه في طريقهما إلى فوق.

كان قلبها يرقص بحماقة وهي تدعوه للجلوس.. كانت تعي أنه من السخف أن تكون مسرورة بهذا القدر لرؤيته. لكن، ما أروع الإحساس هكذا بعد إحباط طويل كان لا زال يغمرها قبل لحظة من فتحها الباب.

حين جلسا، جلس روب هذه المرة على الأريكة، بينما جلست هي على الكرسي، قال لها إنه وصل لتوه، لكن بما أن خاله سيتصل به هذه الليلة دون شك، فقد فكر أن يأتي إليها أولاً، ليرى ما إذا كان هناك شيء يجب أن يعرفه. فقالت له:

ـ لا.. كل شيء على ما يرام.

كانت تعرف أنه يشير إلى خطوبتهما، وتعرف أنه لا يجب أن يفاجئه شيء.. وسألها:

ـ ألم تشاهدي بريستونز وأنا غائب؟

تمنت لو تستطيع أن تغضب لسؤاله هذا، وأحست باحمرار عقدة الذنب لتلك المخابرات، وتذكرت الوقت الذي اعتاد أن يتصل فيه جوناس، وطارت عيناها إلى الساعة. أوه.. يا الله.. لقد تجاوزت التاسعة لتوها.

كرر روب سؤاله:

ـ حسناً؟ هل كنت ترينه من وراء ظهري؟

لو أنها حقاً مخطوبة له، لما بدا عليه مثل هذا الغضب وردت بعجلة بعد أن بدا لها أنه سيقف ليمسك بها ويهزها إلى أن تصطك أسنانها:

ـ لا.. لا.. بالطبع لا.

تأوهت داخلياً، في اللحظة نفسها التي رن فيها جرس الهاتف.. وخطر في بالها أن تتركه يرن، لكنها لم تستبعد أن يرد عليه بنفسه إذا لم تفعل، فتقدمت إلى الطاولة بقربه لتلتقط السماعة وظهرها إليه، تعرف أنه يحس بأنها تشعر بالذنب لشيء ما.. كانت تدعو الله أن يكون المتكلم جولي، لكنها سمعت صوت جوناس، ووجدت نفسها تتمتم، لا تريد إطالة الحديث:

ـ روب هنا.

أدرك جوناس على الفور أنه يتصل في وقت غير ملائم.

ـ آسف لوارا، أتريدين أن أنهي المكالمة؟

ـ أرجوك.

أعادت السماعة إلى مكانها، وأرسلت إلى السماء أحرّ الدعوات بأن تجد روب قد رحل عندما تستدير. لكن دعواتها لم تُستجب، فقد كان ما يزال هناك، وليس جالساً كما كان، بل يقف مستعداً لأن يسحقها بكلماته التي لن يكون مستعداً لانتقائها.

ـ أكان يتصل بك دائماً وأنا غائب؟

إذا كانت قد ظنت يوماً أنها رأت العدوانية في وجهه من قبل، فقد كان ما رأته بسيطاً بالمقارنة مع ما تراه الآن وهو يقف شامخاً فوقها.

ـ أجل.. كان.. يحس بالوحدة.

رد بلؤم:

ـ أراهن أنه كان يحس بالوحدة! فأنت لم تدفئي له الفراش منذ خطوبتنا، أليس كذلك؟

صاحت بغضب، ولم يعد يهمها أنه يبدو على وشك أن يقتلها:

ـ أنا لم أدفىء له يوماً فراشه!

رد ساخطاً:

ـ لا وحق الجحيم.. لقد كنت تتجاوبين معي كامرأة مجرّبة حامية الدماء، فلا تعطيني عذر (مجرد صديقين) إلى أن يبدأ ضميرك بوخزك لأجله، كنت تعطيني الانطباع بأنه لا حدود نهائية لخبرتك.

تلاشى غضبها ليحل مكانه قلق مؤلم.. إذا كررت له أنها لم تعاشر جوناس من قبل، ولأنه يعرف مسبقاً أن جوناس هو الرجل الوحيد الذي تعرفه، فسيعرف أن التجاوب الذي يثيره فيها له أسباب أخرى.. بالكاد تستطيع التفكير السوي، تطغى على تفكيرها مشاعر تلك اللحظة، دون حتى التفكير بجولي أو مارك أو بوني، خلعت الخاتم الذي تحبه أكثر من أي شيء، من اصبعها.. وقالت بقدر ما تستطيع من الهدوء:

ـ الأفضل أن تأخذ هذا.

لم يكن في وسعها فعل شيء آخر، مع أنها تعرف جيداً أن عينيها ستتورمان حين يخرج روب.. وشاهدت فكه يتقلص بقسوة وهو ينظر إلى الخاتم.. ثم انفلتت سيطرته على أعصابه فصاح:

ـ استبقي هذا الخاتم اللعين!

وكأنما خيط رفيع من السيطرة قد عاد إليه، فأضاف من بين أسنانه:

ـ وإذا أردت لأخيك أن يحصل على تلك المنحة فمن الأفضل لك أن تعيديه إلى إصبعك!

كيف تمكنت من تعريض مستقبل بوني للخطر؟ تساءلت لوارا عن هذا بعد أن اهتز المنزل بمغادرة روب وإقفاله الباب الخارجي بقوة.. فيما بعد، وبينما هي في الفراش تلك الليلة، تدير رأسها إلى فوق الوسادة المبللة، أخذت تفكر كم كان روب كريماً معها في وقت ما، وبمجرد تكلمها مع جوناس على الهاتف، كانت قد أعطته سبباً وجيهاً لفسخ خطوبتهما..

بحلول يوم الجمعة، أحست لوارا أنها اكتفت بما يكفي من تصرفات روب معها، كانت تظنه لا يحتمل قبل أن يعصف خارجاً من شقتها، لكن الأيام التي تلت أثبت فيها أن الدب المجروح الرأس أفضل منه بكثير. ولو أن نيكولاس ماكداف اختار أي لحظة في تلك الأيام للزيارة، فلا يمكنه إلا أن يلاحظ كم يجاهد روب ليكون متمدناً معها.. حتى أنها الآن، وقد كانت من قبل تتخوف من وصول يوم الاثنين، لحظة عودة السيدة شارب إلى عملها، أصبحت تعد الدقائق لحصول هذا.. وأية درجة من الخيال السخيف الذي كانت غبية بما يكفي لأن تحلم به، بأن يصل روب إلى قليل من الإعجاب بها بعد ما أظهر رغبته فيها، خرج كله من رأسها منذ تلك الليلة التي حاولت فيها إعادة الخاتم إليه.

العدوانية، والتي لا بد أن لها يداً في وصولها إلى القمة عنده، كانت تقريباً، ظاهرة في كل ذرة منه ذلك الصباح. كان لديه جلسة مجلس إدارة يرأسها ذلك الصباح. وشكرت الله لأن الاجتماع يمكن أن يستمر اليوم كله.. وكانت لوارا قد سئمت من اضطرارها للتحرك حوله على رؤوس أصابع قدميها كي لا تثير نقمته فوق رأسها، إذ بدا لها أن أقل حركة قد تطلق

تلك النقمة.

ـ هل حضّرت تلك الأوراق لي؟

سمعته يدخل إليها ويسأل، وهي بالطبع كانت ترهف السمع إلى كل حركة في غرفته، استغرقت دقيقة أو اثنتين لتجد الأوراق التي طلبها، وهذا أمر سخيف لأنها كانت تعرف أنه يريدها ووضعتها في مكان تستطيع أن تجدها على الفور. كان وجهها هادئاً من الخارج، مع أنها لم تعرف كيف أبقت أصابعها دون ارتجاف، وهي تعطيه الأوراق التي ينتظرها بفارغ صبر.

قالت بهدوء تسحب يدها من ملامسة يده:

ـ أظن أنك ستجدها مرتبة.

قال لها، وعيناه كالحجر الصوان تنظران إلى عينيها:

ـ لقد تغيرت لوارا.. هناك لحظات كانت ردة فعلك فيها مختلفة عند ملامسة يدي.

القذر! القذر الكامل! لكنها أبقت وجهها هادئاً بمعجزة، مصممة أن لا يرى دموعها.. وردت بسخرية حلوة، نابعة من اليأس، كي لا يرى تداعيها من الداخل:

ـ كان هذا قبل أن أعرف كم أنت محبوب.

برقت عيناه ببريق أخبرها أن سخريتها أصابت الهدف. وتراجعت حين تحرك إلى الأمام وكأنه متجه إليها، ليثبت أنه قادر على إثارة ردة الفعل نفسها فيها.. ثم تراجع، ينظر إليها بحدة قبل أن يترك المكتب إلى اجتماعه.

بعد موعد الغداء بقليل، اضطرت أفكارها المتصارعة لإعطاء الأولوية لنزيف أنف مفاجيء.. وبانشغالها في وضع المحارم الورقية على أنفها ثم استبدالها خرج روب من تفكيرها في هذا الوقت. لكن، حين لم يُظهر النزيف دليلاً على التوقف، توجهت إلى مركز العناية الطبية، آملة في شفاء عاجل.

لكن، لم يكن هناك شفاء عاجل، فقد أجبرت على الاستلقاء لفترة، وكلما حاولت الجلوس كان أنفها يعود للنزف من جديد.. وبما أنها كانت قد أنهت كل عملها بسرعة، في محاولة لإخراج روب من رأسها، ولم يعد أمامها ما هو متأخر، فقد تلقت الاقتراح بأن تعود إلى المنزل بالقبول دون اضطرار لسماع

المزيد من طباع روب الحادة لو انتهى اجتماعه قبل الخامسة.

وقال لها أحد العاملين هناك:

ـ سأخرج بعد عشر دقائق.. فإذا أحببت سأوصلك.

بامتنان، قبلت، عشر دقائق تكفي لترتيب طاولتها في مكتبها، وضبت الطاولة، وغطت آلة الطباعة وقررت ترك رسالة لروب في حال عودته.

ضغطت زر التسجيل في آلة التسجيل وبدأت:

ـ لقد..

ثم صمتت لسماعها صوتها الأجش المخنوق بسبب السدادات التي وضعتها في أنفها كي لا يعود النزيف.. ثم إن روب لن يهتم كثيراً بنزيف أنفها على أي حال وقررت أن تكون رسالتها مختصرة:

ـ لقد ذهبت إلى المنزل.

وبدا صوتها كأنها كانت تبكي، وأقفلت التسجيل.

ساعة من الاستلقاء على ظهرها في الفراش، أفادتها ولم تعد هناك حاجة لأن ترى الطبيب كما نصحها العامل في المركز الصحي إذا لم يتوقف النزيف. ووقفت لوارا بحذر، سارت ببطء إلى الحمام، لا تريد أن تثير النزيف مجدداً، نظرت إلى وجهها في المرآة، وقررت أن وجهها لم يكن جميل المظهر.

بعد ساعة من هذا تفحصت وجهها مجدداً.. هكذا أفضل! استحمت، بعد أن تخلصت من ملابس العمل، وارتدت بنطلوناً ضيقاً وقميصاً مناسباً، وأحست أنها عادت إلى طبيعتها. لكن أنفها كان لا زال محمّراً قليلاً. وكان من رأيها أن المحارم الورقية، على الرغم من قيمتها عند الحاجة، فإن الاستخدام المتكرر لها كان له فعل ورق الزجاج.

رنين جرس الباب قطع عليها أفكارها، تفحصت ساعتها لترى أنها تقارب الخامسة.. فلم تستطع سوى أن تفكر بروب وهي تنزل لتفتح الباب.. فآخر مرة نزلت تفتحه كان هو الزائر.. لكن قد لا يكون هو هذه المرة.. وصلت إلى الباب، مع رغبتها بأن لا يكون هو، يكفيها أن تضطر لتحمل أطباعه السيئة في العمل دون أن يلحق بها إلى المنزل.

جذبت الباب الأمامي الثقيل لتجد أنها كانت مخطئة في ظنها بأن الطارق

ليس روب . . فقد وقف هناك . . ضخم نشيط كما هو دائماً، وجهه متجهم وهو يلحظ وجهها الخالي من الزينة، وطرف أنفها المحمّر .

دون كلام تراجعت لتتركه يمر، فمن غير المجدي أن تقفل الباب أمام هذا الوجه المتجهم، وما تشاهده في وجهه يشير إلى أنه لم يكن مستعداً للجدال . بصمت صعدا السلم، لكن ما إن دخلا الشقة، حتى أحست لوارا بأنها لا ترغب بدعوته للجلوس . . ومع قليل من الحذر . . لن يبقى هنا طويلاً .

قال لها، كأنه يقرّ أمراً، لا يسألها عنه :

ـ هل اتصل بريستونز بك؟

تأوهت لوارا لعودته إلى موضوع جوناس، فهذا نذير مؤكد لشجار بينهما .

ـ لا . . لم يتصل .

ـ إيلين إذن؟

إيلين! ولماذا تريد إيلين أن تتصل بها؟

ـ آخر مرة تحدثت فيها مع إيلين، كانت يوم اتصلت بك في المكتب .

تمنت أن تبقى هادئة هكذا حتى انتهاء المقابلة . . وتمنت لو يتوقف روب عن النظر إليها، فهو لم يبعد عينيه عنها منذ التفتت إليه . . ثم سأل :

ـ أكنت تبكين؟ هل سمعت الخبر من مصدر آخر؟

أي خبر؟ أخذ قلبها يخفق بألم، أحست بأن هذا الخبر قد يدعوها للبكاء . . وقالت متصلبة :

ـ لا أعرف عم تتكلم . . وأنا لم أكن أبكي .

تابع روب النظر إليها بثبات، كأنه يحاول أن يعرف ما إذا كانت صادقة . . وقال :

ـ صوتك على المسجلة بدا لي متكدراً .

ارتفعت معنوياتها قليلاً لظنها أنه جاء على الفور بسبب ظنه أنها متكدرة، ثم غاصت مجدداً حين عرفت مدى بلاهتها واستعدادها لالتقاط الفتات .

ـ حصل لي نزيف أنفي . ولم يتوقف، فطلب مني المسؤول عن الوحدة الصحية أن أعود إلى المنزل لأستلقي .

تطلع مرة أخرى إلى أنفها المحمّر، ثم رفع عينيه إلى عينيها، ليقول وقد تلاشت بعض قسوته :

ـ إذاً . . أنت لا تعرفين .

أدركت أنه يتوقع منها البكاء، مهما كان نوع الخبر، وأنه يجب أن يكون هو من يقوله لها . . فسألت تستعد لاستقبال الأسوأ :

ـ أعرف ماذا؟

ـ هل لنا أن نجلس؟

أرادت أن تعرف الخبر بسرعة، فقد بدا أنه يظنها ستنهار ما إن تسمعه . جلست لوارا على طرف الأريكة ليجلس روب إلى جانبها . وقال بهدوء :

ـ لقد أخبرني نيكولاس ماكداف، في نهاية الاجتماع أن إيلين، عادت إلى بريستونز .

ـ إيلين عادت . .

واندفعت الدموع إلى عينيها، ليس بسبب تحطم قلبها، بل لأنها تصورت فرحة جوناس التي لا حد لها .

رفعت عينيها المبللتين إليه وسألت :

ـ كيف . . .

تقصد كيف تم هذا، لكن النظرة على وجهه منعتها من المتابعة . . صحيح أن وجهه كان متجهماً، لكن عينيه كانت مليئتين بالرقة والحنان . . لكنها سارعت إلى رفض مثل هذا التصور، وردت نظرته إلى الشفقة لما يظنها تشعر في هذه اللحظات . وقال لها :

ـ أعتقد أن إيلين كانت تريد العودة إليه منذ مدة . . قلت لك مرة إنني أعرفها جيداً . . ومن وجهة نظري أظنها وهي التي اعتادت أن تحصل على ما تريد من بريستونز، اصطدمت بأعند منها حين حاولت دفعه إلى تصفية أعماله والانضمام إلى دارموند .

كانت لوارا قد أخفضت عينيها حين بدأ الكلام، لكنها رفعتهما مجدداً، بإجفال، حين أحست بيده تمسك يدها، وتلك النظرة المشفقة لا تزال في عينيه . وأرادت أن تنتزع يديها منه لكنها لم تستطع . . ثم قال لها بهدوء :

ـ يجب أن تواجهي الأمر لوارا . . بريستونز يحب زوجته .

ـ كنت تقول إنك تظنها تريد العودة إليه منذ مدة .

حاولت أن تبقى هادئة في وقت كان أصبعه يداعب ظهر يدها . . وتابع يقول :

ـ بعد أن اتخذت موقفها المعادي له ، أعتقد أنها فهمت بالتدريج ، وبعد مضي الأشهر أنه لن يتراجع . . ولو تراجع فلن يكون زواجه ثابتاً . . وأصبحت إيلين يائسة من إيجاد طريقة تعود فيها إليه ، دون أن تريق ماء وجهها .

ـ أتقول إنها وجدت الطريقة ، وإنها عادت دون أن يضطر للتخلي عن شركته ؟

ـ هذا ما أقوله .

اشتدت قبضته على أصابعها قبل أن يقول لها عن الطريقة التي وجدتها إيلين .

ـ يا للسماء . . ليس هناك طريقة لإخفاء الأمر .

نظرت إليه منتظرة . . فأخذ نفساً عميقاً وقال :

ـ إيلين حامل .

صاحت لوارا دهشة :

ـ أوه !

لم تكن تدري لماذا اندهشت ، ربما لأنها لم تفكر بهذه الإمكانية . وتابع روب :

ـ قد تكون إيلين أشياء كثيرة ، لكن هناك شيئاً ما ينقصها . . أن تكون راشدة .

إذاً يريد أن ينتزع أي شك في نفسها من أن الطفل ليس لجوناس . . حسناً ، إنها لم تفكر بهذا مطلقاً . وإذا كان يتوقع منها أن تنهار وتبكي لهذا الخبر ، فهو غير محظوظ . . وتابع :

ـ أتفهمين تماماً ما أقول ؟ أتدركين أنه لم يكن قادراً على أن يكون مخلصاً لك ؟ وبينما كنتما معاً ، كان هو . .

ـ ينام مع زوجته ؟ أجل . . أعرف هذا . . لقد أخبرني . .

ـ أخبرك ؟

ـ ليس بكلمات مباشرة . . لكنني عرفت .

صاح بدهشة :

ـ ولم تتركيه ؟

لاحظت أنه بدأ يتفكك من الشك . . حسناً هذا لا بأس به بالنسبة لها . . فظنه أنها بقيت مع جوناس مع علمها بظروفه ، كان يشتتها كذلك . الانفجار الذي كانت تتوقعه ، تأخر في القدوم :

ـ ما نوع العلاقة التي كانت بينكما بحق الجحيم ؟

ارتجفت لعنفه ، لكنها ردت ببرود :

ـ قلت لك : أنا وجوناس مجرد صديقين .

ـ صديقان وعاشقان ! حسناً أستطيع القول مطمئناً إن علاقتك به انتهت .

غضبه كان قد انتزع الشفقة من عينيه وقالت له بصراحة :

ـ جوناس وأنا لم نكن عاشقين يوماً .

أحست بالإرهاق لاستمراره في تكذيب أي شيء تقوله حول علاقتها بجوناس . . ولم يعد من المهم أن جوناس كان يوماً الغطاء لحبها لروب ، فالمرة الوحيدة التي كانت في خطر أن تكشف نفسها ، ساعة كانت بين ذراعيه ، ومن الطريقة التي ينظر فيها إليها الآن ، فإن هذا لن يحدث ثانية .

سألها روب ، وكأنه سئم من طلب أن تكون صادقة معه .

ـ ولمَ الكذب ؟ كلانا يعرف أنك تحبينه . . وعلى الرغم من شدة حبك لبوني ، سارعت إلى الحنث باتفاقنا لحظة سافرت ، ولم تستطيعي نسيانه أو نسيان حاجتك للاتصال به . . . وعدا كل هذا ، إذا أردت المزيد من البراهين ، كانت هناك أوقات حضنت فيها امرأة دافئة متجاوبة بين ذراعي . . . ولقد أخطأت هنا لوارا ، وكنت مستعدة لأن تتجاوبي أكثر قبل أن تتذكريه .

تلك النبرة الغاضبة كانت تتسلل مجدداً إلى صوته ، وعرفت أنها لن تستطيع أن تسمح لنفسها بالاستمرار في خداعه . . إنه يلامس موضوعاً يحمل في طياته الخطر لها ، وهي تعي هذا تماماً . . ولأنها بحاجة إلى إبعاده عن أي شيء له علاقة بهذا الموضوع ، أبعدت نظرها إلى يديها في حجرها ، فرأت الخاتم الألماسي

الجميل.. بعد أن عادت إيلين إلى جوناس، لم تعد هناك ضرورة لأن يحافظ روب على دوره في التمثيلية. ومع أنها لا ترغب في التخلي عن الخاتم، لأنه يشكل لها آخر صلة به، فقد انتزعته من أصبعها.

ـ الأفضل أن تأخذ هذا.. لن يعود خالك للضغط عليك بعد الآن.. أليس كذلك؟

إذا اعتقدت أنها بهذا ستبعد تفكيره عن الطريقة التي تتجاوب فيها معه، فإنه تجاهل يدها الممدودة.. وإذا لم تكن هي تريد الكلام في الموضوع فهو يريد.. وكرر:

ـ كنت مستعدة للاستسلام لي.. أكان بريستونز أول رجل في حياتك؟ أكان الأول؟ ألهذا تحسين أنك مرتبطة به، وأن لا مكان لرجل آخر في حياتك؟

صاحت دون تفكير:

ـ لا.. لم يكن.

لم يكن جوناس أول رجل في حياتها، ولا أحد كان الأول.. لكنها لن تترك روب المحنك المجرب، يضحك عليها لو عرف.. ثم بدأ ما تبقى من قوله يرعد في أذنيها.. فكررته:

ـ لا مكان لرجل آخر؟.. ماذا تعني؟

ارتفع الأمل في نفسها، ولعنت هذا.. إنها تحبه كثيراً، وأحست بما يرغبه قلبها فيما قال.. ثم تلاشى الأمل، وتصاعد الغضب، وأفلتت أعصابها، يدفعها إلى هذا إحساس بالإحباط فقد استقر في ذهنها أنه يريدها، أن تنسى جوناس، ليحل هو مكانه كعشيق.. ولو وافقت فسيكون الرجل الوحيد لها.. ما آلمها هنا هو أن ما يقترحه كان علاقة عابرة.. إلى أي حد.. لتقل شهراً؟ ربما شهرين؟ لا وليس أكثر مما ستستغرقه الرغبة التي لا بد أن تخمد.

قالت تحاول كبح غضبها:

ـ إذا كنت تلمح إلى أنك ترغب في أخذ مكان جوناس.. فانس الأمر.

صاح بغضب:

ـ عليك اللعنة.. أنا لا أريد أخذ مكانه كعشيق لجزء من الوقت.. أنا..

قاطعته بشراسة:

ـ هذا ما يبدو عليه اقتراحك!

رفضت أن تخاف من أنه بدا على وشك أن يضربها.. وصاح بها مجدداً:

ـ ألا يمكن لتفكيرك أن يفكر بأكثر من علاقة؟

الذهول دفعها لتشهق:

ـ تفكيري؟ أنت من يتابع دوماً إصراره على هذه المسألة منذ عرفتك! لم تترك فرصة إلا وتمسكت بما تظن أنه بيني وبين جوناس!

ـ وأنت لا زلت تصرين على أنكما مجرد صديقين؟

لم تعد تهتم ولو أنها شاهدت فكه يتقلص بقسوة.. وتابع بلؤم شرير:

ـ صديقان أم لا.. كان لبريستونز أكثر من تأثير صديق عليك. كنت أريدك كما أردتني.. لكنه كان دائماً يقف بيننا.. ألم يحصل هذا؟

وقفت بحدة.. تستشيط غيظاً، أكثر من أن تتمكن من مجرد الجلوس، ملاحقته لها جعلتها تفقد السيطرة على نفسها.. ولم يبدُ مستعداً للتراجع قبل أن ينتزع منها الحقيقة.. صاحت به بحرارة:

ـ لا دخل لجوناس بالأمر.

تراجعت خطوة إلى الوراء حين وقف بدوره والغضب مستعر بينهما.. وقال يقلدها ساخراً:

ـ لا دخل لجوناس بالأمر؟ بل له دخل وحق الجحيم!

صاحت، وقد أصبح التفكير الهادىء شيئاً منسياً:

ـ لا.. ليس له دخل! كان مستوحشاً وهو ينتظر إيلين!

ـ كنت تعرفين أنها ستعود له؟

ـ لا.. لم يكن هذا محتملاً.. لكنني كنت آمل.

ظنت أن ردها أجفله، لكنه أبقى الدهشة بعيداً عن صوته.

ـ مع ذلك بكيت حين قلت لك إنها عادت.

ـ هذا لأنني كنت سعيدة له.. لقد ظننته مؤخراً مرهقاً عاطفياً ويكاد ينهار.

بدا أن الغضب بدأ يموت بينهما فجأة كما ثار فجأة.. نظر إليها روب وكأن شيئاً ينخره بإزعاج، لكنه أخيراً بدا في وضع ذهني أكثر تعقلاً.

ـ أتحاولين القول إنك كنت تخرجين معه بسبب وحدته؟

كـان في صوته رنة تكذيب ساخرة، أعادت غضبها ثانية، فقالت له، دون أن تكون قد نوت البوح له بشيء كهذا:

ـ كان أبي يحس بالوحدة بعد أن تركتنا أمي.. كان بائساً مستوحداً قبل أن تأتي جولي والأولاد.. حين التقيت بجوناس في حزيران الماضي..

كاد حاجباه يتقاطعان عبوساً، وقاطعها:

ـ في حزيران؟ لكن إيلين تركت بريستونز في آذار..

ـ لا يهمني ما قالته لك.. فهي لم تتركه بسببي.

لم تتوقع منه أن يصدق، لكنها ظنت أنها شاهدت في وجهه أنه يعرف ابنة خاله بما يكفي ليعرف أنها قادرة على توسيع الحقيقة قليلاً، وبدا أنه يمنحها فرصة البراءة من الشك على أي حال.. وقال:

ـ تابعي.. قلت إنك قابلته في حزيران، ولأنك تذكرت وحدة أبيك بدأت الخروج معه.

ـ رفضت حين عرفت أنه متزوج.

أرادت أن تقف هنا، لكن شيئاً ما كان يدفع الكلمات إلى الخارج.. ربما السبب أن روب لم يعد يصرخ في وجهها:

ـ لكن.. كما قلت أنت، تذكرت وحدة أبي.. وبما أن..

وصمتت، عرفت فجأة أنها تقول الكثير.. مد يده يجذبها إليه ويجلسها إلى جانبه:

ـ بما أن.. ماذا لوارا؟

ـ حسناً.. إذا كان لا بد أن تعرف.. بسبب بوني قررت أنني لا يمكن أن أتحمل علاقة ملتزمة دائمة.. ولم أسمح لنفسي أن أقع في الحب..

ـ لكنك تحبين بريستونز!

ـ لا.. لم أكن أحبه!

أخذ غضبها يبرد بالتدريج، لكنها اضطرت إلى النظر نحو أي شيء ما عدا روب.. فإنكارها العاصف كان له أغرب تأثير عليه، وكان يمسك بذراعها وكأنه لا يريد أن يتركه أبداً. وأكملت:

ـ عرفت منذ البداية أن جوناس يحب زوجته، وأنه قال لها إنني أحبه لأنها دفعته لهذا.. وهو يعرف أن هذا غير صحيح.. أوه.. أنت تؤلمني!

كانت قبضته تشتد ضغطاً على ذراعها، وأحست بالراحة لأنه أبعد يده عنها تماماً، مع أنها شاهدت قبضتيه متكورتين بقوة وكأنه يجد صعوبة في السيطرة على نفسه... وقال بحثها:

ـ تابعي.. قلت إنك تعرفين أن بريستونز يحب زوجته.

ـ أجل.. حسناً.. ولأن جوناس يحب إيلين، ويحتاج بالتالي إلى من يرافقه، ولأنني لا أرغب في التورط مع أي رجل إلى أن ينهي بوني ومارك تعليمهما تحولت علاقتنا إلى صداقة جميلة آمنة لكلينا.

نظرت إلى روب، لكن وجهه المتجهم لم يكن يوحي بشيء.. ولم تستطع منع تنهيدة أفلتت منها، فقد بدا لها أن كل ما كشفته كان تبديداً لأنفاسها، فلا شيء في وجهه يقول إنه يصدقها. حين عاد إلى الكلام، عرفت من لهجته أنه يشك في كل شيء قالته.. وكل ما رغبت به لحظتها أن يخرج ويتركها بسلام، تعرف أنها لحظة يقفل الباب وراءه ستتعت نفسها بكل صفات الغباء المعروفة لديها لأنها أخبرته بكل شيء عن نفسها.

ـ أتمانعين في أن تقولي لي، لو أنني صدقتك وصدقت أنك لم تحبيه أبداً، وأنك لم تذهبي إلى الفراش معه، ماذا كان يفعل هنا بحق السماء، يوم كنت تودعينه في الصباح الباكر، وأنت في غلالة النوم؟

ابتلعت ريقها بصعوبة فهي تعلم أنها ستضيع المزيد من أنفاسها، لكنها جاهدت لتهدأ، آملة أن لا تتشتت أفكارها حين يقول لها إنها قصة كاذبة:

ـ أتصدقني لو قلت لك إنه نسي حقيبة أوراقه في شقتي حين خرجنا معاً للعشاء في الأمسية السابقة؟ كان يريد أن يبدأ عمله باكراً، فزارني لاستعادتها.

تبع كلامها صمت متوتر، لكنها كانت تحس أنها بعيدة عن الهدوء وهي تنتظر ضحكته الساخرة، ولم تستطع النظر إليه وهي تنتظر.

لكن روب لم يضحك ساخراً.. وأرادت أن تبكي حين سمعت الندم في صوته وهو يقول ببطء ولطف كبير.

ـ كنت ظالماً قاسياً معك لوارا.. أليس كذلك؟

لدى سماع كلماته، قفزت الدموع إلى عينيها. مما دفعها لإبقاء وجهها مبتعداً كي لا يرى.. فما استطاعت أن تفهمه من كلمته هذه هو أنه يصدقها.. لكن قبل أن تتمكن من التنحنح لتجلو حنجرتها المصدومة، وقبل أن تدفع بالمرح إلى صوتها، وتوافقه على أنه كان مشاكساً ظالماً معها، كان يسألها السؤال الذي لم يفقد يوماً التفكير فيه.

ـ إذاً، وبما أنكما مجرد صديقين، لوارا فما الذي كان يمنعك من التجاوب معي إلى النهاية عندما كنت تبدين مستعدة لذلك؟

لون زهري دافىء طغى على بشرتها.. إنه سؤال لن تستطيع الإجابة عليه.. وفكرت بذعر في ذهنها عن شيء يمكنها من تغيير الموضوع، مع أنها لا تعتقد أبداً أنه سيدعها وشأنها.

ـ أوه.. ماذا كنت تفعل بمرورك أمام منزلي ذلك الصباح؟

بدت عيناه السوداوان تبحثان في عمق نفسها، وهو يحاول أن يمنعها من الإفلات منه:

ـ لم أكن أعرف ماذا كنت أفعل يومها.. الآن عرفت.. لكنني يومها كنت أقنع نفسي أنني بحاجة لأن أغير المناظر التي اعتدت عليها في طريقي إلى العمل.

ـ لكن الأمر لم يكن لمجرد تغيير المناظر؟

ـ لا عزيزتي..

«عزيزتي» هذه جعلت قلبها يضرب في كل اتجاه ما عدا الاتجاه الصحيح.. وأكمل:

ـ بعد لقائنا الأول، ومع كل ما قلته بأنني سأتصل بك ثانية، لم تكن لدي فكرة عما دفعني لقول هذا.. ولم أكن أنوي أن أفعل.. أو هكذا ظننت.. ثم تلك الليلة ونحن نتعشى معاً، أحسست باهتمامي بك يتزايد.

سألت بصوت أجش، تقنع نفسها أن لا تأمل شيئاً، لمجرد أن الأمل كان يخدعها من قبل:

ـ أكنت مهتماً بي؟ أم لأنك كنت تظن أنني أدمر فرص إيلين في العودة إلى زوجها؟

وعاد قلبها إلى الخفقان بجنون مرة أخرى لإجابته:

ـ كنت أخدع نفسي بهذا العذر.

امتدت يده تمسك بيدها في حجرها فابتلعت ريقها بقوة، تستمع إلى ما يقول:

ـ لكن في اليوم التالي، كان بإمكاني أن أجد سكرتيرة أخرى من ضمن الشركة، إلا أن الأخريات لم يرقن لي.

ـ أوه.. أنا..

لا فائدة.. إنها كمراهقة ارتبط لسانها، ولم تجد شيئاً تقوله فأكمل:

ـ ثم، حين تأكدت أنك تكذبين علي حول علاقتك ببريستونز، وجدت نفسي أريد أن أصدقك، وفعلت هذا لوقت قصير.

ـ إلى أن رأيته يغادر منزلي في ذلك الصباح الباكر.

هزّ رأسه:

ـ سأقول لك شيئاً، قد يكون فيه بعض العزاء لك مع كل الاتهامات الباطلة التي ألصقتها بك، ومع كل الدناءة والطريقة التي تصرفت بها معك هذا الأسبوع.. أوه.. أعرف أنني كنت قذراً معك، لكن إذا كان هذا بعزّبك، أقول إنني مررت بعذاب الجحيم، منذ أن اكتشفت ما الذي يجعلني أتصرف معك كما فعلت.

مرر يده يداعب وجهها وهو يهمس مداعباً، فسألت بصوت ناعم مرتفع، غير طبيعي، وكأنه ليس صوتها:

ـ صحيح؟

ـ كنت أمر في جحيم الغيرة كلما فكرت بك مع بريستونز.. كل مرة فكرت فيها أنك تحبينه كانت غرائزي القذرة تمحو مني كل تعقل، وكل تفكير متمدن.

لأنها خدعت بتفكيرها من قبل، لم تجرؤ على التساؤل لماذا كان روب يغار من جوناس، فقالت:

ـ لكنني لم أكن أحبه.

ـ تقبلت هذا، مع الكثير من الارتياح. لكن.. لكن..

هذا شيء لم تكن لتتخيله، هذا الرجل العالي الذكاء، الواثق من نفسه والذي تعرفه تماماً، لأول مرة لم يعد واثقاً، أو متأكداً، وكأنه لا يستطيع اختيار كلماته بحذر، وكأن حياته متعلقة بهذه الكلمات.. ثم تابع:

ـ.. لكن، هل هناك أية فرصة، في أن تجدي في نفسك القدرة على الوقوع في حب شخص آخر؟

كانت تخوض معركة قاسية ضد عواطفها التي تدفعها للاعتراف له في الحال أنها وقعت في الحب.. وأن الرجل الذي أحبته.. هو..

لكنها سألت تختار كلماتها كما فعل:

ـمن.. من تضع في ذهنك؟

ـأنا لن أفكر بأن تقعي في حب سواي.

لا زالت غير مصدقة بأنها أصبحت فوق أساس آمن.

ـأوه.. ولماذا أريد أن أفعل هذا؟

ـ الله يعلم.. فأنا بالطريقة التي تصرفتها معك لم أعطك أي سبب لأن تحبيني.. لكنها الطريقة الوحيدة التي تريح كتفيّ من ثقل ذلك الكابوس من الغيرة، فأعود ذلك الإنسان السوي التفكير، العادي العقل، المنطقي.

قالت ثانية:

ـأوه.. أتقول.. أتقول إن.. إنك.. تحب.. تحبني؟

ما إن قالت هذا، حتى تمنت لو لم تفعل، لأن ناراً حمراء أحرقت بشرتها، لكنه رد بهدوء:

ـأنا أقول لك هذا تماماً منذ عشر دقائق.

وكأنه لم يقل لامرأة من قبل إنه يحبها، ويجد صعوبة في القول.. ثم، وبكل رجولته داس على كل تحفظ، وقال لها بوضوح:

ـلوارا ويلكنسون.. أحبك كثيراً، وأريدك زوجة لي.

ثانية صاحت:

ـأوه.. أوه.. روب! أوه.. روب.. أنا التي تحبك كثيراً.. وكدت أمرض بسبب حبك!

وهي تراقبه وترى النظرة العظيمة من الفرح الغامر الذي أخذ يزداد في

وجهه، عرفت أنها محقة بقولها هذا له. بدا لها مذهولاً كذلك، غريزتها دعتها لأن تميل إلى الأمام، وتضع فمها على خده بحرارة.

هنا تولى روب الكلام:

ـحذرتك من قبل من فعل هذا إلا إذا كنت مستعدة لمواجهة النتائج.

ثم، كاد سحر عناقه لها، يخرج عن السيطرة. ما يريده تريده والعكس صحيح، وأخذ يهمس لها وفمه على أذنها:

ـيا حبيبتي الحبيبة..

بين ذراعيه، كانت تحس أنها في الجنة.. يداه كانتا تضمّانها وهو يصب في أذنيها حبه لها وحاجته إليها.. يخبرها عن الألم الذي سببه له حبها، وسمع في المقابل كيف أحست بحبها له، وألمها في ذلك الحب. فقال لها مقسماً:

ـلن تتألمي بعد يا حبيبتي، طالما أنا حي.

ثم، حين أحست بيديه على جسدها، فقدت كل لذة في أن تجد نفسها محبوبة، وعادت إلى حالة الخوف. مما سبب لها أن تعود إلى توترها كي لا يضحك منها روب لو اكتشف أمرها.. فرفع رأسه، يسأل بلطف، وكأنه يحس بكل تغيير فيها:

ـهل هناك شيء خاطىء حبيبتي؟

أجابت مترددة ووجهها يحترق خجلاً:

ـأيمكننا.. الانتظار قليلاً؟

سألها محتاراً:

ـأتحبينني؟

ـأوه.. أجل روب.. أجل.. أجل.. أجل!

تمكن من الابتسام، وقال بنعومة:

ـ أنت تعرفين كيف تختارين اللحظة المناسبة للتوقف.. لكن طالما أنت تحبينني.. أجل، يمكن أن ننتظر قليلاً.

كانت تعرف أنها مضطرة للشرح عن سبب دعوتها للانتظار.. لكنها لم تكن قادرة على المضي في هذا الشرح. ولا تريده أن يكتشف.. أنها...

هل تصورت أن من السهل أكثر أن تقول له وهما مبتعدان عن بعضهما..

لا . . إنها مخطئة . . فقد كانت ترتجف توتراً، حتى أنه نظر إليها، ولف ذراعه حولها .

ـ أهناك شيء يقلقك لوارا؟ هيا حبيبتي، نحن نحب بعضنا، فماذا يهمنا غير هذا؟

بدأت تقول بثبات :

ـ أنت تعرف . . أننا، حين تعانقنا من قبل . . حسناً . . ظننت يومها أنني لم أرغب بك بسبب . . حسناً، الأمر لا يتعلق بأحد . . بل أنه شخصي .

ـ شخصي؟

فكرت أن تفهمه لموقفها سينقلب إلى ضحك وتسلية .

ـ أجل . . حسناً . . أوه . . روب . لا يمكنني تحمل أن تضحك مني .

ـ أضحك منك حبيبتي؟ ولماذا أضحك منك؟

ـ لأنني . . لأننا لو . . لو لم . . لو استمرينا لاكتشفت . .

ـ اكتشفت ماذا؟

ـ أنا في السادسة والعشرين، فتاة مدنية ومجربة، ولي شقتي الخاصة . . ولم يكن من الصعب أن أحصل على المواعيد لو رغبت . . و . . أعرف أن هذا عصر الحرية، وتقاليدنا الغربية، وكل هذا . . لكنني أبداً لم . . أوه روب . . أنا لا زلت . . عذراء .

وما إن تفوهت بالكلمة، حتى دفنت رأسها في كتفه . ولو بدأ كتفه يهتز، فستعرف أنه يضحك . . أحست بالبؤس بعد الكثير من السعادة، بؤس ، سذاجة، وأحست أن الدموع ستتدفق من عينيها .

لكنها وجدت أن لا حاجة للدموع، فبكل رقة وهو لا يزال يضمها، أرجعها إلى الوراء إلى أن شاهد وجهها المليء بالخجل . وحين تجرأت على النظر إليه، شاهدت بنفسها أنه لا يضحك، بل كانت نظرته نظرة حب . . وكأن ما قالته له أثّر به إلى درجة أنها همست له :

ـ أنت . . لم تضحك .

ـ يا أعز الحبايب، لوارا . . يا أعز فتاة، ألا تعلمين أنك تقدمين لي أعظم هدية؟ تقدمي مني لأحضنك .

حضنها برقة، وطبع على رأسها قبلة لم يكن فيها شيء من الرغبة، بل كانت تقصّ لها قصة حبه، ثم ابتعد عنها وقال بحنان :

ـ يا جميلتي الحساسة . . أحبك من كل قلبي . . على ضوء ما قلتيه لي، الأفضل أن تعيدي خاتمك إلى يدك، وأول ما سنفعله في الصباح أن نرى كيف نستطيع أن نجد له بديلاً في اليد الأخرى .

أحست بالسعادة الغامرة . . إنه يحبها ويريد الزواج منها، كان الخاتم قد وقع بين الوسائد، فمد يده، والحب في عينيه يعيده إلى مكانه، ثم قال، وقد اتخذ قراراً :

ـ أظن، أنه من الأفضل أن نتصل بجولي لنخبر عائلتك بأن عليهم تحضير حفلة الزواج في بروكن هيل قبل انقضاء هذا الشهر . . أتوافقين؟

أدارت وجهها إليه، شيء ما في داخلها يقول لها إنه لن يعود إلى عناقه المحموم لها إلى أن تضع خاتم الزواج في اصبعها الآخر . فقالت تضحك له :

ـ الأسرع هو الأفضل . .

وفهم ما تعنيه، فرمى رأسه إلى الوراء وأرعد ضاحكاً . . ثم قال :

ـ ماكرة . .

وطبع قبلة على رأس أنفها قبل أن يمد يده ليتناول الهاتف ويعطيه لها، ويقول آمراً :

ـ اطلبي الرقم .

* * *